الوثنية

مفاهيم وممارسات

دكتور
فاروق اسماعيل
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

١٩٨٥

دار المعرفة الجامعية
٤٠ شارع سوتر - الازاريطة - الاسكندرية

اهداءات ٢٠٠٢

أ.د/ السيد محمد بدوى

الاسكندرية

الوثنية

المفاهيم والممارسات

دكتور
فاروق مصطفى إسماعيل
أستاذ الأنثروبولوجيا الثقافية المساعد
جامعة الإسكندرية

دار المعرفة الجامعية
٤٠ شارع سوتر - الأزاريطة
الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الأستاذ الفاضل
الدكتور السيد بيومى
مع تحياتى وتقديرى الشخصى

إن دارسى الوثنية فى افريقيا أو فى غيرها من بقاع الأرض يدركون أن هذه الشعوب فى أمس الحاجة إلى يد العون لتتقدم من تلك الرواسب والمفاهيم والمعتقدات ، لتغرس قيما جديدة ومفاهيم جديدة ترفع من شأن الإنسان نحو معرفة هادفة للعالم وخالقه ورسله وكتبه واليوم الآخر ... نحو العقيدة السمحاء .

شكر

إذا كان هناك من شكر أسديه فإنى أتقدم بخالص الشكر لسكان جبال الأنقسنا شرق السودان وكارلنجا وكورنجو جنوبي كردفان الذين قدموا لى الكثير للوقوف على وثنيتهم الأمر الذى أثار اهتمامى وساعدنى على تفهم وتعرف الكثير من المفاهيم والممارسات الوثنية فى التراث المتاح .

أسأل الله التوفيق

مقدمة

لا شك أن معالجة الممارسات والطقوس الدينية ارتبطت لدى كثير من الكتاب (والقدامى منهم بصفة خاصة) بالنظرات التأملية والافتراض والظن والتخمين . حتى أنه يمكن القول أن أهميـــة هذه الدراسات — تلك التى عرض لهـا علماء الأديان المقارنة — لا تعدو أن تكون مجرد تراث فى تاريخ العـــلم والمعـرفة الأنثروبولوجية . وإن كان هذا لا يمنع أن بعض الفلاسفة الأخلاقيين والاجتماعيين والسياسيين من أمثـال Hobbes و Locke و Rousseau و H.spencer و Bergson وكذلك Tylor و Frezer و Marrett و Hubert و Durkyeim و Mauss والألمانى Preuss وغيرهم * لعبوا دوراً هاماً فى تاريخ الفكر بصفة عامة ، وقد نظروا إلى حقائق الحياة الدينية على أن لها أهمية بالغة لفهم الحياة الاجتماعية فى عمومها ومن هنا كان اهتمام العلماء والباحثين بدراســة الإنسان والنظم الدينية وبخاصـــة لدى الشعوب البدائية ، يقول إيفــانز بريتشارد Evanz. Pritchard فى كتابه Theories of Primitive Religion أن الديانات البدائية هى بمثابة أنواع لديانات وأن دراستهـا بما تحويه من أفكار وممارسات تختلف عمـا لدينا من أفكار وممارسات قد تساعدنا على الوصول إلى استنتاجات محددة حول طبيعة الدين بصفة خاصة (1) .

ولا يختلف هيرفه روسو H. Rousseau حين يؤكد أهمية الاتجـــاه إلى دراسة الشعوب البدائية بسيطة التكوين قائلا :

---

* من أمثال Lang ، King ، Crawley ، paul Radin .. الخ .

(1) E. Evanz, pritchard, Theories of primitive Religion, Oxford, Un. press, 1965, pp. 1—2.

« إن البحث عن جوهر الدين فى الآثار القديمة التى يمكن الوصول اليها لا يجدى، ومن ثم يجب أن نتجه إلى الشعوب البدائية».

أما Robertson Smith * فإنه يرى ضرورة التركيز من أجل الكشف عن تطور الفكر الدينى والشعائر الدينية وتحليلها فى ضوء الظروف الاجتماعية العامة التى نشأت فيها .

إذ أن الاهتمام بالعناصر الاجتماعية فى الدين ضرورية اذا ما أردنا الوصول الى فهم عميق للعقـــائد والشعائر فى أى دين من الأديان وبخاصة فى المجتمعات البسيطة فإننا فى أمس الحاجة الى اعطاء جانب كبير من العناية لدراسة المكونات الاجتماعية فى هذه العقائد والشعائر على أساس أن الدين يعتبر بمثابة الموجه للحياة الاجتماعية من ناحية ، كما أنه جزء من ثقافة تلك المجتمعات من ناحية أخرى ، ومع أن هذه النظـــرية أفلحت فى توجيه المدرسة الفرنسية — أميل دور كايم بالذات — فى دراسته للدين البـــدائى بحيث يمكن اعتبار R. smith المسئول الأول عن نظرية دور كايم كما وضعها فى كتابه « الصور الأولية للحياة الدينية» . أما Paul Radin فى كتابه Primitive Religion فيرى أننا اذا أردنا أن نشرح دلالة الدين أو نلقى الضوء على طبيعته فإن هذا أمر صعب الى حد بعيد لأنه يشير الى أشياء مختلفة لشعوب متباينة ،ونحن نرى أنه يشتمل على دلالتين.

الأولى . يمكن تحديدها بسهولة وتتمثل فى المشاعر المرتبطة .

الثانية . تتمثل فى الأفعال المحددة والمؤكدة والأعراف والمعتقدات والمفاهيم

---

* يمكن القول أن روبرتسون سميث R. Smith وضع فى بريطانيا أسس ما يمكن تسميته بالانثروبولوجيا الدينية .

المرتبطة بهذه المشاعر . فثمة اعتقاد بأرواح خارج نطاق الإنســان تدرك كما لوكانت أكثر قوة من الإنسان ومسيطرة عليه تماما. وكلاهما يمكن النظر اليهما كما لو كانا مرتبطين ويشكلان كلا متصــلا Inseparable ومتماسكا لا ينحــــل Indissolable (١) وهذا ما أكده Tylor فى كتابه الذى صــــدر منذ قرن أو يزيد حين ذهب فى معـــرض حديثه عن الثقافة البدائية الى أن الدين يشير الى الاعتقاد فى الكائنات الروحيــة Spiritual beings ، أما فريزر G. Frazer فيذهب فى كتابه الغصن الذهبى The Golden Bough الى أن الدين هو محاولة استرضاء واستعطاف Propitiation أو مصالحة Conciliation القوى أو الكائنات العليا التى يعتقد أنها توجه وتسيطر على الطبيعة وحياة الإنسان (٢) والدين عنده يشتمل أيضا على عنصرين نظرى وعملى ، والاعتقاد فى القوى الخارقة من ناحية ومحاولة استرضائها من ناحية أخرى . هذا الاعتقاد تعقبه ممارسات (٣) ، وهكذا نجد أن تايلور Tylor وفريزر Frazer وبول رادين Paul Radin قد ركزوا على ارتباط الدين بظهور فكرة الآلهة أو الأرواح ، وهذا ينطبق الى حد بعيد على ما ذهب اليه جيو Gnyeu والذى يرى أن مصطلح الدين مشتق من الفعل اللاتينى Religare بمعنى جمــع أو ربط ، وقد أخذ بهذا التفسير لاجراسرى Dela Grasserie ومن ثم ذهب الى أن الدين هو ارتباط جماعة

---

(1) Radin, poal, primitive Religion, its nature and Origin, Dover publications. Jnc, N.Y—1957. p.3

(٢) سيرجيمس فريزر ، الغصن الذهبى ، دراسة فى السحر والدين - الجزء الأول ، ترجمة د.أحمد أبوزيد ، الهيئة المصرية ص ١٨ ومابعدها .. ١٩٧١.

(3) Frazer, The Golden Bough, Macmillan & co, LTD. 1963, p. 7.

انسانية بآله أو عدة آلهة ، بمعنى أن كل ديانة تجمع بين معتنقى الديانة الأحياء منهم والأموات وآلهتهم فى مجتمع واحد يعتبر جـــزءا لا ينفصل عن الكون الطبيعى والوجود الحيوى (١) ومن ناحية أخرى نجـــد فريقا آخر من العلماء والباحثين يرى بوجود أديان لا تشتمل على آلهة أو أرواح مثل دور كايم فليس بوذا إلها (لأنه لا يملك شيئا من تغيير مجرى الحوادث الإنسانية) ويقول أن السمة الوحيدة المشتركة بين الأديان هى (القـــداسة) ويتفق الكثيرون مع دور كايم مثل الفيلسوف الهندى (Nothan Son Irblom) يرى أن الدين هـو علاقة البشر بما يعتبره مقدسا ، أو بالقوى الغير بشرية التى يؤمن بها لأنه يستشعر خضوعه لها أما موريس جاستروف Morice Jastrof فيقول أننا اذا أردنا تعريف الدين فلابد أن نأخذ فى الاعتبار المبادىء التالية .

١ ـ شعور الناس بوجود قوة أو قوى متعددة أعظم منهم شأناً وغير مسخرة لهم .

٢ ـ اعتقاد الناس بأن لهم صلة بهـذه القوة أو القوى .

٣ ـ سعى الناس الى محاولة ايجاد واسطة لتوثيق هذه الصلة ، وتتضمن هذه المبادىء أو القواعد الشعور والاعتقاد والعبادة (٢) .

لن نخوض فى هذه التعريفات تفصيلا فثمة محاولات عديدة قد سارت فى هذا الاتجاه ، لكن ما يعنينا هنا أن نؤكد أن المجتمعات مها كانت درجـــة

---

(١) أحمد الخشاب ، دراسة فى النظم الاجتماعية ، المجتمعات المتخلفة والنظم الدينية ، القاهرة الحديثة ١٩٥٨ ، ص ١٩٣ .

(٢) طه الأشمس ، تاريخ الأديان وفلسفتها ، مكتبة الحياة ، ص١٧

حضارتها أو ثقافتها فإن لهـــا أنساقها الدينية شأنها في ذلك شأن بقية الأنساق المحددة والمعروفة ومن ثم فإن لها مشاعرها ومعتقداتها وممارساتها أو طقوسها والتي قد تختلف حتى في نطاق المنطقة الثقافية الواحدة * كما سوف نرى حين نعرض للممارسات الدينية في جنوبي كردفان . وما من نظام اجتماعي أو سياسي أو اقتصادي الا ويرتكز بطريقة أو بأخرى على فكرة دينية فإذا أمعنا النظر في الحياة الأخلاقية والفضائل والممارسات والاحتفـــالات أو العادات الجمعية لدى شعب من الشعوب لوجدنا تأثراً واضحا بالأفكار الدينية التي يعتقدونها **

ودراستنا هذه لن تتناول من قريب أو بعيد نشأة الاديان وان كنا نستهدف أساسا رؤية أنثروبولوجية تعتمد على دراسة حقلية لفهم المعتقدات والممارسات **الوثنية في عدد من المجتمعـات الوثنية التقليدية والتي قمت بدراستها عـلى فترات متقطعـة ما بـين عامي ١٩٧٧ ، ١٩٨٢ في منـاطق جبـال الانقسنا Ingassana شرق السودان ومناطق جبال كارلنجا Karlenga وجبال كورنجو Korongo جنوب كردفان.**

---

* المنطقة الثقـافية : يستخـدم الاصطلاح للإشارة إلى إقليم جغـرافي حيث تبدي الثقافات نوعاً من المشابهة في الخصـائص والسمات الثقـافية أو نوعا من التجانس ـ من هذا القبيل تقسم منطقة الشمال الامريكي إلى أكثر من عشر مناطق ثقافية والجنوب إلى خمس مناطق ثقافية وهكذا . . .

** يقول بول رادين p. Radin أن الدين له تأثيره على الحياة ومايرتبط بها من قيم أسـاسية وأهم هذه القيم هي الرغبة في النجـاح والرغبة في تحقيق السعادة والرغبة في طول العمر ـ وبالمثل فإنه يمكننا التعرف على العقائد ، وأهم هذه المعتقدات تلك التي تشير إلى الاعتقاد في الأرواح Spirits والتي تمنح نجاح الإنسان وسعادته وطول عمره .

(paul Radiniop- cit, p. 6)

ولا شك أن معالجة المفاهيم والممارسات الوثنية على درجة عالية من التعقيد لأن كل ديانة لها جوانبها الذاتية سواء فى العقيدة أو الممارسات ، وليست محاولتنا هنا تسجيل مظاهر الحياة الدينية لهذه العقيدة أو تلك من أجل أهميتها ، ولكن استهدف فقط عرض هذه المفاهيم والممارسات كنظام مسيطر وتقاليد متوارثة فى مجتمع معين وما قد يعتريها من التغيير نتيجة الاتصال الثقافى الحادث والمتزايد والذى أصبح أكثر عمقا وأشد وضوحا إذ أن ثمة ظروف متغيرة (سواء فى مناطق جبال الأنقسنا أو جبال النوبا) تمثلت فى تمهيد بعض الطرق أو سرعة الانتقال ، النظام الادارى والحكم المحلى الحادث والذى أضعف بدوره سلطة كبار السن بل وسلطة الزعماء التقليدية ، فضلا عن انتشار التعليم سواء عن طريق الارساليات التبشيرية المسيحية أو الخلاوى الاسلامية المنتشرة هنا وهناك .

فإذا أضفنا إلى ذلك الهجرة الموسمية سواء إلى الدمازين فى جبال الأنقسنا أو إلى كادقلى والأبيض أو الخرطوم من كرلنجا وكورنقو وارتباط ذلك بالاستقلال الاقتصادى،والابتعاد نسبيا عن موطن هذه الديانات الوثنيةوارتباط ذلك بنمو الفردية وعدم الاقتناع بأفكار كبار السن ، بل والعزوف عن المشاركة فى أعيادهم واحتفالاتهم الوثنية ومن ثم لم تعد الممارسات الوثنية تمارس بنفس الدرجة والوضوح الذى كانت عليه من قبل وأذكر فى هذا الصدد ما قاله لى أحد الوثنيين فى كورنجو « كاسولى كجون المطر » أثناء ممارسته لبعض طقوس الحصاد « قائلا « منذ سنوات كان كل سكان جبل كورنجو يحضرون إلى هنا

---

* ١٥ نوفمبر ١٩٨٢ .

يشاركون فى هذا « السر » ، أما الآن كما ترى معظم سكان الجبل غائبون بعضهم هاجروا والبعض الآخر مشغول بحياته اليومية وفريق ثالث يرفض ممارسات الآباء والأجداء » .

ومن ناحية أخرى فإن تسجيل مظاهر الحيـاة الوثنية من الأهمية نظرا للتأثير المتزايد للدعوة الاسلامية وللإرساليات التبشيرية فى هذه المناطق فى أيامنا هذه الأمر الذى يكاد يعصف بهذه المعتقدات التقليدية وما قد يترتب عليه فى المستقبل القريب من تغييرات شاملة . ومن هنا جاءت أهميـة تسجيل مظاهر الحياة الدينية فى المجتمعات الثلاث . وليس من شك أن معالجة مثل هذا الموضوع والحصول على المادة الأثنوجرافية وثيقة الصلة به تحتاج إلى مزيد من الجهد والمعاناة فالحقائق والافكار الدينية لا تقدم هكذا بسهولة إلى الباحثين فقد يعتقد البعض أن هذه أسرار خاصة لا يجب إفشاؤها وإشاعتها لدى الأفراد الآخرين من الغرباء *

* وأذكر فى هذا الصدد تجربتى الشخصية فى جبـــال الأنقسنا فيما يتعلق بمحاولة جمـع المـادة الاثنوجرافيـة بيت الاله أو الوى تل حيث باءت العديد من محاولاتى بالفشل إلى أن تمكنت من زيارته يوم الأربعـــاء ١٩٧٧/١٢/٤ حيث ذهبت مع أحد الإخباريين إلى جبل كامـول فوجدت مدخلا صخريا حصينا يرتفع عن الوادى بعض الشىء ، ويؤدى إلى ثلاث مداخل صخرية أخرى حتى نصل إلى ربوة عالية وكان الاخبارى خائفاً إلى حد كبير ويلح على فى العودة خاصة حين لدغته نحلة خلف أذنه فأصر على العودة قائلا أن الإله «تل» ينذرنا لأننا نقترب من مسكنه وطيبت خاطره مخبرا إياه أن هذه الواقعة قد حدثت مصادفة لأن نحل العسل كثير فى هذه المنطقة ولاعلاقة لها « بتل » أو ذيره ، فرفض الاذعان وتركنى عائدا ثم مالبث أن عاد ليصحبنى على شرط أن نذهب إلى بيت الحارس لنعترف له بما اقترفناه من إثم حتى لايلحق =

ومن ناحية أخرى ثالثة فإن الحقائق الدينية لدى شعب من الشعوب يجب تناولها بحذر شديد لاننا نتعامل مع مفاهيم وتصورات أو مدركات عقلية تتطلب المعرفة التامة بلغة الاهالى من ناحية ، والادراك الواعى للنسق الكلى للمفاهيم والذى يعتبر أى اعتقاد جزءاً منه ، وهذ فى حد ذاته يقتضى الدراسة المركزة للأنساق الاجتماعية المختلفة والقاء الضوء على السمات الثقافية فى ارتباطها وتداخلها . ، ولا يسعنى هنا إلا أن أكرر ما ذكره Paul Radin حين قال يجدر بنا أن نكون على قدر من الشك ، لانه من الصعب على الباحث أو الملاحظ الاجنبى مهما حاول أن يكون محايدا أن تخلو تعبيراته أو أحكامه أو حتى مجرد نظرته من بعض الاحكام الذاتية ،فالميراث الثقافى والعقائدى وتعبيراته الشخصية قد تؤثر فى عرضه للمادة الاثنوجرافية، فإذا ماأردنا المزيد من الدقة والوضوح فإنــه ينبغى :

(١) تعلم لغة الاهالى .

(٢) أن يكون الاثنوجرافى على دراية بالنسق الكل للمفاهيم بل الانساق

=بنا الأذى ، هنا إستطعت أن ألتقط بعض الصور لمسكن الإله ، إلا أن الإخبارى كان يحذرنى نتيجة ذلك بل وأنذرنى بأن الهلاك والدمار سوف يلحق بى وقد حاولت بالفعل مقابلة حارس الا « وى تل » ويدعى « نوس » فى نحو السبعين من عمره أو يزيد — عريض المنكبين — حاد البصر — ذو شعر قصير ، سألنى عما أريد واعتذر عن مقابلتى لانشغاله ، وانصرفت ثم حاولت مقابلته مرة أخرى وثالثة فكان يحرص على الهرب منى بحجة أنه لم يستشر الزعيم الدينى فى أمر مقابلتى .

(أنظر د. فاروق اسماعيل ، الانثروبولوجيا الثقافية ص٢ ، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٣) .

الاجتماعية برمتها ، فالمعتقدات الوثنية تمتد الى شتى مناحى الحياة كما أشرنا .

(٣) لابد وأن يكـون الباحث على دراية بالفكـر الوثنى ولا أعنى هنـا أننى أؤيد منطق ليفى بريل Lévy Bruhll وموقفه من العقليـة البدائية وأنها نمط متمايز فى مقابل العقلية المتحضرة وأنها تختلف فى الدرجة والنوع ولا تستطيع الوصول إلى العلاقات السببية أو العلية وأنها قبل منطقية Prelogical - ولكن أميل إلى الرأى القائل إن الوثنى يركز على الأفعال والممارسات أكثر مما يركز على الفكر والتأمل ، إنه يفتقـد إلى **التصورات العقلية المحـدده الواضحـة** ، فالآلة « تل » فى جبال الأنقسنا الكائن الأسمى خالق البشر مصدر الحياة والخير لايفعل الشر - الشر مرده إلى الشيطان نقند وهو المسئول عن الموت والدمار ... فإذا ما مات أحدهم توجهوا بالسباب واللعنات إلى « تـل » ووصفوه بالجبن والخسـة .

إن الوثنى يعتقد أن الإله « موسلا » هو الخالق الأسمى والكائن الأول ويحتل قمة البناء الكهنوتى الا أنه لايتقدم اليه بالقرابين وانما يتقدم الى « الكجور » فهو أكثر قوة وفاعلية ، وكذلك أفكارهم عن أرواح الأسلاف والقـوة الكامنة فى زعامتهم الروحية ، بمعنى آخر ان مدركاتهم العقلية تتضمن تصورات غامضة Mystical Representations على حد تعبير ايفانز بريتشارد E.Pritchard انهم يدركون ويلاحظون ويوجهون اهتمامهم الى قليل مما يرونه ويسمعونه، ان التصورات الجمعية التى تسيطر على مدركاتهم انتقائية أو اختيارية .

فالوثنى يعزى سقوط المطر الى ما قام به (الكجور) من ممارسات ، انه يتعامل معه كما لو كان شيئا ملغزا يتعامل بدوره مع الآلهة أو روح الأسلاف ، ولو فكر بعض الوقت لادرك أن هـذا موسم سقوط الأمطار وأن الرياح الموسمية

الشمالية منذرة بسقوط المطر ،وأن السحب لاتلبث أن تتجمع فى السماء ثم تسقط، فإذا حاولت أن توضح له ذلك أجاب أن كجور المطر هو الذى فعل كل هذا ، انه لايفكر الا فى معاناته النفسية والمخاوف التى تنتابه اذا لم يسقط المطر ومن ثم يلجأ الى الكجور ولعل لوى R.H. Lowie الذى درس هنود Crow يقدم لنا مساهمة هامة حين يقول فى هذا الصدد ، أن الدين البدائى انما يحدد بخصائص أساسية تتمثل فى . الاحساس بالغرابة وعدم المألوف والغموض والقوى الخارقة للطبيعة وأن الاستجابه العقائدية لديهم تتمثل فى الذهول والحيرة والرهبة والخوف (١) .

والفكرة ذاتها يشير اليها بول رادين p. Radin فى مقدمة كتابه حين يركز على ما أسماه بالمشاركة الجماعيةضد الخوف وقد تمثل ذلكالوضع بينجميع الناس وتبلور فى (أ) الحقيقة الفسيولوجية للميلاد . (ب) المراهقة . (جـ) المرض . (د) الموت . كما تمثل فى صراع الانسان وخوفه ورهبته من الطبيعة القاسية المحيطة به من ناحية وصراعه مع الانسان وصدامه المستمر معه من أجل البقاء . (٢) ان الطقوس والشعائر والممارسات الوثنية تحترم كنوع من التعبير الصريح أو الرمزى فى نطاق الاطار الثقافى السائد ،للتعبير عن المشاعر الغامضة تجاه البناء الكهنوتى من ناحية والطبيعة الانسانية والحيوانية من ناحية أخرى بل وتجاه الطبيعة فى عمومها ومن ثم فإنهاتخلق دوما أدوارا جديدة للأفراد من معتنقى الديانة ، وتوضح الكثير من المعانى وتجدد من حيوية الجماعة ،بل وتقلل من القلق والتوتر الناجم عن المواقف الحيوية كالميلاد والبلوغ والتكريس

---

(1)Evranz pritchard, op. cit, p. 38.

(2) Radin, op. cit, p. 4.

والزواج والمرض والموت والحظ العاثر حيث يناط بالفرد أدوار جديدة أو مسئوليات جديدة أو معاناة فى الحالات النفسية الطارئة التى تستدعيها مواقف الحياة . ومن ثم فإن الممارسات والطقوس الشعائرية وما تحتويه من اختبار للصبر والشجاعة والرجولة والطهارة والمقدرة على الحياة الروحية تستهدف المزيد من القدرة على التكيف مع الذات أو مع العالم الغيبى .

يقول بول رادين p. Radin فى معرض حديثه عن قبائل الوينباجو Winnbago فى كتابه « عالم الإنسان البدائى » ان الفرصة متاحة للتعبير عن الذات فى المجتمع البدائى، فالإنسان فى كثير من مواقف الحياة من خلال الانفعال أو ردود الأفعال أو الشعور أو العقيدة أو الإيمان سواء أفصح عن ذلك أو لم يفصح أمامه الفرصة سانحة للتعبير ... لاشك أن ثمة حدود للتعبير لكنها تنبع وبطريقة مباشرة من الادراك العميق بحقائق الحياة (الولادة - الختان - التكريس - الزواج - المرض ... الخ) من ناحية وردود أفعال الجماعة من ناحية أخرى (١) ويمكن القول أن هذه الدراسة قد سارت وفق خطة منهجية يمكن بلورتها فى :

(أ) عرض للمادة الأثنوجرافية لعدد من المفاهيم والممارسات الوثنية فى المجتمعات الثلاث .

(ب) الاعتماد على الوصف العلمى والتحليل المقارن للعقائد والممارسات والطقوس وارتباط ذلك بحتمية الإشارة الى هذه الطقوس والممارسات فى مجتمعات أخرى دعما للفائده المرجوة من هذا العرض الأثنوجرافى .

(ج) ان معالجة الظواهر الدينية باتباع المنهج المقارن سوف يحتم علينا

---

(١) Radin paul, The World of primitive Man, N. Y. Sohuman, 1953, p. 125.

تحليل نسق المعتقدات الى عناصرة الأساسية من أجل مزيد من الوضوح والفهم خاصة تلك التى تتعلق بمفهوم الألوهية أو الكائن الأعلى والنزعة الروحية وعبادة الأسلاف والأساطير والقرابيين والقداسة والمانا والسحر ... الخ .

هذا التصنيف تناول الموضوعات التى أعتقد أن لها صلة وثيقة بالديانات الوثنية ، وبالطبع ليس هذا الاختيار على سبيل الحصر ولكنى آثرتها على غيرها لاعتقادى بأهمية الدور الذى تلعبه فى المعتقدات الوثنية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ، فان المادة المتاحة من خلال دراساتى الحقلية والتى جمعتها من المناطق السابق الاشارة اليها أو من القائمين على شئون الممارسات والطقوس الشعائرية وما لديهم من آراء ونظريات آخذين فى الاعتبار ما لديهم من فروق فى مدى عمق العقيدة فها هو أحد أبناء جبال الأنقسنا Ingassana فى شرقى السودان ينعت الإله « تل » بالجبن والضعف لأنه يأتى خلسة ليسلب روح أبيه المتوفى ويناديه متحديا أن يكشف عن وجوده لينال جزاءه ، فى حين يذهب كجور Kujur باو إلى أن « تل » هو الخالق أصـــل الكون مصدر الحياة ، قدرته على الحركة بلا حدود مصدر الخـــير والشر ، اليه يعزى الخلق والموت والدمار للانسان وغيره من صفاته الخلود فهو لا يموت ، نومه يعنى غياب الشمس ويقظته تعنى ظهورها ... الخ .

وقد انتهينا إلى معالجة التغـــير الثقافى أو بمعنى أدق تأثير المد الإسلامى أو الدعوة الاسلامية المتزايدة على المجتمعات الوثنية من خلال تجربتنا الشخصيـة فى مناطق جبال الأنقسنا وجنوبى كردفان ، ولنوضح التكيفات الجديدة الطارئة على الثقافة الوثنية والتى امتدت لتشمل الكثير من جوانب حياتهم مدركين أن التغير المصاحب للانتشار الاسلامى ليس مجرد عملية احلال لسمات مكان سمات أخرى

أو ليست مجرد تجميع عشوائي لمفاهيم أو ممارسات أو حتى مجرد اضافة للمحتوى القائم . ، إن المعتقدات والقيم والرمزيات المتعارضه والمتناقضة قد تتواجد معا وقد ترتبط دون شك باتجاهات مغايرة إلا أنها تعمل فى مجال مشترك كما سوف نرى . وقد حاولت قدر الامكان استخدام المصطلحات المحلية بدقة سـواء فى مناطق الدراسة الحقلية أو عند استخدام المادة الاثنوجرافية المقارنة ، وانتهينا بثبت للمصطلحات الأجنبية التى يمكن الاعتماد عليها إلى حد كبير فى الدراسات العقـائدية ..

مرة أخرى إذا كان هناك من شكـر أسديه فإلى سكان تلك المناطق الوثنية وإلى المسئولين فى شرق السـودان الدمازين وجنوبى كادقلى وإلى المسئولين فى جامعة أم درمان الاسلامية .

نسأل الله التوفيق

جليم فى ٢٥ مايو ١٩٨٤.

الفصل الأول

طبيعة المعتقدات الوثنية

ذكرنا منذ قليل أن معالجة المعتقدات أمر بالغ الصعوبة لماذا ؟ لأنها على حد تعبير بول رادين paul Radin تعنى أشياء مختلفة لأناس مختلفين ومع ذلك يمكن القول أنها تتكون من شقين :

الأول : مشاعر محددة يمكن التعرف عليها بسهولة.

الثانى : أفعال محـــددة عادات وتقاليد وممارسات مرتبطة بهذه المشاعر وكلاهما يرتبط بالآخر ويشكلان كلا واحدا .

ولاشك أن أهم هذه المعتقدات المرتبطة بهذه المشاعر **الاعتقاد فى وجـود عالم للارواح** مستقل عن الانسان ، وإدراكه كقوى تفوق قدرة الانسان وسيطرته على أوجه الحياة ، وقد حاول العلماء والباحثون فى المعتقـــدات الربط بين عالم الأرواح هذا وقيم الحياة الأساسيـة لدى الانسان ، بمعنى آخر ايضاح مـدى سيطرة تلك الأرواح على مقدرات الانسان وقيمه الأساسية (الرغبة فى النجاح- تحقيق السعادة - طول العمر) . وقد ذهبوا فى ذلك مذاهب شتى ولعل معالجة بول رادين p. Radin * تعتبر من وجهة نظر خاصة من أهم هذه المعالجات ولذا آثرت أن أعرضها هنا فى شىء من التفصيل . يتساءل رادين Radin لماذا يعتقد الانسان فى وجود قوى خارقة Super Natural power ؟ يجيب على

---

* Paul Badin, op. cit, p. 8.

ذلك أن عدم الأمـان الاقتصادى economic insequrity يرتبط بالخـوف والاحساس بعدم الأمان والضعف والاستسلام والعجز والشعور بعد الأهمية ـ وأنه لمن الطبيعى لمثل هذا البنـاء النفسى والحال كذلك أن يجد الملاذ والملجأ فى الانتقال من الواقع إلى الخيال والأوهام Fantasies هروبا من مرارة الواقع وحدته ، إن أهم مايشغل بال الإنسان صراعه للحفاظ على ذاته ووجوده من ناحية ومقاومته بطريقة غير مباشرة لطبيعته الحيوانية ومحـــاولة التكيف مع الأوضاع الجديدة ، ومن ثم كان هدفه الأساسى الوصول إلى وضع يمكنه من أن يجعل واقعه ذو شرعية تعويضا عن حالة الخوف التى يعيشها ويستشعرها ، وهكذا تم هذا التحول بسرعة وظهرت المفاهيم الدينية المحددة والتى ناقشها عالم اللاهوت الألمانى المعروف رودلف أوتو Rudolf Otto فى كتابه المسمى هذا الجحيم Das Heilige وإن كان Radin يرى أن otto أساء فهم هذه المفاهيم وكيفية ظهورها . وطبقا لرأى otto جاء من « الخوف والفزع والإحساس بالضعف » إدراك العظمة ، ومن « القصور والشعور بعدم الأهمية » الإحساس الإنسانى بالخالق والذى شرح على حد زعمه فى العهد القديم Old testament ومن « اختلاط الرؤى » ظهر مفهومه الآخر المتكامل ، ومن « القهر والاجبار » نمت الأحاسيس تجاه مفاهيم أخرى مرتبطة بالسحر ، وهكذا توفرت الأصول المرتبطة اللازمة لخلق القوى فوق الطبيعية وارتباط ذلك بالصراع الاقتصادى من أجل البقاء ولتظهر لنا فى النهاية المعتقدات البدائية ، هكذا افترض الإنسان القوى الخارقة ليعطى شرعية على حقيقة نشاطه اليـــومى وإن كان كل إنسان لايستشعر ذلك بنفس الدرجة وهذا يفسر سر اختلاف الأفراد لرهبتهم من القوى الخارقة وبالتالى علاقتهم بتلك القوى .(١)

---

(1) Ibid. p. 9

ويلفت بول رادين الأنظار إلى ضـــرورة الاهتمام ونحن بصدد دراسة المعتقدات البدائية الى مدى عمق العقيدة أو مدى الاحساس بالدين والذى يتمثل فى حساسية الإنسان تجاه عادات معينة Customs ، معتقدات beliefs ،خرافات Superstitions ، من الواضح أن كل الناس لايستجيبون لها بطريقة واحدة ، فهناك من يمكنهم الاستجابة واستدعاء تلك الأحاسيس بسهولة انهم المتدينون حقا ، وهم قلة فى العدد وأيا كان الأمر فإن لديا ثلاث فئات من حيث عمق المعتقدات .

(ا) العقائديون والمتمسكون بالمعتقدات .

(ب) غير المكترسين بتلك العقائد .

(ح) متوسطى العقيدة وهؤلاء يقعون فى فئتين :

الاولى : أولئك الذين يمكن أن يقوى تدينهم فى ظروف معينة وبسهولة .

الثانية : أولئك الذين قد يفقدون مالديهم من احساس بالمعتقدات فى أى لحظة وأيا كان الأمر فإن المجموعتين الثانية والثـالثة يمثلون الحجم الأكبر من السكان وهؤلاء يصعب أن نصل من دراستهم الى سبرغور المعتقدات ، اذ لابد من محاولة دراسة المتمايزين عقـائديا حتى تتجنب الخلط والغموض ، فلنبدأ بالمتمايزين عقائديا ثم نقوم بالمقارنة والتحليل بينهم وبين نظرائهم من المجموعتين الأخريتين ، ويرجع Radin فشل الكثير من الدراسات التى تناولت الديانات البدائية الى عدم مراعـاة ذلك ومن ثم عدم وضوح الصورة وقصور التحليل العلمى الذى ساد مثل هذه الدراسات .

وليس كافيا ان نعتمد على هذا التقسيم فهناك فترات يكون فيها التأثير الدينى قوى وملموس وخاصة فى الأزمات كما هو الحال حين يتعذر سقوط الأمطار

مثلا ومن ثم يتهدد الناس القحط والجفاف ، أو حين ينتشر المرض أو تقع حالات الوفاة ، أو المجاعة هنا يهرع الناس الى ثقاتهم من رجال الدين وكأنهم يلوذون بهم مناشدين اياهم أن يساعدوهم على الخلاص كما حدث فى أيام المجاعة التى وقعت فى منطقة كارلنجا فى جبال تلشى وكما يحدث فى أيامنا هذه فى جبال الأنقسنا أو كورنجو فى جنوب كردفان حيث يلجأون الى الزعيم الروحى أو الكجور Kujur والذى يتوجه بدوره الى أرواح الأسلاف أو الإله « موسلا » ليسبغ عليهم نعمة سقوط الأمطار ، وهكذا نجد أن الناس فى الأزمات أكثر حاجة لتعاليم الزعماء الروحيين وبالتالى اكثر قبولا وخضوعا وامتثالا لآرائهم هنا يسود الجميع ممن يشاركون فى هذه المناشط شعور قوى ، ان الأفعال والممارسات التى يقوم بها هؤلاء الزعماء تقوى وتدعم هذه المشاعر وتضفى جوا نفسيا مغايرا لواقعهم المعتاد فى حياتهم التقليدية ، أما أولئك الذين لديهم الاحساس العميق بالمعتقدات فإنهم يملكون من المشاعر القوية مايمكنهم دوما من استدعاء هذه الاحاسيس والمشاعر فى أى وقت ، وبالنسبة لهؤلاء فإن الحياة برمتها انما تبدو من خلال مالديهم من معتقدات وعرف وتقاليد ، حيث يتسم سلوكهم بمسحة عقائدية قوية انهم فى حالة حضور دينى أو عقائدى دائم .

هذا الاختلاف بين هاتين الفئتين من حيث عمق المشاعر والمعتقدات يعتبر المحدد الأساس على حد زعم Radin فى دراسة الظواهر الدينية **ولقد لعب الفشل** فى ادراك **هذا الموقف دورا خطرا فى معالجات** المشتغلين **بالنظريات الاثنولوجية** Ethnological Theorists وبالتالى فى **تناولهم لفكر وطبيعة الديانة البدائية** من هذا القبيل مانجده فى المعالجة النظرية للعقلية البدائية عند ليفى بريل

بعنوان القواعد الفكرية فى المجتمعات المتخلفة ** ولاشك Lévy Bruhll *
أن عدم إدراك ليفى بريل لهذا التمييز السابق الإشارة اليه هو الذى جعله يذهب إلى الزعم بأن العقلية البدائية عقلية قبل منطقية prelogical وان البدايئين ينقصهم النظرة العقلانية الموضوعية ، ومن ثم أنكر وجود أفراد بين البدائيين يفكرون كما نفكر نحن بطريقة منطقية ، إنه يرى (وخاصة فى كتاباته الأولى) أن البدائيين يفكرون على مستوى المرحلة الأولى للتفكير الإنسانى والذى يقوم أساسا على الصراع مابين الذات أو الأنا Ego والعالم الخارجى Eyternal world ومحاولة كل السيطرة على الآخر وهذا أسلوب فرويدى Freudian Fashion حيث يرى أن الإنسان يخضع لتفكيره بصورة جبرية بحتة ، وتلك نظرة خاطئه ولا يمكن التسليم بها بالنسبة للانسان البدائى الآن باستثناء الذين أشرنا اليهم فى تصنيف رادين p. Radin من غير العقائديين .

وقد يكون أدعى للفائدة ونحن بصدد الحديث عن طبيعة المجتمعات الوثنية وقبل أن نعرض للمفاهيم والممارسات التقليدية فى مثل هذه المجتمعات أن نقف

---

* ليفى بريل ، من أكثر الكتاب الذين استخدموا المـــادة الاثنوجرافية المتاحة والذى تناول الفكر البدائى ، ويذهب Ashley] Montague فى كتابه The Concept of primitive إلى أن بريل استبعد فيما بعد اصطلاح « قبل المنطقى » prelogical واعترف بوجـود صفـات مشتركة تلازم كل أنواع التفكير الإنسانى وأن قانون المشاركة ليس وقفا على العالم البدائى وإن كان ليفى بريل ظل يستخدم الوصف المزدوج نحن فى مقابل البدائية (ليفى بريل ١٩٤٩).
** «Les Fonctions mentales dans les sodetés rnferieures»
(أنظر آشلى مونتاجيو ـ البدائية ـ ترجمة د. محمد عصفور ، عالم المعرفة ،الكويت مايو ١٩٨٢ ص ٣١ .

قليلا عند مايعنيه مفهوم « الوثنية » ودلالته ، إذ لاشك أن القاء الضوء عليه سوف يوضح تلك المفاهيم والممارسات التقليدية.

الوثنيـــة :

إن كلمة وثن أوفتش Fetish مستمدة من أصل لغوى برتغالى Fetico وتعنى المادة السحرية ، وقد أطلقها البرتغاليون على الديانات الوثنية فى غينيا ، وانتشر استخدامها منذ أواخر القرن ١٩ وأوائل القرن ٢٠ ويعتبر دى بروس * De Brosses أول من استخدم هذا الاسطلاح فى معالجته للأديان الافريقية البدائية ثم صاغ منه مفهوم الفتشية Fétichisme ويقصد به عبـــادة وتبجيل الاجسام والأشياء التى يعتبرها الإنسان تعاويذ أو بدود تمنع عنه الشر وتجلب له الخـــير ، ثم يأتى أوجست كومت August Comte ليستخدم المفهوم للإشارة إلى الديانات البدائية التى تعتبر الأجسام والموضوعات الخارجية ذو صبغة حية تشبه حياة الإنسان ** أما تايلور Tylor فيرى أن ثمة صلة وثيقة بين الفتشية ونظرية الأرواح التى تتجسد فى بعض الأجسام أو الكائنات المـــادية أو تتعلق بها أو تؤثر عن طريقها ويدخل منها على وجه الخصوص عبادة

---

* دى بروس De brosses أديب وشاعر فرنسى .

** ذهب أوجست كومت فى تتبعه لتطور الديانات الإنسانية إلى أن الفتشية تمثل الصورة الاولية للديانات البشرية وأنها سادت فى المرحلة الأولى التى أطلق عليها مرحلة الميثولوجيا الفكرية — أما ماريت Marret وكنج King فإنها يعتبر انها تمثل مرحلة من مراحل تطور الديانة فى الجماعات المتأخرة وهى المرحلة التى سميت مرحلة ماقبل عبادة الأرواح (معجم العلوم الاجتماعية — تصدير ومراجعة د. ابراهيم مدكور ، ص ٤٤٦ ومابعدها .

الأحجار(١) . وهذا ما يؤكده روبرتسون سميث Robertson Smith إذ يرى أن المفهوم يشير إلى عبادة الأحجار المقدسة Sacred stones وأن الفتشية (بدود أو دكاكير أو فتش) مفهوم شائع لا يتضمن فى محتواه فكرة محددة دقيقة ، ولكنه يشير إلى شيء ما غامض وبدائى ، وأنه يوجد فى جميع أنحاء العالم مرتبطا بعبادة الآلهة ، وان الاعتقاد فيه يعتمد أساسا على سبب ذو صبغة عملية فى الديانات البدائية ، بل إن معظم الديانات القديمة كانت وثيقة الصلة بآلهة من الحجارة تقيم فى صخور طبيعية (٢).

وبصفة عامة فإن المفهوم يطلق فى اتجاهات متباينة وبمعان مختلفة للاشارة إلى المظاهر الطبيعية التى لاحياة فيها ، وقد يطلق على معتقدات الزنوج ، وكذلك عبادة الأشياء التى يتصور معتنقوها أنها مقر للأرواح ، كما تطلق على الأشياء التى تعتبر بمثابة تعويذة تستمد قوتها السحرية الكامنة من إله أو روح .

وأيا كان الأمر فإن الاصطلاح استخدم للإشارة إلى عبادة الأحجار أو الجبال أو مجارى المياه أو الخيران أو الأشجار فضلا عن التماثيل أو الدمى وما يرتبط بها من قداسة واحترام بالغ كما نرى لدى كثير من المجتمعات النيلية فى جنوب وجنوب شرق السودان كما سوف نرى بعد قليل ولدى كثير من المجتمعات التقليدية فى الحبشة وغينيا الجديدة وخاصة قبائل « البابوس » وكذلك قبائل البانتو Bantu والهندوس فى الهند وبيرو وميلانيزيا وقبائل اللانجو من الهنود وغيرهم ، فالوثنى فى مثل هذه المجتمعات يعتقد أن المادة تحلت فيها روح

---

(١) أحمد أبوزيد ، تايلور — دار المعارف بمصر ١٩٥٧ ، ص ١٥٢ ومابعدها .

(2) Smith, Robertson, Religion of the Semites, p. 209.

ومن ثم يتخذها وثناً له ، ولقد أتاحت المادة الاثنوجرافية التي قمت بجمعها العديد من الأمثلة لظاهرة الفتشية ولعل أهمها تلك التي تنتشر في جبال الأنقسنا شرق السودان حيث يعتقدون بقداسة جبلي بونق وليفر وليس لديهم تفسير سوى أنها جبال مقدسة وأن أرواح البشر فضلا عن الكائنات الأخرى تستقر بها بعد الموت فإذا علمنا أن هؤلاء يقدسون أرواح الأسلاف وينزلونها منزلة القداسة (كما سوف نرى عند الحديث عن أرواح الأسلاف) أدركنا سر قداســة هذين الجبلين فإذا أضفنا « جبل كامول » حيث « ا « وى تل » أو مسكن الإله ويعتقدون أن روح الإله تتردد عليه بين الحين والآخر فضلا عن مرور البقرة المقدسة من جبل « كامول » إلى جبل « سودا » ومن ثم زودته الآلهة بقـوة خارقة ، ويجمع الوثنيون في جبـال الأنقسنا أن الحوادث التي وقعت في محـاولة شق الجبل مردها إلى أن روح الإله «تل» ترفض مثل هذه الأعمال ، من هذا القبيل ما ارتبط بالحجاره المقدسة أو حجر الكجور «كاسولى» أو « تشيللى » في جبال كورنقو جنوبي كردفان إذ يعتقدون أن الأرواح تستقر فيها وتتخذها مقرا رئيسيا لها وأنها تسمع وتفهم ويمكن للكجرة أن يخاطبوها ، وقد يسكبون عليها الماء والمريسا « الخمر الشعبية » من حين لآخر ، ويتوجه إليها الكجور في الأزمات . وكذلك الاشجار المقدسة والتي سوف نشير إليها حيث الاعتقاد السائد أن أرواح الأسلاف تجتمع عنــدها ومن ثم فلابد من التقديم لها بين الحين والآخر بل والاحـترام البـالغ عند المرور بها وعدم إحـداث صخب أو ضجيج ، فإذا انتقلنا إلى كارلنجا في جبال تلشي لوجدنا العديد من المواد التي يعتقد أنها ذات فعالية سحرية بما لديها من قوة كامنة كـما نجد في القرط الحديدي المقدس Tygun والذي يثبت في أذن الزعيم اليسرى يضعه عند ولايته مساعد الزعيم للشئون الطقسية وحـامل الرمح المقدس abanyora

«أبانيوراء (١) وفى جبال Talodi يحتفظ صانع المطر فى مسكنه بقطعة من اناء خزفى يضع عليه ثلاث قطع صغيرة من حجارة الرحى حيث يستعين بها دوما فى ممارسة الطقوس ....(٢) .

وهكذا نجد أن مفهوم الوثنية فى هذه الديانات التقليدية يرتبط أساسا بفكرة الاعتقاد فى الكائنات الروحية وتلك وثيقة الصلة بالمفاهيم والممارسات التى سوف نعالجها الآن فليس **ثمة مفهوم او اصطلاح الا وارتبط بالكائنات الروحية او الكائنات العليا بصورة أو اخرى** ، الأمر الذى يجعلنا نرفض مع ايفانز بريتشارد وبشكل قاطع ماذهب إليه صمويل بيكر Sir Samuel Boker والذى كتب مقال له إلى الجمعية الاثنولوجية بلندن Ethnological society of London منذ مائة عام أو يزيد (١٨٦٦) مشيرا إلى معتقدات القبائل النيلية الشمالية أنهم دون استثناء لا يعرفون الاعتقاد فى كائن أعلى Supreme Being وليس لديهم أى شكل من أشكال العبادة أو الوثنية Idolatry فالفتشيه ظاهرة عالمية تنتشر فى المجتمعات التقليدية وان اختلف عمق الايمان بها ودلالته .

* * *

---

(١) فاروق اسماعيل — الانثروبولوجيا الثقافيه ج٢ ص ١٠٨ .

(٢) المرجع السابق — ص ١٣٨

(3) Evanz pritchard, op. cit, p. 6.

الفصل الثانى

الأساطير Myths

ان كلمة اسطورة Myth أشتقت من اليونانية Mythos والتى تعنى كما يظهر من هوميروس منشد الألياذة والأوديسة الملحمتين اليونانيتين المشهورتين بجرد الكلام والبيان .

ويمكن القول أن كلمة اسطورة تشير إلى محاولة الانسان أينما وجد وأيا كانت ثقافته لتفسير أحداث الكون وظواهره ، بدء العالم ونهايته ، خلق الانسان وأحداث الطبيعة ... الخ . ان كل الثقافات الانسانية فيما يبدو تشارك فى خوفها من المجهول ، وهى فى محاولتها تفسير الغموض المرتبط بنشأة الكون والخليقة وكيف تطورت إلى أوضاعها الحالية لجأت إلى الخيال فتولدت الأسطورة . ويذهب Lévi Strauss إلى أن الأساطير * نماذج على درجة

---

* علم الاساطير (الميثولوجيا Mythology) العلم الذى يتناول المادة الاسطورية بالدراسة والتحليل .

جاء فى معجم العلوم الاجتماعية ان اساطير الأولين ماسطره الاولون وما اشبهها بكلمة هستوريا اليونانية وتدل على معنى القصة أو الرواية أو التاريخ وتدل على ماكتبه الأقدمون أو تركوه من روايات وحكايات هى فى الاغلب احداث خارقة للعاده ... ويقسم مالينوفسكى Malinowski القصة الشعبية الى :

(ا) الوقائع التاريخية وهى وقائع حدثت فعلا وينقلها الرواة كما رأوها أو نقلوها عن آخرين .

=

عالية من التجريد تخضع لتفسيرات مختلفة ،وان الاسطورة لديها منطقها الخاص والذى قد يبتعد عن العـالم الواقعى(١) .

ومن ثم نجد أن كل ثقافة لديها مجمـوعة من الأساطير المحددة التى تدور حول الأصل والقوى الخارقة وعلاقاتالناس بها وقد تلقىالضوء على أسلافهم وتوضح كيف انفصلوا عن بقية المملكة الحيـوانية ومن ثم تعطى التفسيرات لتطورهم البيولوجى والاجتماعى (٢) .

وعادة ما تنتقل الأسطورة شفاهة من جيل إلى جيل عن طريق التلقين حيث

=(ب) قصص يقصها الراوى دون رؤية لوقائعها ... قصص يتناولها النـاس ويصفون فيها ماحدث لرجال القبيلة فى أجيالها المختلفةوماصادفوه من تجارب.. وتلك تمثل الاساطير .

(حـ) نوع أخير وهى القصص المتعلقـة بالمجتمعات الأخرى وقـد حدثت فى فى عصور تاريخية سحيقة ...

هذه الانواع الثلاثة (الوقائع التاريخية والاساطير والقصص التى سمعها الرواة عن المجتمعات القديمة) تدخل فى نطاق الاساطير العلمانية وتلك تختلف عن الاساطير الدينية التى يغلب عليها الطابع الغيبى اللاهوتى ، فالاساطير العلمانيةتدور حول (الانسان) والاساطير الدينية تدور حول (الجن والآلهة وعالم مابعد الطبيعة)

انظر : معجم العلوم الاجتماعية د. ابراهيم مدكور وآخرون ص٣٨ ومابعدها

(1) Fred plog & Deniel Bates, Cultural Anthropology, Alfred A.Knopf inc, 1976, p. 230

(2) David E. Hunter and philip Whitten, The Study of Cultural Anthropology, p. 50

يقـوم كبـار السن بنقـل هـذه الأبنية الأسطورية فى نقـلات مختلفة different Versions إلى الأجيال التالية ، وقد كشفت المادة الاثنوجرافية ان الاسطورة تلعب دوراً هاما فى حياة الافراد ،حقا من النادر أن تكون وقائع الأسطورة وأحداثها ملزمة إلى حد كبير إلا أنها بلاشك تؤثر فى سلوك الناس وأساليبهم . يقول إيفانز بريتشارد Evanz pritchard اننا لكى نفهم الدين البدائى لابد أن نبحث فى شعائره وأن ثمة صلة وثيقة بين الشعـائر rites والأساطير وان تلك الأخيرة تشرح لنا هذه الشعائر وتفسرها *

ويرى روبرتسن سميث Robertson Smith أن ثمة ارتباط وثيق بين الأساطير والطقوس وان كان يعتقـد أنها (أى الأساطير) لم تكن تمثل جانباً رئيسياً فى الديانات القديمة اذ لم يكن الإيمـان بها اجباريا وكجزء من الإيمان الحقيـقى .

ويقول Radcliffe Brown فى كتابه عن جزر الاندمان The Andaman Islanders ان البدائى يسعى إلى الحقيقة وإلى نفسير تصرفاته مدفوعا بما يحيط به من ظـواهر الكون ، وطبيعى ان الاسباب التى يصل اليها لا تطابق الدوافع السيكولوجية الفعلية للأفعال التى يريد تفسـيرها ... لذلك يجب أن ينطوى كل بحث وشرح للعادات الوطنية على تفسير للأسباب التى يقدمونها كمبرر لاتباعهم هذه العادة ، وتلك القصص التى تبدو لاول وهلة خرافة هى فى الحقيقة الوسائل

---

* يربط ايفانز بريتشارد فى معرض حديثه عن الدين البدائى بين الدين والشعيرة والاسطورة من ناحية وبين الشعيرة والقربان من ناحية أخرى .

انظر : E. Evanz. pritchard, Theories of primitive Religion. Oxfordun. press, 1965. p. 53

التى يعبر بها هؤلاء البدائيون عن اتجاهاتهم الاساسية فى الحياة وطبيعة عواطفهم المرتبطة بتلك الاتجاهات ، ويذهب W. Ward إلى أن الدين الذى نشأ نتيجة الرغبة القوية فى التقـــرب من القوة التى تتمثل فى الكون وأن الاتجاة الميثولوجى بما يضعه من تفسيرات وما يقدم من تصور لطبيعة الآلهة أو القوى الاخرى قد يساعد الانسان على الاحتفاظ بعلاقته بهم على أسس سليمة .

وأيا كان الامر فان الاساطير وجدت لدى الشعوب والجماعات كنوع من التراث الثقافى والاجتماعى(١)ومن ثم فان لكل قبيلة أساطيرها الخاصة بها والتى قد تختلف باختلاف العشائر وداخل النطاق القبلى ، وقد تبدو الاسطورة متشابهة إلا أن كل عشيرة أو قبيله فرعية ترددها على نحو مغاير يعبر بطريقة أو أخرى عن ماضى الاجداد والاسلاف أو الآلهة والخلق والقوى الخارقة للطبيعة فضـلا عن تمجيد الابطال .

والجدير بالذكر ان لهذه الاساطير جانبها الاخلاقى والذى يستهدف أن يوضح كيف أن أنواعاً معينة من السلوك الاجتماعى يعتبر سامياً أو يكون متدنياً لدرجة يستحق الجزاء (٢) وهى فى الحقيقة لا تلزم الناس باتباع سلوك محدد الا أنها دون شك تؤثر فى سلوكهم وفى تقديراتهم كما سوف نرى حين نعود للجانب الاسطورى الذى اتاحته المادة الاثنوجرافية التى جمعتها فى Koroggo مثلا أو فى جبال تلشى Tullishi بل ان استعراض التراث الاسطورى لدى كثير من الشعوب سوف يوضح لنا أن ثمة ارتباط وثيق بين الاساطير والممارسات الدينية

---

(1) احمد الخشاب المرجع السابق ص ٥٧ ومابعدها.

(2) David Hunter, op, cit, p. 50

ولعل هذا هو الذى دفع إيفانز بريتشارد على نحو ما أشرنا منذ قليل إلى الربط بين الاسطورة والشعيرة على اعتبـــار ان تلك الاخيرة تعمل دوما على تأكيد الارتباط بين السلوك الإنسانى ومقدساته وقد توضح من ناحية أخرى إلى حـــد ما مبررات هذا السلوك وعلى حد تعبير جان رد هاردت G. R-dhardt ان الشعيرة ما هى إلا تمثيل للحدث الاسطورى أو على الاقل محاولة لاستحضاره أو استنباطه ، ولن نستطيع هنـــا أن نعرض للعديد من الاساطير وانما سنكتفى هنا باشارات اسطـــورية قدمتها المادة الاثنوجرافية حتى نستطيع ان نعرض لخصائص الاسطورة ومقوماتها على نحو ما سوف نستنتجه من هذه القصص او النقلات الاسطورية ان صحت هذه التسمية .

يذهب هوبير ديشان Huber Deschamps فى كتـــابه « الديانات فى افريقيا السوداء » وفى عرضه لفكرة الكون عند قبائل البامبارا Bambara ان الكون فى البداية كان فراغاً يتحرك بحـــركة ذاتية حول محورين حلزونيين يدور ان فى اتجاهين مختلفين فأنطلقت من بينهما قوة هائلة « زو ZO » نشأ منها العقل « يو yo » فلما دار الجهاز فى الجهات الأربع تكونت عنه عوالم أربعة ، فالعالم الحاضر هو الثالث . والرابع هو المستقبـــــل وعلى ذلك تكون حركة الذبذبة هى سبب نشأة العالم ، ثم يتبع ذلك نشأة المخلوقات ثم تلى ذلك سقوط مادة ثقيلة فى ذلك الفراغ فتولدت الأرض وفى الوقت نفسه تقـدم جانب من العقل « فارو Faro » وأخذ يعلو فخلق السماء ، ثم تهبط هذه القوة من جديد على الأرض على هيئة المطر لتمدها بالحياة فيظهر العشب ثم العقرب ثم السمك ثم التمساح وحيوانات أخرى مائية ، وكان الانسان نفسه فى بدء الأمر حيواناً مائياً خرج من الماء ولذلك زعم البامبارا أن الصيـــادين (بوزو) هم أول المخـــلوقات .

أما قبائل الدوجون Dogon الافريقية فيزعمون ان الاله Amma خلق النجوم بأن قذف فى الفضاء كرات من الطين ، وخلق الشمس والقمر بأن سوى كرتين بيضاوتين أحاط أحدهما بدائرة من النحاس الاصفر والاخرى بدائرة من النحاس الابيض ، وان الجنس الاسود ولد فى الشمس والجنس الابيض ولد تحت القمر ، ثم ألقى كرة أخرى من الطين ودحى فيها الارض وبسطها من الشمال إلى الجنوب فى صورة أنثى ثم اقترن بها فولدت « ابن آوى » ثم ولدت له عدداً من الجن Nommo فرأى أحدهم أمه عارية فكساها كساءاً من لحاء الشجر غير أن ابن آوى لما رأها عارية أغتصبها فسال منها دم الطمث وهكذا ارتكبت الخطيئة الاولى وهى الاقتران بالمحارم(١).

ويقدم لنا تايلور مجموعة من الاساطير تدور حول المجموعة الكونية الكبرى والتى تشمل الشمس والقمر والنجوم ، فقد كانت الشمس والقمر يعتبران دائما كائنين من الاحياء بل كثيراً ما كان الناس يتصورون أن لهما طبيعة أقرب إلى الطبيعة البشرية ذاتها . ومعظم الشعوب القديمة والشعوب البدائية كانت تقابل بين الشمس والقمر من ناحية ، والذكر والانثى من ناحية أخرى ، وان كانت تختلف على أى الكوكبين هو الذكر وأيهما له خصائص الانثى ودورها ، كما كان هناك خلاف على طبيعة العلاقة بينهما . فبعض المجتمعات تتصور العلاقة بينهما هى علاقة زوج وزوجته بينما يتصورها البعض الآخر علاقة أخ وأخت. فقبائل الموبوكوبى Mobocobi الذين يسكنون أمريكا الجنوبية مثلا يعتقدون أن القمر هو الزوج والشمس زوجته ، وتذكر لنا الاسطورة كيف أن الزوجة

---

(١)هوبير ديشان / الديانات فى افريقيا السوداء ، ترجمة أحمد صادق مراجعة محمد عبد الله دراز ،دار الكتاب المصرى ، ص٦٠ ومابعدها.

(الشمس) وقعت ذات مرة من مكانها فأسرع إليها أحد الهنود الحمر وأعادها إلى مكانها . ولكنها وقعت مرة أخرى وسط احدى الغابات فأشعلت فيها ناراً هائلة أتت على معظمها .

وعند قبائل هنود الالجونكان أسطورة تقول إن الشمس هى الزوج والقمر هو الزوجة وانهما أنجبا ابنا يتبادلان تربيته ورعايته ، وحين يحتضن الاب (الشمس) ذلك الابن تحتجب الشمس عنا ، بينما يحدث خسوف القمر حين تحتضن الام (القمـر) ابنها . ويعتقد بعض الهنود الحمر فى كندا أن الشمس والقمر أخوان وعندهم اسطورة عن اثنين من الهنود أمكنهما القفز إلى السماء فوجدا نفسيهما فى أرض لطيفة يضيئها القمر بنوره الفضى الجميل ، ثم لم يلبث ان أقبل عليهما من وراء بعض التلال فى شكل امرأة متقدمة فى العمر ولكن ذات وجه أبيض لطيف ، وتكلمت إليهما فى رقـة ولطف ، ثم صحبتهما إلى أخيها (الشمس) الذى حملها معه فى رحلته اليومية ثم أوصلهما أخيراً إلى أرض القبيلة وتركها بعد أن ملأ نفسيهما سعادة وغبطة .

وعند قبائل الانكا Inca التى تسكن بيرو أسطـورة . تقول أن الشمس والقمر كانا فى الأصل أخوين (أخا وأختا) ثم تزوجا وأصبحا زوجا وزوجة ويرون فى ذلك مبرراً كافيا وسببا لنشأة عادة زواج الرجـل من أخته التى تشيع عندهم .

وتوجد إلى جانب ذلك أساطـير أخرى عن العلاقة بين الشمس والقمر لا تصطبغ بهذه الصبغة الجنسية . وان كانت تعكس لنا فى وضوح المبدأ الحيوى والتشخيصات التى يكتسبها الكوكبان بسبب هذا المبدأ ، فعند سكان المكسيك مثلا أسطورة تقول ان الشمس فى الأصـل هى أحد الأبطال ، فقد حدث أن

الشمس القديمة تقدمت بها السن واحترقت تماما وتركت الدنيا فى ظلام دامس ، فتقدم هذا البطل وأوقد ناراً هائلة ألقى بنفسه فيها فأحترق وانتقل إلى عالم تحت الأرض وهو يتلظى ، ثم لم يلبث ان ظهر فى اليوم التالى من الشرق فى هيئة الشمس .

وقد قفز من بعده فى تلك النار بطل آخر يريد أن يصبح شمساً ، ولكن النار كانت قد بدأت تخبو وتبرد ولذلك فإنه حين ظهر من الشرق كان ضوؤه أضعف من ضوء البطل الأول بكثير وأصبح قمراً .

ونستطيع من هذه الامثلة القليلة أن نرى بوضوح كيف أن الشمس والقمر يتمتعان بطبيعة أقرب إلى طبيعة الانسان بل أن بعض الاساطير كما هو الحال فى الأسطورة الاخيرة من المكسيك ترى أن روح الإنسان تتقمص فى كل من الكوكبين ، وما يقال عن الشمس والقمر يقال عن النجوم وعن كل مظاهر الطبيعة، فالارواح تتقمص الصخور والآبار ومساقط المياه والبراكين وشياطين الغاب وحوريات البحر والجنيسات التى تتبدى للعيان أحيانا فى ضوء القمر ، والرعود والبروق والامطار والرياح وما إليها ويحشد لنا تايلور كثيراً من الاساطير التى تدور حول هذا المعنى (١).

فإذا ما تركنا أساطير الكون والشمس والقمر والنجوم لوجدنا أن ثمة أساطير أخرى تتناول بداية الخلق أو ظروف النشأة بل أنها تذهب إلى القاء الضوء على التوزيع الايكولوجى وطبيعة البناء الاجتماعى والخصائص الحيوية لسكان اقليم من الاقاليم كما نجد فى الاسطورة التالية ان الا له موسلا Musalla فى كارلنجا

(١) أحمد ابوزيد : تايلور دار المعارف بمصر ، ١٩٥٧ ص ١١٤ ومابعدها

من جبال تلش * زرع منذ البدء نوعاً من النباتات (القرعة) على قمة جبل تلشى وعندما نضجت الثمرة انشقت من تلقاء نفسها وخرج منها رجل وامرأة هما أسلاف قبيلة تلش ، ومع مرور الوقت أصبح عندهم ذرية كبيرا ،وما لبثت ان

---

* ويمكن القول ان سكان كارلنجا يمثلون بناء عشائرياً بسيطاً وقد اطلقت عليهم هذه التسمية نسبة الى اسم الجبل الذى يعيشون فى نطاقه ، وعلى الرغم من انهم انفسهم يدركون ذاتيتهم على أنهم امتداد لسكان جبـــل تلشى ، أى أنهم يدركون هويتهم على أنهم مغايرون ومختلفون الى حد كبير عن جيرانهم من البقارة أو الدنكا ، انهم بمثابة جماعة قرابية تنحدر الى أصل مشترك يشعرون بمشاعر الولاء والانتماء والمسئولية الجماعية تجاه بعضهم البعض كتلك التى تبدو فى الدعم النفس والمادى فى حالات العداوة أو النزاع مع العشائر الاخرى ، فالتنظيم الاجتماعى للعشيرة هو الذى يحدد للفرد حقوقه وواجباته والتزاماته تجاه جماعته القرابية . وفى الحقيقة انه من الصعب للغاية أن نصل من ارتباطات العشائر المختلفة الى سلف واحد نسبة إلى اسم الجبل الذى يعيشون فى نطاقه ، وفى الحقيقة أنه من الصعب للغاية أن نصل من إرتباطات العشائر المختلفة إلى سلف واحد أو أصل مشترك لسكان تلشى أو حتى مجرد مؤسس أسطورى على نحـو مانجده لدى كثير من القبائل ، إذ أن سلسلة النسب للعشيرة pedigree Clan لاتلبث أن تقف بعد أجيال قليلة .

انقسمت ونشب النزاع فيما بينهم (لا يعرف سبب هذا النزاع فيما يقول نادل) الامر الذى ترتب عليه هجرة الرجل مع بعض ابنائه إلى الجهة الشرقية من الجبل، والمرأة مع البعض الآخر إلى الجزء الغربى ، وتمضى الاسطورة فتذكر لنا أن الذين هاجروا مع أبيهم كانوا أقوياء أعزاء كثيرو العدد ، والعدة ، أما الذين رحلوا مع أمهم كانوا قلة ضعفاء لا حول لهم ولا قوة ومنذ ذلك اليوم والحقد والكراهية والنفور يسود علاقاتهم مع بعضهم البعض وبالتالى يخشى كل فريق زيارة مقر الفريق الآخر خشية الاعتداء والعين الشريرة أو الممارسات السحرية (١) .

ان هذه الاسطورة تلقى الضوء على التقسيم الثنائى لقبيلة تلشى وعلى طبيعة البناء الاجتماعى بل وعلى الخصائص الحيوية لسكان هذا الاقليم ، والتى يمكن ادراكها بسهولة فالقسم الشرقى مأهول بالسكان ومن ثم أحساسهم بالعزوة والعصبية فى حين نجد ان القسم الغربى - أبناء المرأة - قليل العدد والحيلة ضعفاء ومستسلمين ، وعلى الرغم من الوحدة الجغرافية للاقليم الا ان الحدود المصطنعة أو الوهمية التى نسجتها الاسطورة قد صبغت سلوكهم وفرضت الكثير من القيود على تحركاتهم بين القسمين الشرقى والغربى خاصة فيما مضى ، بل قد انعكس على عاداتهم واسمارهم ومشاركتهم الفعلية وتحركاتهم اليومية اذ يتحتم على البعض فيما يذكر لنا Nadel ان يختاروا دروباً معينة فى انتقالاتهم (السير تجاه عقرب الساعة) فى حين يتحتم على الآخرين ان يسيروا فى الاتجاه المضاد حول المنطقة المعروفة بجبل الموتى ، كما ينعكس هذا التقسيم فى طرق دفن الموتى حيث يدفن

(I) Nadel op. Cit., p. 322.

الرجال ورؤسهم تجاه الشرق أى فى اتجاه القسم الذى انصرف اليه الأب وتابعوه فى حين تدفن النساء تجاه الغرب لنفس السبب .

وعلى النقيض من ذلك فان اسطورة «كورنجو Korongo جنوب كردفان تذهب الى القول بوجود مؤسس اسطورى وان الناس هناك يمثلون سلالة مؤسس القبيلة ويقدمون لنا نقلة اسطورية تحمل فى ثناياها الكثير من الحقائق التاريخية والرمزية أو حتى مجرد حكايات قد يعتريها التحريف أو الاختلاف نجدها فى شكل أو آخر وسوف نعرض هنا لاحدى هذه المقلات للتعرف على مضمونها فالناس فى منطقة (كوجالا) يرددون بين الحين والآخر (نقله أسطورية) تفيد أن شخصاً كان يعيش قديماً بمفرده فى هذه المنطقة يزرع اللوبيــا والعيش (الذرة) وقدلاحظ أن شخصاً ما يأتى ويسرق بعض الزرع ، وقد حاول جاهداً معرفة السارق دون جدوى ، وقرر يوماً أن يختفى وراء التل لمعرفة الفاعل ، ولكن مالبث أن رأى ثلاث فتيات ، وجرى خلفهن ، فأسرعت الفتيات إلى بركة ماء وأختفين ، وتمضى الأسطورة فتقول أن الرجل ظل يبكى فخرجت من البركة أمرأة أخرى طاعنــه فى السن وسألته عن سبب بكائه والحزن الذى يعتريه فأجابها بأنه يريد الزواج من احدى الفتيات اللاتى أختفين فى البركة ، فوافقته على أن يتزوج واحدة ، ومنها أنجب أبناء (كوجالا) بل سمى الابناء كوجالا منيه وتعنى أبناء المرأة التى خرجت من الماء . وبعد وقت قصير أنجب الرجل طفله ومن ثم أصبحوا ثلاثة . وكانت الطفلة تنفرد بالمعيشة فى مسكن خاص ومع مرور الوقت اكتشفت الأم أن طفلتها لاتعيش بمفردها بل أن هناك طفلة أخرى تنام معها ليلا ، احتارت الأم وأمسكت بالطفلة وسألتها من أين جاءت ؟ فأشارت الطفلة أنها جاءت من هنا مشيرة الى أرض الحجرة

« مابكولو » ، وكبرت الطفلتان وتزوجتا وسمى نسلها « كوجالومابكولو » * اشارة الى الماء والأرض** وكما نرى أن الانتماء القبـلى لديهم واضح الى حد بعيد سواء استخدموا الاسم القبلى « كاسنجالى» للاشارة الى الفروع القبلية أو البدنات مثل كفارة أو كجندى أو كاسو للى أو منطقة الأقامة .

وقد تضفى الاسطورة نوعا من القداسة على الاسلاف أو الزعماء الروحيين وتصبغ وجودهم بنوع من المعجزات كما نجد فى تلك النقله الاسطورية لدى قبـائل النيمانج وتدور أسطورتهم حول كافنج Kafing وولا wula . أما الأول فروحه أو قوته السحرية بتعبير أدق ـ مسؤولة عن الزرع وتتحدث عن طريق وسيطها كجور أمنية دردمة فى قرية سلارا . فاجأ أمه المخاض وهى فى الغابه تجنى من الأشجار بعض الثمار فى وقت مجاعة طاحنه ، فكانت ولادته . واكتشف أنها لا يمكن أن تحمل مولودها وماجمعته من ثمار فى آن واحد فالحمل ثقيل والمسافة للقرية بعيدة فقررت أن تترك أبنها هنا ـ تستمر الأسطورة ـ نزلت الصقور وبدلا من أن تقضى عليه حجبت عنه ألسنة الشمس الحـــارة

---

* وهؤلاء ينتمى اليهم الزعيم الدينى أو الكجور كاسو للى .

** وان كانت الأسطورة يتناولونها بطرق مغايرة الى أن لها دلالات هامة على اعتبار انها بمثابة وثيقه اجتماعية ، ويمكن أن تستخدم معرفتنا أو مالدينا من مادة أثنوجرافية على منطقة كورنقو لتفسير محتوى هذه الأسطورة لن نخوض تفصيلا وانما سوف نكتفى ببعض الدلالات الراسخه فى أذهان سكان كورنقو أصل الكون والماء ، أبنه الماء ، الزراعة كمهنه رئيسيه وخاصة اللوبيا والذرة،تعرض الانتاج للسلب ، والنهب ، مازال المجتمع يعانى من البقارة أو غيرهم ممن يغيرون على زراعاتهم ، النسب الى الأم ... الخ وهكذا يمكن القول أن الأسطورة هى انعكاس للواقع الاجتماعى .

بأجنحتها وروحت عنه ـ ثم أتى القنفذ وسحبه داخل الشوك حيث أرضعه إلى أن كبر وتوجه إلى قريته فلم يعرفه الناس فحدثهم بهويته . أما ولا Wnla ـ سلف صانع المطر ـ فلم تلده أمه كما تلد النساء وإنما جاء مندفعـــاً من داخل ركبتيها بعد أن مسحتها بالزيت كما طلب منها وهو داخل رحمها وقد اكتملت رجولته فى أربع أسابيع فقط تماماً كرفيقة شلما Shilma أهم سلف فى جبل نتل .

وكما سبق الاشارة فإن **الاسطورة قد يكون لها جانبها الاخلاقى الذى يستهدف ايضاح كيف أن انواعا معينة من السلوك تعتبر سامية وانواع اخرى متدنيةلدرجة تستحق الجزاء** كما نجد لدى سكان استراليا الأصليين وعلى وجه التحديد قبائل الـ Kurnai والتى تحتم أن يجتاز صغار السن من الشباب شعائر التكريس القاسية حتى يمكن اعتبارهم فى عداد الرجال وتستمر هذه الطقوس نحو ثلاثة أسابيع حين يعزل هؤلاء الشبان فى سياج من النخيل وتقام الطقوس التى تستهدف استدعاء طائر Emuwren* طوطم القبيلة وأحد أسلافهم المميزين ويمتنع الشبان عن الحديث وقد غطوا رؤسهم طوال فترة التكريس ويسمح لهم باحداث نوع من الثرثرة كتلك التى يحدثها طائر الأمورن ، ويستمر الرقص الشعائرى والذى يشارك فيه الناس والرجال حتى يقع هؤلاء الشبان فى اغماءه، وعندمايستيقظون منها لاتلبث أن تحل بهم روحاً جديدة وتحدث المعجزة حين يظهر الطائر المقدس وعادة مايحضر المبشرون يتوسطهم زعيم القبيلة هنا ترفع أغطية الرؤوس وقد

---

* رمز للطوطم وهو طائر استرالى صغير الحجم أشبه بالنعامة الى حد كبير

(١) أحمد عبد الرحيم (أسلاف النيمانج) فى مجلة الخرطوم العدد ١٩٦٧ ص٤٣

صوبت الرماح إلى صدورهم مهددين أياهم بالقتل أن أباحوا السر المقدس إلى النساء أو أولئك الذين لم يكرسوا بعد ، ثم لايلبث أن يتلو الزعيم الأسطورة التى تشير إلى سلفهم وانحدارهم عن الطوطم ، ويغرس فيهم قواعد وأحـكام سلوكية ، فالصغار يجب عليهم طاعة الوالدين وأن يتعاونون مع الآخرين لخير مجتمعهم وأن يبتعدوا عن الصغيرات من الفتيات وأن يتزوجوا وأن يتجنبوا عدد من الأطعمة المحرمة .

بعد عرض النقلات الاسطورية من أجزاء متباينة من العالم سواء تلك التى انتشرت فى أفريقيا لدى قبائل Bambara أو Dogon أو تلك التى استمدتها من المادة الاثنوجرافية التى اتيحت لى فى دراساتى الحقلية فى جبال Tullishi أوفى كارلنجا أو فى Korongo جنوب كردفان بالسودان أو تلك التى أشار اليها تايلور لدى قبائل المبوكوبى Mohocobi فى أمريكا اللاتينية أو قبائل الانكا Incas فى بيرو أو المكسيك أو فى استراليا لدى قبائل Kurnai . يجدر بنا أن نعرض فى ايجـاز للملامح أو **الخصائص المميزة لهذه النقلات أو الروايات الاسطورية .**

أولا : أن الاسطورة ظاهرة عامة توجد لدى جميـع شعوب العالم على اختلاف مراحلها وإذا كان بعض الباحثين يذهبون إلى أن ظهور الاسطورة قد صاحب نشأة المجتمعات التاريخية أو ارتبط بالمجتمعات البدائية التقليدية ، الا أنه يمكن القول أن كل المجتمعات أيا كانت حضـاراتها مازالت تحتفظ ببعض الرواسب الثقافية الاسطورية وتتناقلها بصورة أو أخرى كنوع من التراث .

ثانيا : تتنوع الاسطورة وتختلف فهناك أساطير **الآلهة والكائنات المقدسة** وأساطير **خلق الانسان** كما رأينـا عن الدوجون والبامبارا وأساطير **الاجرام**

السماوية كما وجدنا فى أساطير قبائل الميوكوبى فى أمريكا الجنوبية والانكافى بيرو وأساطير تلقى الضوء على **الخصائص الحيوية للسكان** كما وجدنا فى جبال تلشى بالسودان .

ثالثا : الاسطورة تقدم لنا نموذج أو تصور أسطورى لنمط العلاقات بين الافراد والجماعات ، أنها تحدد القيمة أو الشئ المرغوب أو غير المرغوب يجرى الاحداث حتى ولو كانت الاسطورة تحدث مثل هذه الانماط السلوكية على لسان الآلهة أو الكائنات العليا أو غيرها ـ إذ أن ثمة اعتقاد أن الانسان البدائى على حد تعبير تايلور فى أن الارواح تتقمص كل الكائنات وأن فاعليتها هى التى جعلته يعتقد فى أن هذه الكائنات قادرة على السلوك مثلما يسلك الانسان ومن هنا جاءت الاسطورة لتمثل عقيدة أصحابها وقيمهم ومثلهم ومناهجهم عن الخير والشر فضلا عن نظرتهم للكون .

رابعا : إختلاف النقلات الاسطورية مردة ال العقل البشرى ـ فالخيال الانسانى على مر الزمن أضاف اليها أو حذف منها أو حورها وأدخل عليها التعديلات من حين لآخر ومن ثم كان هذا التباين والاختلاف . وأن أصبحت بعيدة عن الواقع فإن ثمة علاقة وثيقة بينها وبينه .

خامسا : الاسطورة ترتبط بمحاولة الانسان البدائى فهم الكون وما يحيط به من قوى خفية مسيطرة ومن ثم جاءت الاسطورة كمحاولة لفهم مايكتنف

---

(1) Smith kag, Birket, primitive man and his way, Translated from the Danish by Ray Duffel, Adhams press, LTD, London, 1960, p - 49.

(٢) احمد أبوزيد المرجع السابق ص ١٢٧ ومابعدها .

العالم المحيط به من غموض ، ومن ثم تناولت الآلهة والقـوى الخفية (ماوراء الطبيعة) والنار والرياح والشمس والقمر والنجوم والميـــاه والبرق والرعد والجن .

سادسا : تشابه الاساطير ولعل هذا مادفع تايلور Tylor إلى الحديث عما أسماه عنصر المماثلة الكامن فى الأساطير فسكان جزر البحر الجنوبي يتصورون قوس قزح على أنه سلم يوصلهم الى السماء ويصعد عليه الابطال مثل هذه المفاهيم نجدها لدى سكان اسكنديناوه حيث يصورون قوس قزح على أنه الجسر الذى تعبر عليه أرواح الطيبين من البشر حيث تحملهم الملائكة الحارسة الى السماء والى الجنة ، يسمى الاسرائيليون قوس قزح بقوس ياهـ واه Jehauah ، والهندوس قوس راهـــا والفنلنديون سيف تيميرس ولدى سكان كورنقو Korongo فى جنوب كردفان يرى البعض ان قوس قزح انها يمثل ابناء الاله موسلا .

فى هذه التصورات الاسطورية نجد محاولة العقل ليجيب فى نهاية المطاف على تساؤلاته او يقدم تفسيراً قد يكون من وجهة نظره مقنعاً .

سابعا : مهما تكن عمومية الاساطير فى منطقة ثقافية واحدة فإن للاسطورة دلالتها المتمايزة المتفردة ، اذ نجـد ان كثيرا من روايات الخلق فى العـالم تجعل الماء مصدراً للوجود كما رأينا فى أسطورة كورنجو Korongo والتى ذهبت الى أن الماء تتولد منه المخلوقات «كوجالا مينه» فى حين نجـد أن الماء يمكن ان يكون شيئاً مقدساً فحسب فى نقلات اسطورية اخرى .

وبعد أن البناء الاسطورى مازال يحتاج الى العديد من الجهود العلمية للبحث

فى الاسطورة نشاتها ووظيفتها الرمزية ، وقد تحتــاج فى كثير من الاحيان وعلى الاقل فيما يتعلق باساطير النشاة وخلق الانسان أو الاسلاف الى الاستعانة بالمنهج الجينالوجى فقــد نجــد أن ثمة رابطــة بــين خــلق الانسان وانساب الآلهــة * أو بين الأسلاف والآلهة أو الأرواح المقدسة .

يذهب Eric Ten Raa فى مقال له بعنوان

The Cenealogical Method in the Analysis of Myth

إلى أهمية استخدام المنهج الجينالوجى فى تحليــل الاسطورة . وأن كان يحدد هذا الاستخدام فى الأساطير التى تحوى مادة تعــين على ذلك فى حين يستبعده بالنسبة لتلك التى لاتحوى مادة يمكن تطويعها للتحليل الجينالوجى ، أى تلك التى ليس لها أساس فى العلاقات القرابية أو النسب والمصاهرة (١) ويؤكد Raa الى أن هذا المنهج يمكن أن يكون مثمراً فى استخلاص الرسالة الإجتماعية من الأسطورة بل ويمكن أن تحذف الرسائل النوعية أو النغمات القروية الغير متضمنه فى جوهر الرسالة والتى تبتعد عنها وتتعارض مع مادتها الأساسية ويضيف Raa فى معرض حديثه عن أسطورة الخلق فى قبائل الساندوا Sandawe أنه لابد أن يكون لدينا عدد كاف من النقلات Versions سواء على المستوى المحلى أو من مجتمعات أخرى متباينة (٢) .

ومن ناحية أخرى فإن استخدام المنهج الوصفى التحليلى سوف يعيننا

---

* كما نجد فى الأساطير التى تشير الى أن الانسان كغيره من المخلوقات ينتمى الى الروح الألهى أى أن ثمة علاقه وثيقه بين الانسان وأصوله الألهية.

(1) Eric ten Raa, The Genealogical Method in the Analysis of Myth, and a structure Model Geneological Method, p. 341.

(2) Bid, pp. 341—342.

إلى حد كبير من خلال إستعراضنا لهذه النقلات الأسطورية المرتبطة بموضوع معين ، هنا يتعين علينا التعرف على الاسطورة فى جملتها واستخراج عناصرها والبحث عن العناصر الأخرى المفقودة أن أمكن ومدلولاتها المباشرة فقد تكون للقصة الأسطورية معنى غير ذلك الذى ترويه ، وقد تستهدف رسالة ماعبر عنها البناء الأسطورى بطريقة رمزية ، إذ من خــلال الأسطورة يحاول الانسان أيا كانت ثقافته وزمانه ومكانه أن يفهم الدنيا والحياة، أن الأسطورة باعتبارها وسيلة لهذا الفهم تعتبر صورة من صور الادراك العقلى .

* * *

الفصل الثالث

الالوهية Divinity

لاشك أن التقدم الكبير فى الدراسات الاثنوجرافية فى الحقبات الأخيرة من القرن الماضى وبداية هذا القرن كتلك التى قام بها Howitt ، Gillen لسكان استراليا Seligman, Hadden, Cadrington لسكان ماليزيا و Blogdin Keat, Kruigt لأندونيسيا F. Boas للاسكيمو ، Macdonalds nadel, Evanz Pritchard, Selijman لأفريقيا وغيرهم كثيرون قد كشفت عن أن فكرة الألوهية Divinity وجدت لدى جميع الشعوب الوثنية التقليدية ، فى هذا الصدد يقوى Evanz pritchar d أن الوصول إلى فكرة الألوهية بمثابة استنتاج عقلانى لدى الانسان ، ان العالم قد صنعه كائن أعلى Superior Being .

يذهب فرنسيس دنج F. Deng فى معرض حديثه عن الألوهية عند الدنكا : أن الدنكاوى ينظر إلى الجنس البشرى كما لو كان خاضعاً لقوة واحدة عليا لديها القدرة على الخلق والتدمير ، وطالما كان البشر مختلفين فان آلهتهم مختلفة ومن ثم كان لكل جماعة سواء أكانت عشيرة أو قبيلة آلهتها الخاصة التى يعبر عنها الدنكاوى حين يقول « يا إله أبى » أو « يا إله أسلافى » إنه يلجأ اليها لاستعادة التجانس الذى كان قائماً وخاصة حين يقاسى الانسان من سوء الحظ أو المرض أو الوفاة ويعتقدون أن آثار الآلهة واضحة فى الكون تتمثل فى كل مالا يستطيع الإنسان تبريره أو إدراكه وفى الحقائق غير المعروفة لديهم فالرعد

والبرق والمطر جميعها مرتبطة بالآلهة ، الرعد يتمثل فيه صوت الآلهة الغاضب ، والبرق يشير إلى الهراوة المتوهجة والتى تمسك بها لتقوض شرور العـالم وخطاياه . إنجاب الأطفال هدية من الآلهة والنساء اللائى لا ينجبن ربما أسأن إلى أنفسهن أو أساء إليهن آخرون ، ربما تغير الآلهة موقفها إذا ما قدمت القرابين والضحايا المناسبة (١) ولا يختلف عن هـذا جيرانهم من سكان جبل كارلنجا (جبال النوبا) حين يقولون تعبيراً عن القدرة الإلهية إن « موسلا » Musala* قضى على الأبقار والأغنام والدجاج وسلبها الحياة لانه يحتاج إليها ويقولون أنه يقتل الناس بالتدريج يقضى على الكبار أو بعضهم ثم يسمح للآخرين بالانجاب ، ثم يقضى على جماعة أخرى ويأتى بنسل جديد وهكذا ...إنه مضطر لأن يفعل هذا

---

(1) Deng, Frencis. The Dinka and Their Songs, Oxford Library of African literaiture, 1973, p. 52.

* يسمون أحيانا Mussala Maadamba او الذى فى السماء او اله السماء واحيانا يشيرون الى القدرة الإلهية بقولهم Mussala Maani او Mussala Maspa اى اله ابى او الإله العظيم abra de bodien ويسمونه Rumahriyaala أى الذى فى الأعالى (انظر محمد مارون الكافى فى كتابه الكجور ، شعبة الفولكور معهد الدراسات الأفريقية ـ الاسيوية ، الخرطوم ، ص ٣٨ ومابعدها .

وايا كان الأمر فإن تسمية الإلهة فى جبال النوب تتعدد وتختلف من جبل لآخر يقول Seligman إن سكان جبل Eliri ينظرون الى Kala على انه الإله الخالق المبدع (Seligman, p. 393) اما Mac Diamond فيرى ان Kala تعنى المطر أيضاً فضلا عن الاله ، اما فى جبال Amira فإنهم يسمون آلهتهم Kando وفى كاربيى Masala وفى جبال Kandarma يطلقون عليه Elo الكائن الأعظم Mac. Diamond p. 2.3

حتى يجد الاحياء كفايتهم من الطعام والشراب (١) .

أما سكان جبل كورنجو Korongo (من جبال النوبا أيضا) يستخدمون كلمة Musala للاشارة إلى الكائن الاعلى الذى يسمو على البشر ويتمتع بقوى هائلة لا يمكن ان تقارن بها قوة الإنسان .

اما جيرانهم سكان جبال الانقسنا Ingassana فيرون ان موت المراة الحامل يعنى ان الإله « تل » قد اتصل بها جنسيا وان من اصابه مرض عضال فقد راى الإله اثناء تجواله بين السماء والارض . ويقول احدهم اننا نحاول استرضاء الإله (تل) بتقديم « المانح تل » اى القرابين وإلا جعل حياتنا صعبة فقد نمرض او نموت وقد تلحق بنا احداث سيئة (ضعف المحصول - هلاك الماشية - وعدم سقوط الامطار - العقم ...)

إننا لا نصلى ولا نتحدث إلى « تل » مباشرة إننا نناشد الجد الاكبر « سيار » ان يحقق الوساطة بيننا وبين الإله تل(٢) وهكذا نجد ان Abra; de Mussala او Tell وغيرها انما تطلق على الإله الاعظم او القوة المطلقة ، ولا يختلف هذا عما نجده لدى غيرهم من الشعوب والجماعات فلدى اقزام Tiri التى درسها الاب شميدت Schmidt فى بداية هذا القرن يسمونه الههم او كائنهم الاعلى Mangu ولدى بعض قبائل Bantu يسمونه الكائن الاعلى مولونجو Mulungo وإذا سمعوا الرعد قالوا ان مولونجو يتحدث . ويسرد لنا هوبير

---

(١) فاروق اسماعيل ، اثنوجرافيا كارلنجا ، دار المعرفة الجامعية ، ص ٥٣ .

(٢) فاروق اسماعيل ، الانثروبولوجيا الثقافية ، الجزء الثانى ، المرجع السابق .

ديشان Hubert Deschamps اسماء الآلهة او الكائن الاعظم لدى العديد من الشعوب الافريقية فى كتاب الديانات فى افريقيا السوداء ، Les religions De L' Afrique noire إن قبائل الدوجون Dogon يسمونه Amma ، والبامبارا Bambara يدعونه Fara والاشانتى Ashanti يطلقون عليه Mana واليوربا يسمونه Oloroun اما IBO نيجيريا فيشيرون إليه بكلمة Choukou (١) وهكذا .

وقد اثبتت الدراسة الحقلية ان الاسماء التى تطلق على الآلهة قد يطلقونها على كائنات او مسميات اخرى كما هو الحال لدى قبائل Ingassana حيث «تل» هو الإله اصل الكون وخالقه ، وقد يطلقون نفس الاسم على الشمس واحيانا يسمونها « تل الصغير » (٢) ولايقتصر هذا على جبال الانقسنا ، ففى جبال النوبا شمالا يطلقون على الإله Abra,de ونفس الكلمة يطلقونها على الوسيط الروحى او الشخص الذى تقمصته روح الاله او روح الاسلاف ، اما فى جنوب الجبال فإنهم يطلقون على الاله Mussalla إلا انهم يميزون بين موسلا الكبير والصغير حين يقولون Mussala maa Titik, Walla maa dappu ويقصدون بالاول القوة الكبرى التى جسدت العالم ، والاخرى القوة الصغرى التى تجسدت فى الكجور * او القوة التى حلت فى الانسان الذى اختارته القوة الكبرى

---

(١) هوبلر ديشان ، المرجع السابق ص ٤٤

(٢) فاروق اسماعيل ، الانثروبولوجيا الثقافية ، دار المعرفة الجامعية ص

* سوف نتحدث عنه بعد قليل .

وعاء لها (١) . إلا أن وضعهما منذ البداية كان متقارباً إلى حد بعيد ، وأن أمهم الأولى كانت تجلس على الارض وحين حاولت الوقوف على قدميها أصطدمت رأسها بالسماء فتناولت العجوز عصا وضربت بها السماء ومن ثما أخذت السماء فى العلو إلى أن أستقرت فى مكانها الحالى وتختلف الأساطير حول قصة الانفصال هذه إلا أنهما جميعاً تدور حول دور العجوز فى عمليـــة الانفصال هذه وأن « تل » سرعان ما أيقظ الانسان والحيوان والأرض ومنحها جميعاً قوة الانتاج والتناسل .

أما سكان كارلنجا (التلشيون) فإنهم يعتقدون أن موسلا بمثابة القوة الروحية والـكائن الأعظم كما أسلفنا ، خالق الشمس والقمر والسماء والأرض والجبال ، يرسل إليهم البرق والرعد والرياح والمطر يعاقبهم بالقحط والجفـــاف لإهمال عادات الأباء والاجداد خالد لا يموت ، لا يمكن رؤيتـه وليس له مكان محدد أو مكان يؤدى إليـه (على عكس جيرانهم من سكان جبـال الانفسنا) .. وإن كان جيرانهم فى كورنجو يرون أن ميدا مابيجى « طور الميه » . هو الذى خلق مسلا القوة العظمى أو الاله الاعظم وأنه دائم التجوال فى الارض والسماء ليـــوزع الارزاق للناس ويخلق الاجيال .

يمكن رؤيته فى شكل ثعبان الماء « نى » وقد يظهر فى صورة بقـــرة أو ثور أو فى صورة كلب وقد يمتطى صهوة جواد وعلى الرغم من أنه الاله الاعظم إلا أنه فى أحـوال كثيرة لايأتى بالخـير إلا إذ تضرع الناس

---

(١) محمد هارون الكافى الكجور ، ص٤٧ معهد الدراسات الافريقية والاسيوية جامعة الخرطوم .

له وقدموا القـرابين ويسمونها « مانج تل » مناشدين جدهم الاكبر « سيار » أن يحقق الوساطة بينهم وبين « تل » كما فى حالة عدم سقوط المطر أو العقم او ضعف المحصول او هلاك الماشيه او الابقار ، ومن صفاتة الخلود فهو لايموت .

ويرى البعض انة يظهر فى صورة إنسان وان كانوا لم يروه . وقد يبدو فى صورة أخرى . ومع ذلك فإن « تل » لن يدمر الكون وان الحياة سوف تستمر هكذا . طالما اراد « تل » وهو الذى بسط الارض وخلق الجبال وانة فى عملية الخلق هذه ينتقل من مكان إلى آخر حتى تبقى جبـل اخير حمله على ظهره وعندما تعب وضعة فى « سودا » وقال « تاوساى » اى « انا تعبت » .

ومن ذلك الحين سمى هكذا إلا انة سمى حديثاً جبل ليفر ، ونفس الرواية ينسبها سكان ياو لجبـل « يوفق » وقـد خلق « تل » السماء والارض حيث يوجد بيت آخر للالهةفى سودا إلى ان يصل إلى جبل « كامول » هنا يخبر الزعيم الدينى الثلاثة الاخرين « الحارس وإثنين من جماعة السين » حيث ينحر الثور على الفور ويتناول الزعماء الدينيون الاربعـة منة ويوزعون ماتبقى على ذويهم دون غيرهم ، وليس ثمة توقيت محدد لهذه الشعيرة ومما تجدر الإشارة إلية انهم يدفعون بقطعة من لحم هذا الثور إلى الـ « وى تل » من خلال فتحة صغيرة ويعتقد البعض ان الالهـــة تأتى لتتناولها وان كان البعض الاخر يرى ان هناك إحتمال ان تأتى بعض القطط لتأكل مثل هذه الاشياء . وبصفة عامة فإنهم يحرصون على ان يكتنف الغموض الـ « وى تل » ويعتقدون ايضا ان « تل » هذا مصدر الخير والشر كما انة يشارك البشر صفاتهم فهو يأكل ويشرب المريسة التى يقدمها له الشيطان « نقند » ويتحد باتصاله الجنسى ويعتقدون انة إذا اتصل بامراة قد تموت وهى حبلى وليس

له أولاد ، من يراه يصاب بمرض عضال ، حيث تقدم القرابين كأن تنحر ثور أسود اللون .

كما أنه ينام ويستيقظ شأنه فى ذلك شأن البشر ، ونومه يعنى غياب الشمس ، وظهورها يعنى يقظته ليعاود نشاطه من جديد ولا يعرفون أين يوجد .

وإن كانوا يعتقدون أنه يقضى معظم الوقت متنقـــلا بين السماء والأرض خاصة الجبال المقدسة . وقد يأوى إلى مسكنه وإليه يعزون الخلق والموت والدمار . فلقد أثبتت الدراسة الميدانية أن ثمة اعتقـاد واضح فى أن تل فى جبـال الأنقسنا بمثابة الكائن الأعلى أو الأعظم * أصـــل الكون وخالقه يرسل البرق والرعد والرياح والقمر والمطـر والشمس ، موجود فى السماء وفى الجبال خاصة جبلى بونق وليفر وقدرته على الحركة بلا حدود كما أنه خلق الجبال المقدسة وغـــير المقدسة والجدير بالذكر أن لهذا الإله مسكن فى جبل كامول المتاخم لوادى ياو يسمونه « وى تل » يتبادر إلى ذهنهم ان الاله يتردد على هذا المسكن من حين لآخر . أو هكذا يتصورون فى أحلامهم .

ولا يؤذن لأحد أن يقترب منه سوى زعيمهم الدينى أو السين «ودجا كدروه»

---

* وهذا ماأكدته أبحاث Howitt عن الكائن الأعلى فى استراليا الجنوبية الشرقية .

. Longh paker عن بعض قبائل استراليا الشرقية ، وأبحاث man عن الإله المثالى لدى القبائل الأفريقية وعن هنود كاليفورنيا وآخرون . ويعتبر Lang أول من أشار إلى نظرية اعتقاد البدائيين فى إله متعال ، وان فكرة التاليه سبقت فكرة الروحية .

وهو الرئيس الأعلى لمجموعة السين وزعيم المناسبات الدينية ، وفى حالة الحاجة إلى ترميم ا « وى تل » أشبة بمسكن صغير مخروطى الشكل مصنوع من القش وفروع الشجر . يسمح لأربعة من زعمائهم الدينين بالدخول إلية واصلاحة ، وتتكرر هذه العملية على فترات متباعدة نحو خمس سنوات مثلا أو كلما تقادم علية العهد وساءت حالتة ، ويسمح للأهالى بالحضور إلى مسكن الالة مرة كل عام فى أعياد « ساى بورنج » حيث يلتف الرجال حول ا « وى تل » عدة مرات قبل أن ينصرفوا الى تدريباتهم ورقصاتهم ولتناول شراب المريسة فى منطقة أخرى غير جبل كامول ، والجدير بالذكر أنهم لا يشعلون النار داخله أو حولة على غرار ما يفعلون فى بيت الأسلاف ولا يقصده الناس لقضاء حوائجهم ، ويزعمون أن نوراً مقدساً لا يلبث أن يظهر فجأة ليلا أو نهاراً فى وقت ما أمام مسكن الاله « وى تل » لايعرفون من أين يأتى؟ إلا أنهم يقولون أنة يمر بالمطقة.
وتختلف فكرة الالة أو تصور هذه الشعوب للالة أو الالة الأعلى . وان كانت جميعها تخلع علية من الخصائص والصفات ما يجعله يتميز عن البشر كما سوف نرى. فالبعض يرى ان الشمس هى بمثابة الاله الأعلى كما رأينا فى جبال الأنقسنا Ingassana « تل الصغير » وكما هو الحال عند قبيلة Solor كالآلهة أراراك Ararak أى الشمس * وكذلك الحال عند جميع قبائل الهنود الحمر التى تقطن الشمال الغربى للمحيط الهادى (شمال غرب أمريكا) اذ يعتقدون فى كائن أعلى هو الشمس ، وكذلك هنود البوبيلو Publo فى المكسيك الجديدة .

فى حين تذهب مجتمعات أخرى الى ان السماء بمثابة الاله أو الكائن الاعظم كما هو الحال لدى سكان جزر فيجى الالة « تونجو » Tongo وقبائل

---

* وان كان لديهم آلهة أخرى يسمونها الأرض Tanah

بارونجا Baronga احدى فروع قبائل البانتو Bantu فى أفريقيا ويسمونه Tilo أى السماء .

فى حين تذهب شعوب أخرى الى اعتبار **مؤسس القبيلة بمثابة الجد الاول او الروح العظمى او الكائن الاعلى** . كما هو الحال عند قبائل Makalang من البوشان ويسمونه كاأنج Kaang أى « السيد » وقبائل سيوكس Siowx حيث آلهتهم واكان Wakan الروح العظمى وهكذا .

وأيا كان الأمر فإن هذه الشعوب تخلع على الآلهة من الصفات والخصائص التى لا حصر لها وان كنا سوف نقتصر هنا على الصفات والخصائص السائدة لدى قبائل الانقسنا شرق السودان ، وجيرانهم جنوبى كردفان وانما يراه الكجرة فقط من امثال « كاسولى » و « تشيللو » يشارك البشر صفاتهم يأكل ويشرب وينام ويستيقظ ويتحد باتصال الجنس وان له زوجة واولاد اولئك الذين يظهرون فى السماء على صورة «قوس قزح» ويضع سكان كورنقو صفاتاً لموسالك مثل الطول «سالا» واللون الابيض « جيبى » وكما انه مسئول عن الشر وضعف المحصول وهلاك الابقار وعقمها وموت الانسان ومرضه فى حالة عدم رضائه وسخطه . وعلى الرغم من تلك القدرة المطلقة للالة موسللا فإن لهم تفسيرات ساذجة فيما يتعلق بقدرته على اعادة الحياة فهو لايستطيع ان يعيد الحياة للبقرة بعد موتها لانها تؤكل وتصبح عظاماً .

ولهم تصورات خاصة فيما يتعلق بالزلازل والبراكين والسيول المدمرة والرعد والبرق ـ يختبئون على الفور فى مساكنهم لمجرد رؤيتهم لهذا الاخير او لسماعهم صوت الرعد على الرغم من ادراكهم ان الرعد والبرق يمكن ان يكونا نذيرا بمقدم الخريف وسقوط الامطار ويفسرون غياب الشمس «اندائياء»

بأنها تموت فى الصعيد وتسقط فى الماء ثم تتحول الى حيوان « شاه مثلا » يسير فى الاحراش والغابات الى ان يعود الى سيرته الاولى فيتحول الى شمس تشرق من جديد *

ويمكن القول ان المادة الاثنوجرافية المتاحة عن تلك الشعوب الوثنية وثيقة الصلة بالالوهية تدعم المعطيات التالية :

اولا : اعتقاد الشعوب الوثنية فى اله أسمى او خالق متعال ، كلى القدره ، منعزل عن البشر ، يكتنفه الغموض الى حد كبير .

ثانيا : قد يغلب عليها طابع التعدد كما نجد لدى الدنكا الاله الاسمى والآلهة العشائرية ، وكما نجد عند اليوريا حيث الاله الاعظم « اولودومار » خالق كل شئ وآلهه اخرى اقل مرتبة لها معابدها ** وكهنتها واعيادها واحتفالاتها . وكما نجد لدى قبائل الانقسنا حيث الاله « تـل » اصل الكون ومصدر الحياه ، الخ ....

ثالثا : يعتقدون ان هذه الآلهة دائمة الحركة وجودها وحضورها دائم ، وان رؤية الالهة وارده فى ادراكهم ، وان كان البعض يقصر هذه الرؤية على الزعماء الدوحيين او الوسطاء ممن لهم حق الامتياز الشعائرى .

رابعا : على الرغم من الايمان المطلق بفكرة الالوهية (الوحدانية او التعدد) فأنهم لا يهملون الآلهة العشائرية او القبلية او الزعماء الروحيين ، انهم يدركون

---

* إن كاسوللى يؤكد حدوث ذلك .

** الجديد بالذكر ان الالهة اولورن ليس لها معابد من صنع البشر لانه لايجوز تحديدمكان اقامتها فهى فى كل مكان.

انها اقل قدرة ولكنها اكثر تأثيرا وفاعلية لانها اكثر قربا من الالهة . ومن ثم فان قنوات الاتصال بالآلهة او الكائن الاعلى على حد زعمهم قد تكون عن طريق الطوطم او زعيم روحى او تعويذه او اى شئ ... الخ .

خامسا: ان ثمة ارتباط بين الآلهة وقوى الطبيعة الخفية غير المدركة .

سادسا : ان البناء الكهنوتى ومايحوية من شعائر وطقوس وثيقة الصلة بالسحر والممارسات السحرية والشعوذه والاروح يسخر بطريقة او اخرى لخدمة الآلهة بقصدتحقيق التجانس بين الانسان والاله،واستبعاد التنافر الكوزمولوجى او التغييرات فى الظروف البيئية كالقحط والجفاف والوباء فضلا عن المرض والموت والحظ العاثر ، هنا يأتى دور القربان للسيطرة على القوى الطبيعية الخفية.

الفصل الرابع

الأرواح Spirits

يقول اساناسيك السنغالي : *

« لقد ترك الأفارقة كل محاولة لاكتشاف قوانين الطبيعة والسيطرة على المادة وحاولوا اكتشاف الروح فى كل كائن أو شيء حتى يتمكن الإنسان من التحرك فى العالم طبقا لنظمه الداخلية »

يمكن القول أن مفهوم الروحانية Spirtualism أو النزعة الأرواحية** قد ساد منذ أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر للاشـارة إلى وجود كائنات روحية تسيطر على الحيـاة وعلى مقدرات البشر ، جاء تايلور

---

* استاذ الجغرافيا فى جامعة داكار .

** مفهوم الروحانيين استخـدم للاشارة الى الروح وتمييزها عن المادة واستقلالها عنها ـ وقداستخدم هذا المفهوم بطرق مغايرة ففي الميتافيزيقا يستخدم للاشارة الى الاتجاه الذى يؤكد ان الروح منفصلة عن المادة انفصالا تاما وقد تباينت الاتجاهات بين افلاطون والافلاطونية المحدثةوالمحدثين من امثال ديكارت واسبنيوذا وغيرهما. وفى السيكولوجيا عرفت الروح عن طريق علاقتها بالمادة وبحث السيكلوجيون وحدة الكائن البشرى والتلازم بين الروح والجسد . وفى مجال الانثربولوجيا وعلم الاجتماع ناقش الانثربولوجيون النزعة الروحية وأثرها فى المجتمعات البدائية وارتباطها بالسحر والشعوذة. (انظر معجم العلوم الاجتماعية ص ١٩٧ ومابعدها .

Tylor * فى أواخر القرن التاسع عشر (١٨٦٦) ليقدم لنا مفهومه الذى يطلق عليه الانيميزم أو المذهب الحيوى Animism ، والذى ينقسم عنده إلى إتجاهين أو بالاحرى إلى مبحثين متكاملين :

الاول : يشير إلى وجود نفوس للكائنات الفردية .

الثاني : وجود الأرواح على اختلاف ودرجاتها ابتداء من الاشباح حتى الآلهة أنفسهم .

وواضح من كتابات تايلور أنه يعتقد أن تصور الرجل البدائى لهذه الأشباح والارواح و الآلهة متوقف كلية على تصوره للنفوس ، ولذا كان لا بد لكى نفهم طبيعة هذه الأرواح وبالتالى طبيعة الآلهة من أن نحلل أولا تصور البدائيين للنفس وبخاصة النفس الانسانية ...

وينتقل تايلور إلى أن الرجل البدائى يعزو للانسان ليس نفسا واحدة أو روحا واحدة بل نفوسا وأرواحا كثيرة متعددة وان الإنسان ليس هو الكائن الوحيد الذى يمتلك أرواحا أو نفوسا بل الحيوانات أيضا وكذلك النباتات على اعتبار أنها تشارك الانسان والحيوان ظاهره الحياة والصحة (1) وامتدت فكرته إلى الجماد .

بالطبع ان فكرة تايلور واجهت نقداً شديدا خاصة تلاميذه Andrew Lang و R. Marrett وعلى الرغم من أن Andrew كان من أتباع النظرية التطورية (شأنه فى ذلك شأن تايلور) لكنه رفض فكرته التى ذهبت إلى أن الآلهة

* يعتبر فريزر ايضا من اقطاب النزعة الروحانية .

(1) Evanz, pritchard, op. cit, p. 80.

قد تطورت عن فكره الأشباح ghosts أو الأرواح Spirits أما شميدت Wilheim schmidt وكان من المشايعين للمذهب الروحانى أيضا ، وافق على فكرة تايلور فى أن الاعتقاد فى الأرواح ربما جاء من ظاهرة فيزيقية .. الأحلام، ولكنه لم يكن مستعداً شأنه فى ذلك شأن Andrew lang — لأن يتقبل فكره أن الآلهة قد تطورت عن الأرواح ، ان ثمة تباين واضح بين فكره الاحلام عند هذه الشعوب البدائية وفكرة الالهة أو الكائن الاعلى . (١)
ان نخوض فى مناقشه نظرية تايلور تفصيلا فى المذهب الحيوى كل ما نريد توضيحه أن الكتاب والباحثين قد تناولوا فكره الارواح والاشباح كانت لهم آراء ونظريات ، وايا كان الامر فان الشعوب التقليدية المعاصرة تعتقد فى وجود الارواح سواء تلك التى ترتبط بالكائنات العليا أو الاسلاف أو بالانسان العادى أو تلك التى تسكن المجال الطبيعى (الانهار — والبحيرات والآبار والجبال والصخور والاشجار والشمس والقمر ... الخ) وهناك العديد من الأساطير التى تروى وجود هذه الارواح وارتباطها بتلك المصادر الطبيعية ، ولما كنا قد تناولنا الالوهية فى الفصل الثالث فأننا سوف تقتصر هنا على معالجة الارواح خاصة تلك التى تتعلق بالانسان العادى أو تلك التى ترتبط بالمجال الطبيعى ، أما الارواح المرتبطة بالاسلاف والزعامة الروحية فسوف نفرد لكل منها فصلا على حده .

ان قبيلة التيف Tiv على سبيل المثال فى شمال نيجيريا * تعتقد ان لكل شخص

---

(١) احمد ابوزيد المرجع السابق ص ١٣٥—١٤٢ .

* من اكبر الجماعات التقليدية فى شمال نيجيريا تعدادها نحو مليون نسمة نزحوا الى اقليمهم الحالى من جنوب شرق نيجيريا للاقامة فى سهل منبسط بالقرب من نهر Benue .

روح يسمونها jijnji والتي تبدو في ظله أو حين ينظر إلى المرآه أو في صورته المنعكسه في المياه ، وانها تنفصل عنه بعد الموت ، فالإنسان الميت لا تصدر عنه ظلال ، انها تصبح مجرد أشباح لا أرواح ، من هذا القبيل ظلال الاشجار أو الاشياء غير الحية ، ويعتقدون أن هذه الارواح لا تفارق الجسم الاحين وفاته وانها تستقبل الرزى والاحلام . والتيف يميزون بيد الروح jljinji وبين خاصتين أخريتين ، الاولى وعاء الجسم أو ما يسمونه Ikpa ويقصدون به الملامح الفيزيقية الخارجية للانسان والثانية ما يسمونها Orijorna أي النفس أو الذات ويعتقدون أن هذه الارواح تصعد إلى السماء عند الموت ، بيد أن هناك رأى آخر يبدو متناقضا إلى حد بعيد حول مصير هذه الارواح اذ يرون انها تذهب إلى أرض الموت Mbakuv حيث تخضع لتغيرات أساسيـة وتفقد خصائصها الآدمية . (٢) ولا يختلف عنهم كثير هنود الـ Mapuche (التي درسها ١٩٦١ Foron) في وسط الارجنتين والذين يعتقدون أن الارواح تذهب إلى عالم خاص عالم الموت لتعيش في هدوء وسكينة ولكي يتاح لها زيارة الجماعة القرابية بين الحين والآخر . أما في جبال الانقسنا Ingassana فلا يعرفون أين تذهب أرواح الموتى ويعتقدون أنها تأتي على هيئة ظلال ولايرونها كثيراً . وان كان البعض يرى انها تذهب إلى جبلي بونق وليفر المقدسين . أو جبل كامول حيث بيت الآله « تل » *

---

(١) فاروق اسماعيل الانثربولوجيا الثقافية جـ ١ ١٩٨٤ ص ٣٨٦ ومابعدها

(2) Bohannon. paul the tive of nigeria, Edited by James Gibbes Holt Rien hardt and winston. inc 1965 p. 532.

* اما قبائل سارا Sara بالقرب من بحيرة تشادفيعتقدون ان الروح تنطلق ناحية الغرب بعد الموت ولكنها في الوقت نفسه تظل بالقرب من قبر صاحبها .

ان الكثير من الشعوب تدرك هـــذه الثنائية كما نجد لدى قبائل « الماندانج » يقول Hubert Deschamps هوبير ديشان فى كتابه « الديانات فى افــريقيا السوداء » .

كل انسان له صوره او ظل « Da » ونسمه Ni ، بعد الموت تصعد تلك الاخيرة الى السماء واما الDa فتظل فى بيت الميت الى ان تتم مراسم الجنازة ثم تغادره وتظل هائمة تتردد على موطنها الاول بين الحين والآخر لتلحق فى نهاية المطاف بالنسمة Ni التى صعد الى السماء كما نجد فكرة تعدد الانفس أو الارواح هذه فى داهومى عند قبائل الفون Fon التى درسها موبوال maupoil ان لكل كائن حى (انسان ـ حيوان ـ نبات) اربعة انفس نفس شفافه ، نفس كثيفه ، ونفس غير مرئية والتى اذا انفصلت عن الجسد حدثت الوفاة والنفس الكاملة التى تحل فى جسد اخر عندما يفارق الميت الدنيا .(١)

اما قبائل الكيكويو فى كينيا فترى ان لكل شخص نفسين احدهما منفصل عن الجسد بعد الموت لتنضم الى نفوس الاسلاف والاخرى نفس جماعية وتعتبر فى اعتقادهم جزءا من روح الأسرة التى تحل مؤقتا فى احد اعضائها الى ان تحل فيما بعد فى جسم احدث مولود فى الجماعة ومن ناحية اخرى فقد يستدل الانسان على ظهور هذه الأرواح او وجودها من بعض الاحداث والظواهر التى تقع تحت ناظرية بعيدا عن المجال الانسانى فكثيرا ماتجفل الحيـوانات فجأة لغير ماسبب ظاهر فيعزى ذلك الجفول الى ظهور الارواح والاشباح من حيث لايستطيع الانسان رؤيتها (٢)

---

(١) هوبير ديشان ، المرجع السابق ، ص ١٦

(٢) تايلور المرجع السابق ص ١٥٨ .

من هذا القبيل ايضا اعتقاد سكان الاسكيمو بأن للحيوانات ارواحا (الرنة الدب القطبى ...) ومن ثم فان الممارسات السحرية كفيلة بأن يتحكم الصيادون فى ارواح هذه الحيوانات (١) .

وتفيد المادة الاثنوجرافية التى جمعتها فى جبال كورنجو (١٩٨٢) ان الزعيم كاسولى * حين كان يقوم بسبر الخريف يأمر الشبان بالخروج الى الصيد لاحضار حيوان صغير اشبه بالغزال يسمونه بالمحلية « بوقا » ويحملونه الى الشجرة المقدسة او شجرة الكجورية انجيكر كانا مسلا وبعدممارسات لسنا بصددسردهاهناتفصيلا يأتى الكجور الى شجرة يسمونها « انجيه » اشبه بشجر اللبخ حيث يلتفون حولها دائريا وتحمل الكجور الطائر المقدس ويضعه على ساقه حيث تتقدم احدى مساعداته انداطو » وتغسل فم حيوان البوقابشراب المريسه ثم بالماء فيموت على الفور ** ثم يذبح وينظف على النار ويفصل اللحم عن العظم ثم يقطع الى قطع صغيرة حيث يوزع على جميع افراد القرية اعتقاداً منهم ان فيه رحمة للاطفال وفأل طيب لهم ولذويهم ـ اما العظام فتدفن فى الارض لتحقيق الخصوبة والنماء (٢) وفى جبال كارلنجا Karlinga ثمة اعتقاد ان الخنزير لا يمكن اصابته بالعين الشريرة او الحسد لان دماءه حارة وان روحه كفيلة بدرء شرور السحر واثامه حيث يقوم

(1) Encyclopaedia Britanica, Vol. I. p. 923.

* يقوم الزعيمان كاسولى وتشيللى بهذا السبر بالتناوب .

** اعتقد ان طريقة الغسل ذاتهاهى السبب المباشر لموت حيوان البوقا حيث تضغط « انداطو » على رأس الطائر بيديها مراراً .

(٢) فاروق اسمعيل المرجع السابق ص ٢٨٠

الكجره بنثر دمه امام مسكن الساحر وكذلك عند البئر التى يرتادها والطريق المؤدية لزراعته، وقطع رأس الخنزير ودفنها فى طريقة اعتقادا ان مجرد مرور الساحر على هذه الدماء او الاجزاء كفيل بقتله ووضع نهاية لشروره وآثامه . اما فى كورنجو Korongo فتدفن راس الخنزير فى الارض درأ للحسد والعين الشريرة .(١) اما فى جبال الانقسنا عندما ينحر الخنزير فانهم يحرصون على ان تكون رأسه تجاه الجبل المقدس « بونق » ويطعن فى اى مكان ويشارك اكبر عدد فى عملية الذبح تبركا وتيمنا . من هذا القبيل اعتقادهم فى طائر السمبرية « دار » فالبعض يأكلها دون الاخرين ، او ترفض جماعة الكولان المقيمة حول «باو» اكلها ويعتقدون ان هذا الطائر تتجسد فيه ارواح ابناؤهم من المهاجرين منذ زمن طويل ومن ثم يرحبون بقدومها ويقدمون لها ماتحتاج من طعام وشراب فى ترحاب بالغ . اما جماعة «الجكتاو» المجاوره لهم فأنهم يصطادونها ويأكلونها ويتفاءلون بها عند موسم الحصاد اذ ان ظهورها بشير بزيادة الانتاج .

وعند قبائل الثان احد فروع الدنكا طوطم يمثل روح المعشر وهو الثور ويسمى Kwar ويعتقدون انهم من سلالة هذا الحيوان ولذلك فهو اهل لكل تقديس .

هذا فيما يتعلق بالمجال البشرى والحيوانى اما فيما يتعلق بالمجال الطبيعى لوجدنا امثلة كثيرة لدى العديد من الشعوب التقليدية والوثنية فيها بصفة خاصة ففى جبال الانقسنا تحاك الكثير من الاساطير حول « بونق » وجبل « ليفر »

---

(١) فاروق اسماعيل المرجع السابق ص ٤٢١

وجبل « كاموك » ، وترجع قداستها الى عـــدد من العوامل لعل اهمها كما يزعمون ان الاله «تسل» يتردد على هذه الجبال من حين لآخر ، كذلك ارواح اسلافهم من الموتى فضلا عن ان الثور المقدس يمر بهذه الجبال مرة كل عام هكذا فجأة ليلا او نهاراً خاصة منطقة « الوى تل » او بيت الاله فى طريقة الى جبل « سودا » حيث يوجد بيت اخر للاله .

وقد سبق ان اشرنا نقله اسطورية فى جبـ..ال كورنقو « عند معالجة الاساطير » تدور حول ابناء المرأة التى خرجت من الماء ، وتلك تشير الى ثور الماء « ميداما بيجى » ويعتبرهم اهم الكائنات لان روحة او قوتة الخفيةمسؤولة الى حد كبير عن الخير والنماء والزرع والضرع ، عن كل ما من شأنه ان يبعث الحياة وربما يفسر هذا اعتقادهم فى وجود بركة مياه يسمونها « بابا شنجشى » ويذهبون إلى ان جدتهم الأولى كما تروى نقلاتهم الاسطورية قد خرجت من هذه البركة . بل الاكثر من ذلك ان ميدامابيجى هذا اوثور الماء قد خلق الههم موسلا ومن ثم فانه الخالق الأول واصل الكون ومقره الارض (١) وتمضى ممارساتهم وطقوسهم فى سبر الخريف حين يقوم زعيمهم «كاسوالى»باستخراج كميات الذرة بانواعها والسمسم واللوبيا وغيرها من المحاصيل التقليدية والتى سبق ان وضعها منذ فترة فى الارض ليبارِكها ثور المـاء ثم ينثرها على النـاس وهم يحاولون التقاطها .. (٢)

وتذهب اساطير أخرىفى Korongo الى ان ثور المـاء « نى » قد يظهر ممتطيا

---

(١) فاروق اسماعيل المصدر السابق ص ٢٧٣

(٢) المصدر السابق ص ٢٨٠

صهوه جواد او كلب ولايراه الا الكجرة، كاسوالى اوتشيلى ويعتقدون ان الاله لايهبط على الارض الاعندما يحل الظلام ليوزع الارزاق ويبـدل الاحوال « الغنى والفقر » ويخلق الاطفال.ولا يختلف هذا عما يذكره لنا James Frazer فى كتابه الغصن الذهبى عن قبائل Akikuyn فى شرق افريقيا الذين يعتقدون فى ثعبان النهر ويقيمون له احتفالات وطقوس حيث تقدم النساء الى آلهة الثعابين وخاصة الفتيات الصغيرات . ويتولى زمام المبادره فى القيـام بهذه الطقوس والممارسات رجل الطب او الكاهن حتى يتم هذا الزواج المقدس (١) ويمضى فريزر فيذكر لنا اسطورة أخرى ذكرها الرحالة ابن بطوطة عن سكان جزر Maldive قبل دخولهم الى الاسلام ، وعاداتهم المؤكده على لسان بعض سكان هذه الجزيرة فى وثنيتهم حيث تظهر روح شريره عبر البحر يعتقـدون انها من « الجن » وتظهر على شكل انوار متوهجه ... وسرعان مايسرع الوثنيون من سكان هذه الجزيرة ويقدمون عذراء صغيره بعد تجميلها ويحملونها الى المعبد الوثنى عـلى الشاطىء ويتركون الصبية العذراء Damsel طوال الليـل وعندما يعودون فى الصباح يجدونها كما هى وقد ماتت (٢).

وتمتد فكرة الارواح فى المجال الطبيعى الى الارض كما نجد عنـد سكان مناطق الاكوادور والذين يعتقدون بأن الخصوبة مردها الى الارواح الكامنة فى الارض والتى يجب تقديم القرابين لها حتى لاتتهدد مصالحهم او زراعاتهم حرصا على استعادة العلاقة الودية بينهم وبين هذه الارواح واستمرار دعمهـا لهم بزيادة فاعلية الارض وانتاجيتها . وكذلك الحـال لدى قبائل الهنود الحمر فى

(1) Frazer op. cit p. 145.

(2) Ibid p. 164.

المكسيك وغنيا الجديدة الذين يحرصون على تقديم القرابين لارواح الارض على ماأصابهم من محصول وفير.

أما فى كارلنجا فى جبال تلشى فقـــد لاحظت ان زعيم الصيد «تاتيلى» يقصد ارضا مرتفعة نسبيا عن سطح الارض يسمونهـا بالمحلية « كونيتينيو » او بيت النمل حيث يرشق الزعيم رمحه فى هذا المكان فاذا خرج نمل وفير تفاءلوا بصيد كبير فاذا ما صادفوا نملا قليلا ففى هذا دلالة على ضآلة حظهم من الصيد وعدم جدوى خروجهم اليه . ولايقتصر الارواح على المـاء والارض وانمـا تمتـد الى كائنات اخرى كالنباتات أو الاشجار . يقول فريزر Frazer ان ثمة نوع من الاشجار يعتقدون انها مسكونة بالأرواح ، ففى قبـائل جربلج Grbalj يعتقدون ان بعض اشجار الزان Beeches الضخمة او البلوط Oaks وانواع اخرى قد اشتملت على ارواح خاصة * ... فاذا خشى الحطاب ان تكون احدى الشجرات التى قطعها قد اشتملت على مثل هـذه الارواح فانه يسرع الى نحر دجاجة على جذع الشجرة بنفس الفأس التى استخدمها فى قطع الساق ، ان هذا سوف يحميه من الاذى ويدفع عنه شرور مثل هذه الارواح (1).

اما فى Korongo فلقد وجدت فى تجمـــع «كاسوللى» الزعيم الروحى شجرة يدعون قدسيتها يسمونها بالمحلية «بوزو» وثمة اعتقاد لديهم بأن ارواح الاسلاف تجتمع اسفـل هذه الشجرة منذ القدم ، ومن ثم فأنهـم يبتهلون اليهـا

* وكذلك الحال بالنسبة لشجرة الأرز أو السدر Cedar حيث الاعتقاد فى وجود ارواح خاصة بها لدى جبل Kangra فى اقليم النجاب ، ومن ثم تقوم القرابين اليها وخاصة المعمرة منها

(1) Ibid p, 112

جيئة وذهـابا ، بل انهم يحرصون على ابداء نوع من السلوك الجاد عند المرور بها وقد يلتقطون بعض الحجارة ثم يضعونها اسفل الشجرة كنوع من التقـديم او العطاء .

وايا كان الأمر فثمة تصنيف لهذه الارواح حيث يفرقون بين الارواح الخيرة والشريرة فالاولى هي التى تحقق الخير والنماء والثانية هى التى تلحق الضرر والأذى والموت والمرض والعقم والعواصف البراكين،فساد الزراعة والضرع.. الخ فثمة اعتقاد ان العالم الغيبى أو الغير منظور يحوى ازواجا كثيرة بعضها خير والبعض شريرا وآثم. كما نجد فى التصنيف الذى يعتقد فيه سكان كورنجو فى جبال تلشى حيث تظهر الارواح الشريرة كجزء مكمل للبناء الكهنوتى .

طور الميه (ميداما بيجى)

الاله موسلا — تاموسلا « الكجره » — ارواح شريره

الانسان — الحيوان — النبات — الجماد

كجور المطر — كجور الزراعة

كروماتامسلا — كدوكوتامـلا — كجانا «الشيطان»

ويعتقدون ان كروما تامسلا اقوى الاروح الشريرة ولاتسبب الضرر الا لمن يراها .

اما الثانية فلا تظهر الا فى الزراعة ويسمونها مجازا (ناس الذره) ويتحاشون هذه الارواح الشريرة ويحاولون استبعادها بكافة الوسائل وخاصة تقـــديم القرابين من هذا القبيل مثلا مارأيته فى كورنفو من انهم يربطون او يثبتون جرسا (متدل) فى رجل الطفل المختون اعتقاد منهم ان رنين هذه الاجراس كفيل بطرد الشياطين او الارواح الشريرة . وقبـــائل الدنكا تفرق بين الارواح الشريرة او المؤذية ويسمونها Macardit ويعتقدون انهــــا لاتستهدف الا ايقاع الضرر بالانسان والقضاء على الخصوبة والنماء والحياة ايا كانت ، تعاملهم بقسوة دون عطف او احترام . انها مصدر للشرور والآثام ومن ثم لايتوسلون اليها لتساعدهم على تحقيق الخير او المنفعة وقد يقـدمون لهـــا القرابين درءا لشرهـــا واستدراراً لرحمتها ويرى Lienhardt ان هناك فارق بين القرابين والضحايا التى تقدم للارواح الخيرة وتلك التى تقدم للارواح المؤذية ففى حالة الاولى فان لحوم القرابين تسلق لأن الشواء قاصر على اللحوم التى تقدم للارواح الشريرة وفيه امتهان لها . والقرابين التى تقدم للخيره يحتفى بها وسط التجمع السكانى ولدى الزوجة الأولى والوانها يغلب عليها اللون الابيض او الأحمر أو البنى ... الوان مبتهجية تدعو الى التفاؤل فى حين ان القرابين التى تقدم لـ macardit انما تنحر امام بيت الزوجة الصغرى قد تنحر فى اطراف الارض الزراعية بعيدا عن الاكواخ ويغلب عليها اللون الاسود .

الفكرة ذاتها اشار اليها جون لنج G. Lang بالنسبة لقبـــائل استراليا

الاصليين حين ذكر ان تفشى الاوبئة والامراض ينسبونها الى الارواح الشريرة أو المؤذية بودياه Budyah . وبالمثل فان قبـــائل كوينزلاند Queensland يقدمون الفتيات الصغيرات قربانا وتكفيرا للارواح الشريرة حتى تدرأ عنهم شرورها (١) والخلاصة :

(١) ان هناك العديد من التصورات والمفاهيم عن الارواح سواء فى المجال البشرى أو فى المجال الحيوانى والمجال الطبيعى لدى الشعوب .

(٢) ان الكائنات الروحية تختلف وتتنوع من حيث مراتبها مابين الآلهة أو الكائنات العليا والارواح الاخرى كأرواح الاسلاف والشيـــاطين وأرواح الارض والماء والشجر والحجر ، وانها تلعب دوراً رئيسيا فى المجالين الانسانى والطبيعى .

(٣) ان الطقوس والممارسات والقرابين المرتبطة تستهدف استرضاء هذه الارواح لديها القدرة على التعرف على احوال الناس ورغباتهم بل ومساعدتهم على تحقيق هذه الرغبات او الحيلولة دون الوصول اليها .

---

(١) تايلور المرجع السابق ص ١٣٠ ومابعدها .

الفصل الخامس

أرواح الاسلاف * Ancestral Spirits

تعتقد الشعوب الوثنية فى كثير من انحاء العالم فى الاسلاف ويخافون منها ويحاولون استرضاءها بتقديم القرابين والضحايا ، وعلى الرغم من اعتقادهم ان ارواح الاسلاف ذات طبيعة متمايزة عن ارواح الأحياء الا انهم يعتبرونهم امتداد طبيعى لحياتهم ، وانهم قد يجلبون لهم الخير والشر ، ومن هنا جاء تقديسهم لها وممارسة الطقوس والشعائر نحوها ، فهى كائنات مقدسة ومسيطرة يعملون على استرضائها بين الحين والاخر ، حيث يلتقى الأحياء بالاموات ** دوما فى علاقات موده وكراهية ، اذ ينظر الى ارواح الاسلاف .كما لو كانوا

---

* يذهب تايلور الى ان عبادة الاسلاف والاوثان والسحر نشأت من الاعتقاد بأرواح الآباء والاجداد والذين كانوا يمثلون رؤساء لأسراتهم وبيدهم مقاليد الامور لانهم اكثره خبرة ودراية بشئون الحياة كالصيد والقنص والحماية من الكوارث ... فاذا ماتو فأن ارواحهم ترفرف فى سماء الاسرة لتقيها شر النوائب ، ومن ثم يصبح من الارواح الطيبة التى يجب التوسل اليها والاستعانة بها ... ان الاحفاد يعبدون ارواح اجدادهم ... اما المرض والجنون والشلل وغير ذلك من الامراض العصبية والعقلية فمن الارواح الخبيثة ... طه الهاشمى المرجع السابق ص ٦٨ .

** طبيعى ان تختلف النظرة الى الموت وبالتالى المشاعر المترتبة عليه بين اولئك الذين ينظرون الى حياة الأسلاف كما لو كانت امتداد لحياتهم ، وان هؤلاء الأسلاف مازالوا مؤثرين فى الحياة العائلية وبين مشاعر اولئك الذين ينظرون الى الموت كما لو كان انقطاعا نهائيا للحياة .

اعضاء فى الجماعة القرابية ويدركون اهمية الدور الذى تلعبه فى رفاهية العائلة ، فاذا ماغضبت الاسلاف فأن الفشل سيلحق بهم ويتعثروا فى حياتهم وقد تصيبهم حوادث خطيرة أو امراض او يلحق بهم الموت ...

وعبادة الاسلاف هذه سمه مميزة للكثير من المجتمعات الافريقية والآسيوية وامريكا اللاتينية . فمثلا نجد عند قبائل Lodagaa شمالى غانا goody ١٩٦٢ ان الابن الاكبر هو الذى يتولى المبادرة بعبادة روح ابيه المتوفى وحيث تقدم الأضحيات والقرابين من خلال الممارسات الشعائرية . فى مناسبات خاصة ، او كما هو الحال حين تحمل المرأة طفلا انما تنحر دجاجة على مقام سلفها وحتى يتدفق او ينساب اللبن فى ثديها ، وعندما يصيب احدهم حظا وفيرا فى محصول او نجاح فى صيد فان الشكر يرد الى اسلافه وغالبا مايكون جده من ناحية الآب، فاذا فشل فى ان يعبر عن شكره على هذا الدعم أو المساندة ربما يعاقب ، وقد يصادف حظا عاثرا أو مرضا أليما أو يموت احد اطفاله ، وحتى يظل الفرد على علاقة طيبة بهؤلاء الاسلاف لابد من الوفاء بالتزامه كالمشاركة فى تقديم القرابين فضلا عن اتباع القرارات والقواعد السلوكية التى وضعهـا هؤلاء الاسلاف (التعاون ـ تجنب الشقاق والخلاف ، قبول وساطة كبار السن ، عدم الزنا بالمحارم ، التكفير بتقديم القرابين .. الخ .)

وكذلك الحال فيما يتعلق فى ديانه الـ Quba فى منطقة Transkei فى جنوب افريقيا والتى درسها Goan Broster حيث يذكر على لسان احدى اخبارييه وتدعى Anna ان لدينا اله نسميه Thixo ولكننا لانعرفه ، انها تعرف ارواح الاسلاف Izinganga ، انهم يعيشون بالقرب من الله والبشر واذا لم تحاول ارضاءهم فسوف يجعلون حياتها صعبة فقد تمرض او تلحق بها احداث سيئة ،

وتقول Anna انا لا أصلي ولا اتحدث الى الاله ولكن ارواح اسلافي تأتي في الاحلام وقد تأتي سعيدة كما حدث في الليلة الاخيرة عندما تحدثت معها وجها لوجهه ، مع روح جدتي لأمي ، وفي اوقات أخرى تأتي متجهمة وقد تخبرني انها جائعة وتريد لحوما ، بل وتصف الحيوان الذى تريده حتى اقدمه لهـا على سبيل القربان وسواء اكان ماعز او ثور فانه يجب ان يكون أنثى ، فاذا جاءت العائلة واجتمعت على وليمة فهذا يجعل الروح سعيدة لانها تدرك اننـــا نحبه ونذكره ومن ثم تحقق لنا الصحة والعـــافية في انفسنا وماشيتنا ، وتضيف Broster ان ثمة ايمانا عميقا لديهم بأن ارواح اسلافهم هي المسئولة عن سعادتهم وشقائهم .(١)

وتذهب قبائل الدوجون Dogon الافريقية الى ان ارواح الاسلاف هم الذين يحققون الحيوية والاستمرار لابنائهم وأحفادهم اذ يعتقـدون ان الروح تظل هائمة بمسكن المتوفى حتى الذكرى الثانية لوفاته،فاذا تمت شـعائرها وطقوسها تنتقل روح السلف حيث تهيم مرة أخرى في مرابـع الآباء ثم تعود الى اهلهـا فتمنح قواها الحيوية الى مولود جديد . واخـــيرا تتجه الى الجنة ويسمونها Manga لتمتع بالخلود الأبدي ، واذا كانت روح جد الاسرة سوف تحل في احد الاحفاد فان هذا سوف ينشئ موقفـا صعبا للغـاية ، اذ لايليق ان يعيش الطفل مع ابيه او جده تحت سقف واحد ، اذ ان سلطانه سوف يتعارض مع سلطان الاب أو الجد ، لذا فأنهم يحرصون على ان يربى الطفل بعيدا عن بيت الأسرة .(٢)

---

(1) Broster, Joan A., Red Blanket Valley; the Quba belief.

(٢) هوبير ديشان المرجع السابق ص ٢٧ .

ولايختلف الدنكا جنوب لسودان من حيث نظرتهم الى الاسلاف فعندما يموت احدهم يقولون « لقد جاءت به الآله وهاهى قد اخـذته ، انهم يصلون للالهه والارواح الاخرى كما لو كان المتوفى مستمرا فى الوجود فى مكان اخر (١).

وان روحه تظل تهيم حول قبره او مسكنه ويبتهلون اليهـا ان تساعدهم وتحميهم من الامراض والمصائب وا تعينهم على الشئون الدنيوية انهم يعتقدون انها سوف تحل باجسادهم وتساعدهم على الشدائد ، و تحقق لهم مايريدون ثم لاتلبث ان تفارقهم ، ومن ثم يستدرون عطفها من حين لآخر ويقدمون لها القرابين ، يقولون « يا اسـلاف الآب الاعظم Luol باسلاف الاجـداد Ayok اناديكم فى صلواتى من أجل ان تدعمونا وتزورنا زيارة عبارة وتسمعون لنا فنحن اطفالكم ، ان الانسان اذ دعى آلهه الآبـاء فسوف تحقق له ماتريد ، ماساعدونا ان الشيطان يباغتنا لينـال منا » (٢) وهم يحرصون على الأتغضب ارواح الآباء والاسلاف ويتذكرونها فى كثير من مواقف الحياةاليوميةويقيمون نحوها الشعائر والطقوس كما يحدث فى بعض حالات الزواج حيث يتزوج الرجل من فتاة يتيمة الآب فأنه بالاضافة الى المهر المتفق عليه من الابقار يقوم بتقديم أضحية تسمى Acama ويمـكن ان تكون ثورا أو شاه أو ماعز اذا ماكان الزوج فقيرا معدما و يعتقدون ان عدم تقديم هذا القربان للآب المتوفى سيؤدى الى وفاة ارملته (ام العروس) إذا ماشربت اللبن من الابقار التى دفعت كمهر فى ابنتها ، بل تلقى حتفها اذا ماوطئت قدماها روث هذه الابقار(٣)

---

(1)I bid, p. 21

(2) Lienhardt-Godfrey, Divinity and Experience, the religion of the Dinka, oxford press 1976

(٣) فاورق اسماعيل الانثربولوجيا الثقافية ط١ الهيئة المصرية العامة ١٩٨٠

وكذلك الحال عند هنود الـ Mapuche (Faron ١٩٦١) الذين يعيشون وسط الأرجنتين يعتقدون ان الارواح تذهب الى عالم خاص عــالم الموت لتعيش فى هدوء وسكينة ولكن تباح لها زيارة الجماعة القرابية بين الحين والآخر، ومن ثم يرحبون بأرواح أسلافهم الاقوياء أولئك الذين كانوا يمثلون مكانة اجتماعية مرموقة ولكن عودة الارواح الاخرى . الاقل فى المنزلة والمكانة، امر يخافونه ، لانها قد تقع فى ايدى السحرة والمشعوزين لضعفهـا ، والذين يستخدمونها فى الحاق الضرر بالآخرين ، انها قد تعود فى الظلام لتسبب لهم سوء الحظ والمحنة والبلاء ، تخلق القلق على النقيض من أرواح الاسلاف الاخرى المتعاونة والتى يسكبون الخمر تحية لمقدمها بين الحين والآخر (*)

(*) اما لدى جمـاعة Lfaluk (Spiro ١٩٥٢) فى جنـوب الباسفيك يفسرون معظم الحظ العاثر الى الارواح الحقودة كبعض الاسلاف ويسمونها Alus تلك التى انحدرت عن اشخاص سيؤ الطباع كانت لديهم ميول غير اجتماعية، استمرت بعد الموت ومن ثم يحاولون جعل حياة اسلافهم صعبـة قد ينشرون الفجور والفسوق والعدوان ، يسببون الامراض الجسمية والعقلية ، ومن ثم فان الافراد فى شغل دائم لتجنيـد الارواح الصديقة ومنـاشدة الكهنة والقساوسة لطرد الاشـباح الشريرة التى تسبب لهم الكثير من المتاعب ، وعلى الرغم من ان هؤلاء الناس يدركون هذه الارواح كمصدر للمحنة الا ان (Sprio) يرى ان خوفهم من الأسلاف الحقودة يحقق بعض الوظائف الهامة والتى تتمثل أساسا فى تقديم تفسير للسبب أو العلة للمرض (فعل الارواح الحقوده) ووسائل التغلب عليها مناشدة (الارواح الخيرة والكهنة) ومن ثم ففى غيـاب الوسائل الطبية المتاحة لمكافحة المرض فأن مثل هذا السلوك ربما يخفف الآلام الناتج عن اليأس والحيرة .

Hammond, op. cit p. 267.

وفى تايوان نجد أن معظم الاسر الصينية والريفية بصفة خاصة يحتفظون بالمذبح altar فى الحجرة الرئيسية فى منازلهم حيث تثبت لوحات اسلاف العائلة ولا يعنى انه بمثابة نصب تذكارى للميت ، انه مقر له ، حيث يعامل الموتى كما لو كانوا موجودين بالفعـــل فى هذه الحجرة ، يسألونهم عندما يريدون اتخاذ القرار ، يخاطبونهم عندما يتحدثون ، يشاركونهم الطعام والشراب واللعب بل وممارسة الشعائر والطقوس وعلى الرغم من ادراكهم انهم لايستطيعون رؤيتهم ، إلا أن حضورهم يستشعر كجزء من ايقاع الحياة اليومية وتفيد المادة الاثنوجرافية التى حصلت عليها فى جبال الانقسنا Ingassana شرقى السودان بأن الانقسناوى يرتبط بأسلافه ارتباطاً وثيقاً، ومن ثم يلجأ اليها دوما وأن كانوا يعتقدون انها تذهب إلى جبلى «بونق» أو «ليقر» وسرعان مايستجيب الانقسناوى لهؤلاء الاسلاف إذا ماجاءوا اليهم فى احلامهم ، وأيا كان الامر فانه يفزع لمجرد رؤية السلف ومن ثم يهرع للبحث عن نوع من الترضية فى محاولة لاستدرار عطفه وتأييده كما سوف يقدم عليه ، وعادة مايطلب هؤلاء الاسلاف ذبح ثورا وبقرة أو شاه او كدروك «خنزير» ومن ثم يلجا الانقسناوى إلى الكجور ليعرض عليه روايته وسرعان مايحدد هذا الاخير نوع القربان الذى يقدمه لاسلافه ، وعادة ماينحر القربان على قبر الميت حيث يحرصون على تدفق الدم على القبر ، حيث يأخذ الكجور ماطاب له فى حين يترك البقية الباقية ليتناول منها المشاركون فى الشعيرة والجدير بالذكر أن الانقسناوى يخصص بيتا للاسلاف ، مسكن عادى يحتفظ بداخله وعلى جانب منه بالاشياء الخاصة للميت حيث يعلق نوع من الحصير فى حبال يضعون داخله ثياب الميت وأسلحته كالرمح والكلبيته أودرقة

الحرب ، وسرير من الخشب والحبال فضلا عن التمباك ، كما يوجد فى بعض منها آله للعزف أشبه بالربابة ، وعند مدخل بيت الاسلاف والى اليسار يوجد اناء عبارة عن «قرعة » بها بعض الزيت مرفوعة على جبل مثبت فى الجدار وقد لاحظت أن حفيد الميت عندما دخل معى إلى البيت وضع أصبعه فى هـذا الزيت ومسح به على شفته السفلى ، وعندما سألته عن السبب، افاد أنهم قد اعتادوا ذلك تبركا ، وفى وسط البيت حفرة لاشعال النار ليلا عند الغروب ، وتترك النار لتطفىء من تلقاء نفسها ، ويعتقدون أن الاسلاف يترددون على بيوتهم هذه ليتدفئوا بالنار ويتمسحوا بالزيت ويستريحوا على الاسرة ان شاءوا ، كما يمكنهم استخدام ثيابهم الموجودة داخل الحصير . .. وقد جرى العرف أن يتذكر الاحياء اسلافهم فى مناسبات خاصة كتلك الذى تستخدم فيها « المريسة » « والكسرة » * اذ يتركون بعضا منها لاسلافهم ، وعندما تذبح « كرامه » فأنهم يتركونها بعض الوقت فى هـذا البيت بالقرب من وعاء الزيت السابق الاشارة إليه ، وعندما يدخلون إلى بيت الاسلاف لا يثرثرون كثيرا ، وقد يمتنعون عن الكلام ، وفى أعياد «ساى يوينج » يحرصون على زيارة قـبر المتوفى ، وقد يقومون بتوزيع الكسرة على القبر ويحيونه مطالبين اياه ان يأتى لزيارتهم ، هنا يحرصون على اشعال النار عند الغروب ووضع الكسرة والمريسة والماء فضلا

Spradley, James, p, Mccurdy, David; Anthropology : The cultural perspective, jhon wiley & sons Inc, N.Y. 1975 p. 132

انظر أيضا

Margery wolf, the house of Lim; A study of AChinese Family, N.Y. Appleton century Crofts 1968

(*) نوع من الطعام

عن الأشياء المحببة إليه استعدادا لجيشه فى اليوم التالى (١) .

وكذلك الحال لدى مواطنيهم من سكان كورنقو Korongo جنوبى كردفان وعلى الرغم من عدم وجود فكرة الاسلاف بنفس الوضوح الذى وجدناه لدى الانقسنا الا أنهم يشيرون إلى شجرة الاسلاف ومساكن الاسلاف فى حياتهم اليومية ، وان كانت أفكارهم غامضة بعض الشىء ، الا انهم يجمعون ان هذه الشجرة التى تقع فى منطقة « كلما جرا » والتى يسمونها « انجيكر كاما مسلا » وهى شجرة الأسلاف ، وانهم يترددون عليها بين الحين والآخر فى امسياتهم يتدبرون شئون أحفادهم ، كما أنهم يحتفظون فى مسكنهم « بقطية » صغيرة أشبه بالحجرة التقليدية التى تسود فى هذه المناطق بها فتحة مستديرة قطرها لا يزيد عن ثلاثين سنتيمترا ، يعتقدون أن اسلافهم يترددون عليها بين الحين والآخر ، ومن ثم يضعون فيها اناء مملوءة بالمريسة ، وقد يتردد الكجور « كاسولى » على بيوت الأسلاف هذه أيا كانت مواقعها فى حالة مرض أحد الأفراد ليقوم بممارساته للكشف عن المرض وأسبابه . ويتميز مسكن السلف لدى زعيمهم الدينى هذا بما يحويه من أدوات مقدسة مثل « الكواكيب » أعمدة من الحديد و « والدكو » قطع من الحديد أيضا ، فضلا عن قطع من القماش القديم وسكاكين ورماح ، وأجراس بالإضافة إلى كمية من العيدان المستقيمة المثبت بها أسلاك يسمونها بالحلية « بالا » ، ويزعم « كاسولى » انه ورث هذا البيت عن أجداده وأنه يذكر خاله « ميرى » حين كان يعتكف فيه ليمارس طقوسه ، وفى العادة يعتزل كاسولى الأهل والأقارب إلى بيت السلف هذا حين

(١) فاروق اسماعيل ،أثنوجرافيا الانقسنا ،ص ١٥٧ ومابعدها .

يريد الاتصال بالآله ، موســلا ، أو بأرواح الأسلاف ، وقد تأتى له الرؤى والاحلام ، وحين يستيقظ يحاول مع مساعديه ، كافى ، ، واتداطو ، تنفيـذ تعليمات أرواح الاسلاف الصادرة إليه.(١)

وإذا كانت أرواح الاسلاف تلعب دوراً هاما فى كثير من المعتقدات . كما رأينا لدى قبائل Ladagaa شمالى غانا والدوجون الافريقية وال Quba فى جنوب افريقيا والدنكا فى جنوب السودان وال Mapuche وسط الارجنتين وال Ifaluk فى جنوب الباسفيك وفى تايوان الصينية ، وكما أفادت الملاحظة الأثنوجرافية فى جبال الانقسنا وجبال كورنقو ...

الا أن هناك جماعات وثنية عـديدة كالتيف شمال نيجيريا أولئك الذين لا يعرفون شـيئا عن عبادة أسلافهم هذه ، لاشك انهم يذكرون اسلافهم من خلال مراجعتهم لانحداراتهم الجينالوجية للبدنة أو العشيرة ، ويذكـر لنا Bohannan ان ثمة استثناء واحد يتمثل فى انه إذا كان هناك خلاف لم يتم تسويته ثم مات أحد أطراف النزاع ، فان الورثة ينبغى أن يعملوا على الفـور لتسوية هذا النزاع ، هنا يحرصون عـلى تقديم بعض القرابين وتتمثل فى طائر صغير ينحر ويلقى على قبر الميت دلالة على أن الاستقرار قد حل وسـاد الامن والسلام . (٢)

ولعل القصيدة التى قدمها لنا جاك مندلسون للشاعر السنغالى الجامى بيراجو ديوب Birago Diop تقدم لنـا وصفا رائعـا لوجهة نظـر هؤلاء الوثنيين فى أرواح

---

(١) انظر فاروق اسماعيل، الانثربولوجيا الثقافية، الجزء الثانى، ١٩٨٤، ص ٣٠٢

(2) Hammond, Peter, An Introduction to cultural Anth. Macmillan Company, Inc, 1971, p. 539.

اسلافهم وكيف ان أرواح هؤلاء الموتى امتداد لحياتهم حيث يلتقى الاحياء والموتى دوما فى اتصال دائم مستمر ، انهم فى حفيف الاشجار وخرير المياه وصوت المرأة وعويل الطفل .... يقول الشاعر السنغالى

استمع إلى الاشياء أكثر من الكائنات
استمع إلى خرير المياه　　استمع فى الرياح
استمع إلى الاحراش تنتحب　　انه تنهد أسلافنا
هؤلاء الذين ماتوا لم يذهبوا أبدا
هم هناك فى الظلال المتكاثفة
الموتى ليسو تحت الارض　　هم فى حفيف الشجر
هم فى الخشب الذى يئن　　فى المياه التى تجرى
فى المياه المستقرة　　فى الكوخ
هم فى صدر المرأة　　هم فى الطفل الذى ينوح
فى النار المتوهجة　　ان الموتى ليسوا تحت التراب
هم فى النار التى تموت　　فى الحشائش التى تبكى
هم فى الغابة فى المنزل　　ان الموتى غير ميتين . (١)

وبعد قد يتسنى لنا بعد هذا العرض أن نتناول خصائص عبادة الاسلاف .

اولا : نحن بصدد قوى خفيه غامضة لها سلطة مطلقة تقوم بدور وظيفى فى عالم الاحياء خاصة بالنسبة لاولئك الذين ينتمون إلى جماعاتهم القرابية (العشيرة ــ القبيلة) .

---

(١) جاك مندلسون ،الرب والله وجوجو ترجمة ابراهيم اسعد ـ دار المعارف بمصر ، ص ٥١

ثانيا : ان علاقة أرواح الاسلاف بذويهم قد تكون ايجابية (تستهدف خير ورفاهية الجماعة أو سلبية (تأديبية) وايا كان الأمر فان خير السلف وعطائه مؤكد من خلال الاستعطاف والاسترضاء وتقديم القرابين والنذور .

ثالثا : يستمد كبار السن أو الزعماء الروحيين (فئة الكجرة) سلطتهم من علاقاتهم الوثيقة بهؤلاء الأسلاف ، بل تعتبرهم بعض الجماعات بمثابة الوسطاء لهم .

رابعا : فى عبادة الاسلاف لا يركز معتنقى هذه العبادة على كيف يعيش هؤلاء الموتى ،وانما على الطريقة التى يؤثر بها هؤلاء الاسلاف فى حياة الأحياء .

خامسا . ان المعتقدات الوثنية لا تقدم حلولا لمشكلة ما بعد الموت ومن ثم فأن الغموض الذى يكتنف أفكارهم تلك يعطى الفرصة لازدهار عبادة الاسلاف هذه والدخول معها فى علاقات أخذ وعطاء ، ولعل هذه الفكرة ذاتها هى التى جعلت Igov Kopytoff فى معرض حديثه عن الأسلاف فى افريقيا يذهب إلى أن عبادة الاسلاف أنما تشير إلى الافتقار النسبي للاوز موجرافيا* ما بعد الحياة حيث يبدو عالم الأسلاف ، ومن ثم يكون التركيز على ما يمكن أن يفعله هؤلاء الموتى تجاه الأحياء .

* * *

---

* العلم الذى يستهدف وصف الكون وتركيبة

الفصل السادس

الزعامة الروحية (الوسطاء ـ فئة الكجرة)

أولئك الذين يتولون الحياة الروحية وقد يجمعون فى بعض المناطق بين السلطتين الروحية والدنيوية، وايا كان الأمر فان لهم صفة القداسة وربما هذا جعلهم يتمتعون بالسلطة المطلقة والتأثير البالغ فى جماعاتهم، يتعاملون معهم من خلال الأحلام التنبؤية والتى ترتبط أساسا باحوالهم المعيشية (بالصحة والمرض والخير والقحط وسقوط الأمطار أو الجفاف والدمار، والنصر المؤزر على القبائل المعتدية) فضلا عن الكشف لقدراته الخاصة عن الانحراف والجريمة ...الخ وسوف نحاول فيما يلى أن نعرض لتلك الزعامة من خلال الدراسة الحقلية التى قمنا بها فى مناطق جبال الأنقسنا وجبال تلشى وجبال كورنفو وان كان هذا لن يمنعنا من عرض المادة المتاحة وثيقة الصلة بالزعامة الروحية فى مناطق أخرى وتفيد المادة الاثنوجرافية فى المجتمعات الوثنية بأن الزعماء الروحيين لديهم القدرة على تطويع الأرواح الشريرة والقضاء على ما تسببه من أذى، وبل الحيلولة دون وقوع الشر، بل انهم يعتقدون ان لديهم القدرة بالاتصال المباشر بالآلهة أو بالأسلاف كما سوف نرى بعد قليل. ولعل هذا هو الذى دفع بعض الشعوب الوثنية إلى اعتبار هؤلاء الوسطاء بمثابة الآلهة أو الرب الصغير. أو كما يقول جاك مندلسون فى كتابة «الأديان فى افريقيا المعاصرة» ان هؤلاء الوسطاء بمثابة القوى الأكثر قرب من الانسان وأكثر ملاحظة لاحوالهم، وبالتالى يمكنها أن تسبب متاعب أكثر من الآلهة، كما يمكنها أن تكون أكثر خدمة فى

الأزمات » (١) . يقول « تية » اخبارى من جبال تلشى .

« ان الإلة موسلا لا حول له ولا قوة ، انه لا يفعل الشر بذاته ،ان الاشرار السحرة أو أولئك الذين يلحقون الضرر بالآخرين عن طريق العين الشريرة ، سحر أمراه ، حسد طفل ،فساد محصول ، اصابة بقره ... نحن لا نلجأ إلى موسلا وانما للكجور فهو وحده الذى يستطيع أن يقضى على السحر ويبطل مفعول الحسد ، ويحقق نجاح المحصول ويعالج العقم .. ان الكجور هو الذى يعرف مع موسلا .

ويقول أحد الازواج فى جبال كورنقو حين ترك زوجتهالتى فقدت النطق عند الكجور كاسولى للعلاج أنه وحده الذى يستطيع معرفة حالتها ، انه يسأل موسلا .

من هذا القبيل أيضا ما وجدته من أن سكان جبال الانقسنا يوجهون السباب إلى الآلة « تل » ويتهمونه بالخداع والغدر لانه أرسل شيطان الموت خلسة ليقتل ذلك الذى ينتمى إلى جماعتهم القرابية فى حين يلجأون إلى زعيمهم الروحى «الكجور» وليدفع عنهم هذا البلاء وهم يدركون أن بيده مصائر الناس وما يعترى حياتهم من تقلبات بين الخير والشر والقوة والضعف والصحة والمرض .. الخ -

ويمكن القول أن هؤلاء الوسطاء أو الزعماء الروحيين يتميزون بخصائص فى نظر تابعيهم أو على الاقل يعتقد الناس انهم منحوا امتيازا الهيا يتمثل أساسا فى . -

(١) قدرتهم على الاتصال بالآلهة أو الكائنات الاعلى التى تسود الإنسان

(١) جاك مندلسون المرجع السابق ص ٤٢ .

وتسيطر عليه (*) .

(٢) قدرتهم الكامنة فى الكشف عن نوايا الآلهة والارواح الشريرة والخيره.

(٣) تفويضهم من قبل الآلهه أو الكائنات الاسمى أو الاسلاف للقيـــام بالاعمال الطقسية والتكريم وتوجيه افعال الناس لتحقيق اهداف معينة تتمثل فى :

(ا) تحقيق التجانس واستعادة العلاقات الودية بينهم وبين الاله من ناحية او بينهم وبين الاسلاف من ناحية أخرى.

(ب) رفع الضرر او الاذى عن تابعيهم .

وسوف نعرض هنا لنظام الكجورية فى جبال تلشى Tullishi ومن خلاله نستطيع القاء الضوء على الزعامة الروحية وخصائصها فى مثـــل هذه المجتمعات التقليدية . ان التلشيين ومن بينهم سكان كرلانجا يسمون زعيمهم الاكبر كيوراماننا او الكجور السلطان وتعنى « سيد الرمح » ونفس هـــذه التسمية تجدها لدى جيرانهم من قبائل الدنكا اذ يسمون زعيمهم Banbith أى زعيم الرمح او الحربه (1) والكجور بصفة عامة يحظى باحترام كبير لماله من مكانة اجتماعية وتأثير بالغ سواء على المستوى الفردى أو الجمعى وهو يجمع بين السلطتين السياسية والروحية ، ويعتبر شخصا مقدسا ، وتمتد صفة القداسة هذه

(*) فى هايتى بمنطقة الكاريبى حيث تسود ديانة الفـــودو (ديانة وثنية) « والتى درسها جيرت شيزى الالمانى الجنسية ثم نقلها الى الانجليزية ارنست كلامبانورا » . يقوم الكاهن أو الساحر رجلا أو امرأه بالطقوس والممارسات للاله الخالق (ماوو) حتى يمكن الاستعانة به للعون والمساعدة وتحقيق السعادة فى الحياة .

(1) Deng, M. francis, op. cit, p. 52.

ممتلكاته الخاصة ، وان ابشع الجـرائم هى التى ترتكب فى حقـه فلا يجب لمس ممتلكاته او اتلاف زرعه ، فاذا ما ألحق احدهم به ضـرراً مقصوداً او غير مقصود كأن اعتدى على ارضه أو حيوانه فيجب الاسراع او الاعتراف له ، وان يحضر الجانى عين الشيء الذى اتلفه سنويا وفى نفس الميعاد طوال حياته الى ان يعفو عنه ، وان يكرس الجميع جهودهم من اجـله ، يزرعون أرضة ويجمعون محصولة ويرممون بيتة .. ويعتبر مسكن الزعيم « السلطان » مقدسا ومن لاذ بة كان آمنا مهما ارتكب من أفعال وجرائم حتى القتـل .. ولة حق المنح والعطاء فاذا ماخلع شيئا من ممتلكاتة على احدهم صار مقدسا لقدسيتها ، ولكن لاينبغى على احد ان يتطاول للحصول على شيء من هذه الممتلكات دون اذن منة ، لانة لن يستطيع تحمل القوة المقدسة الكامنة فيها ومن ثم يلحق بة الضرر والدمار والى عهد قريب كان « كيوراماتشا » هو الذى يعين الاربعة الآخرين كجور المطر وكجـور الزراعة وكجـور الحصاد وكجـور الحرب وممتلكاتهم مقدسة أيضا ، ولايجوز الاقتراب منها أو المساس بها ، والجدير بالذكر ان ثمة اعتقاد ان هؤلاء الكجرة لاينبغى ان يقابل احدهم الاخر طوال حياتة واذا حدث وتقابل اثنان منهما فان احدهما سوف يموت على الفور خلال نفس العام ، ولذا نجـد اماكن اقامتهم متطرفة ومتباعدة فى انحـاء تلشى ، وحركتهم محدودة للغاية حتّى لايلتقى احدهم بالآخر . والتلشيون لايتذكرون الانحدار الجينالوجى لزعمائهم نظر لانتمائهم لعشائر مختلفة وان كان هناك رأى يرى انهم ينتمون لعشيرتين متباينتين وانها قد تناوبتا هذه الزعامة وليس هناك تفسير لذلك،ويذكر لنا Nadel اسماءعشرة زعماءسابقين ينتمون الى محليات مختلفة منها Latoto, Katte, Kadibenda, Kawe, Kafunya tet du Katleng, .. الخ ويذهب الى انة على الرغم من ان الزعامة وراثية فى خط

الذكور حيث تنتقل الى اكبر الابناء سنا باستثناء المريض أو الابلة أو المعتوه ، الا انها اضطربت اخيرا بعد وفاة زعيمهم Kafelesha حين حاول Bakelle اغتصاب السلطة بمساعدة ناظر المسيرية وان هذا الاخير كان يجيد العربية وكان فى وضع يسمح له باغتصاب الزعامة لانه احد اثنين ممن يسمون بصانعى الملوك Abanyora وعادة مايتوليان مهمتهما بمجرد موت الزعيم حيث يبـــاشران السلطة بصفة مؤقتة حتى نهاية موسم الحصاد ، وفى تلك الفترة فانهما يتدارسان موضوع الزعامة حيث يأخذون فى الاعتبار سن الزعيم المرشح وحالته العقلية والصحية ، ويذكر «نادل» انهما اذا اتفقا على الاختيار * لاحد الزعماء يزورانه ليلا حاملين بخسه مليئة بالرمـــاد ، وينثران الرماد عليه ، ثم يصيحان فى وجهه صيحات قوية اقرب الى صوت الضبـــاع ، ولايستطيع

(*) اما فى جبال الانقسنا وفى مناطق اخرى من السودان فليس ثمة اختيار للكجور على هذا النحو ، ان الكجورية لديهم يمكن التنبؤ بها منذ الصغر على حد زعمهم فاذا ما ولد طفل وكان لونه يميل للاحمرار ولم يتغير هذا اللون مـع نموه الفيزيقى فان هذا يبشر «بالكجورية» وعادة ماتنتابه آلام فى مفاصله وقد يشعر بعدم القدرة على الرؤية ويقع فى اغماءه .فى هذه الحالة فان اهله يستدعون له كجورا اكبر ويعدون له المريسة ويخلطونها بالشطة ويكسرون بعض الاحجار الى ذرات صغيرة تضـــاف للمريسة حيث تسكب على عصا معينة ويمسح بها الكجور على مفاصل الطفل المريض . هنا قد يرى الصبى « مانجل » «الشيطان» ولكنه لايتحدث معه ومن ثم تنحر كرامه « خنزير او نحوه » ليأخذ طريقة الى الكجورية وبصفة عامة فان الكجورية قاصرة على اولئـــك الذين اتيحت لهم فرصة رؤية « منجل » واشهر هؤلاء الكجرة فى المنطقة « سقد » « وجكمان » و « جبردار باو » و « سامانج »

هذا المرشح ان يرفض عرض الزعامة خوفا من التهديد السحرى على حياته ، وعادة ما يتخذ الزعيم المرشح من اخيـه الأكبر مساعدا له للشئون الطقسية ويعتبر هذا الاخير بمثابة حامل الرمح المقدس كما انه يتولى بعد وفاة الزعيم مهمة خلع القرط الحديدى المقدس Tygun من اذن الزعيم المتوفى اليسرى قبل الاعلان عن وفاته * وعادة مايتولى مساعده الزعيم الجديد وضع القـرط فى اذن المرشـح للزعامة وهكذا ... كما انه يتولى تسليمه عصا متشعبة من شـجر «الأرادى» يوم تقلده لمنصبه ، هنا يحتشد كل السكان لتحية الزعيم ، النساء يحضرن اطفالهن حتى تباركهم روحه «كاتجن» ... وعادة مايقابلهم بنثر الماء ليصبحوا اصحاء اقوياء وفكره القداسة لدى الزعيم الكجور تبـدو فى اوضح صورها فى اعتقـادهم بأن ثمة قوى خفية سرية تسيطر عليه وتزوده بالأحلام التنبؤية ، والتى يقـــدم فى اعقابها القرابين للاله « مسللا » « ثورا أو بقرة »وعادة ماتعلق جماجمها على اعمدة البيت « خاصة فيما مضى » ويقترب الناس من مسكنه فى حذر بالغ ، فلا ينبغى

---

* يعتقدون ان هناك مرض يسمونه Mara Mesalli يتمثل فى الاعتقاد ان هناك مرض معين يلحق بالزعماء لامحالة ، ويخبرنا نادل ان كلمه Mara ليس لها صلة بكلمة المرض عند العرب ، وانه مرض غامض مكتنف بالاسرار حيث تظهر اعراضة فجأه ، يفقدون الوزن ويشعرون بالضعف والوهن ،وليس لديهم تفسير لهذه الاعراض سوى ان الاله «مسلى» قد أراد هذا ، وان لاعلاقة لهذا المرض بالحسد أو بالسحر أو العـين الشريرة ، فالزعيم الكجـور ذو مناعة لاحد لها ـ الفكرة ذاتها توجد لدى عدد من القبائل الافريقية حيث يقتل الزعيم شعائريا حتى لايتناهى فى الكبر وخشية انتقاص قدراتة الجسمية الأمر الذى يضعف قواه السحرية.

Nadel, the Nuba, An Anthropological stndy of the hill tribe in kordo fan, oxford un, press, London p. 345.

ان يزعجه احد فلربما كان نائما ، وروحه هائمة هنا او هناك ومن ثم فان ايقاظه فجاة قد يجعلها تفشل فى العودة الى جسده وقد يموت . ويجب على الزعيم الا يأكل لحم الخنزير او الكلاب شأنه فى ذلك شأن صانعى الزعماء أو مساعدة تلافلانجا كما يحرم عليه اكل اللحوم او شرب الخمر مع الغرباء من عشيرته * ويمكن القول ان شخصية الزعيم الكجور كانت الى عهد قريب تتمتع بالسلطة المطلقة والتأثير البالغ لما لها من قداسة ، وبالتالى الخوف فى حالة العصيان او المعارضة لما يراه ، أى أن زعامته فى قدسيته خاصة فيما مضى ، حيث كان يمدهم من خلال أحلامه التنبوءية ** بالنصر المؤزر مع القبائل الأخرى كما انه يستطيع أن يضع حد للعدوان والثأر هنا فان دور الزعيم *** بمثابة حائل دون استفحال الصراع

---

* والجدير بالذكر ان السلطان « تية اومدنى مبارك زعيم كرلانجا وتلشى كان يشاركنا الطعام والشراب .

** أما فى منطقة الأنقسنا فان الأنقسناوى يلجأ إلى الكجور عادة ليعرض علية مارآه فى أحلامة ، وسرعان مايحدد لة هذا الأخير نوع القربان الذى يقدمة لأسلافة وعادة ماينحر القربان على قبر الميت حيث يحرصون على تدفق الدم على القبر ، هنا يأخذ الكجور ماطاب له، فى حين يترك البقية الباقية ليتناول منها المشاركون فى الشعيرة .

انظر فاروق اسماعيل « اثنوجرافيا الأنقسنا » ١٩٨٠

*** يمكن القول أن دور الزعيم تحت تأثير المد العربى الاسلامى ونظم الادارة الحديثة تغير الى حد بعيد وانحصرت وظائفة فيما يلى : الحفاظ على الحدود القبلية حتى لاتنتهك ، ومساعدة تابعية ممن يلجأون الية للمساعده والقبض على المذنبين ومرتكبى الجرائم ، زيارة الهضبة ومن ثم الترحيب بة من قبل مساعدية من المشايخ والوكلاء ، أن يكون على علم ودراية بحوادث =

ومحققا للعدالة ،وإن كان التلشيون يستغيثون به دوما وبقدرته التنبؤية لاكتشاف السرقات وجرائم القتل ومدى ارتكاب الآثمين لذنوبهم ويلعب الرمح المقدس دوراً حيوياً إذ أن من يقسم عليه حانثا سوف يموت لا محاله .

وايا كان الأمر فإن المنطقة عرفت السلطان الكجــــور « بالـكى » فى أواخر الثلاثينيات وكان مقره « تروى » ثم جاء السلطان « الباشا جريش » ثم حدثت تغييرات أدارية جوهرية اجتمع التلشيون على أثرهـــا فى منطقة رأس الفيل ليختاروا سلطانهم الجديد ، وقد رشحوا وفقـــاً لتعليمات الأدارة وثلاثة من

= الشغب والقتل ، ووصول الغرباء والطرد ... كذلك سلطة النظر فى الدعاوى إذ أن حضوره من الأهمية بمكان لفض النزاع ، المشاركة فى شعائر الوفاه .. تلك هى الوظائف التقليدية التى تناط به .

بيد أن هناك وظائف أخرى يضطلع بهـــا منذ التغيير الادارى عام ١٩٧٤ بمقتضاه يتولى اعطاء شهادة المواطنة (الانتماء الاتلشى) وشهادة الميلاد ، فضلا عن رئاسة المحكمة الشعبية ، وجمع الضرائب وتوريدها إلى مجلس شعبى «لقاوه» [وعادة ماتقدر هذه الضرائب وفقاً لقرار المجلس الشعبى ،(خمسون قرشا عن البقرة، واثنتا عشر عن الشاه أو الماعز وعشرة قروش عن الحمار وفقاً لتقديرات عام ١٩٨١]

والجدير بالذكر أن المشايخ والوكلاء التابعين للسلطان يساهمون بجهودهم فى تلك المهام السابق الاشارة اليها ، وأيا كان الأمر فإن الكلمة العليا فى كرلانجا للسلطان ، وليس هناك اعتراض على كلمته أو تراجع فى أحكامه ، فلابد من الاستجابة لما يقضى به ، وفى حالة الاعتراض وقلما يحدث فإن السلطان يأمر أعوانه وتابعيه « نيسباليا » أولئك الذين يعينهم من الشبان الأقوياء لتنفيذ أوامره .

أبناء تلشى (تيه السلطان الحالى ، بارسينا وتلدوم تكى) واختارت الادارة ممثلة فى مساعد المحافظ وضابط المجلس المحلى السلطان تية فى عام ١٩٧٤ ومن ثم أصبح هذا الشكل الأدارى الجديد بمثابة تنظيم استهدف ربط جبال تلشى ببقية مناطق جنوب كردفان،لادخال نوع من الادارة الحديثة . على نحـــو ماهو سائد فى جميع أنحاء البلاد ، وليتولى دوره فى أقرار الأمن ، ومنذ ذلك الحين يمكن القول أن السلطان فقد وظيفته الروحية وانقطعت الصـــلة بينه وبين « السبور » ، بل وانحصرت مهامه وتابعيه فى القيام بأدوار محددة تتمثل فى جبـــاية الضرائب بمساعدة المشايخ والوكلاء فى مناطقهم المختلفة، ومباشرة القضايا وفض المنازعات المرتبطة بالزواج والطلاق ومشاكل الأراضى والزراعة ... الخ ،وعادة مايحاول الوكيل كما هو الحال فى تميلى أو سرفاية فض المنـــازعات المحلية فإن فشلت الجهود ، رفع الأمر إلى السلطان ، هنا يجتمع المجلس العرفى للنظر فى القضايا .

هذا فيما يتعلق بالزعيم الكجور فإذا انتقلنا إلى الكجره الآخرين ، لوجدنا فى مقدمتهم كجور المطر * أو مايسمونه بالمحليـــة (كيورامامى) وتنحصر

---

* وبصفة عامة فإن كجـور المطر يحظى بالاحـــترام والتقدير البالغين فى المجتمعات الثلاث كارلنجا ، كورنقـو ، والأنقسنا وغيرها من المناطق الوثنية التقليدية بل ويبالغون فى تقدير صانع المطر هـــذا يقول « آرنو » أحد الاخباريين فى جبال كورنقو « أن تشيللى عنده قوة خارقة ، منذ أيام جاء اليه بعض الأشخاص من كادوقللى والأرض ناشفة فانزل لهم المطر «تشنغرو» فى الحال»ويستطرد « أن بامكان تشيللى انزال المطر الآن » وفى هذا المعنى يقول « انجو » اننا نخدم « كاسوللى وتشيللى » من أجل الآله , موسلا »، كدوجو كازازا ، كاسوللى تشيلى داموسلك . وتبرر المجتمعات التقليدية هذه المفاهيم التى تدور حول هذه الزعامات الروحية بدعم اسطورى كما نجد عند جيرانهم=

مهمتة فى عملية اسقاط المطر ومن الطريف أن فشل الكجور فى اسقاط المطر قد يترتب عليه معاقبته أو تعذيبه ولا يطلق سراحه إلا بعد سقـــوط المطر ، على الرغم مما لديهم من أفكار عن قداسته وقدرته على الاتصال بالأله «موسلى».

أما كجور الزراعة فإنه يختص بالممارسات والطقـوس التى تستهدف وفرة الانتاج الزراعى . وكجور الحصاد الذى يوجه التشليين عند الاحتفال بموسم الحصاد ، كما يشرف على القرابين التى تقدم بهذه المناسبة . أما كجور الحرب والدم فهو يتولى الطقوس والممارسات التى من شأنها تحقيق النصر لتابعية والهزيمة للاعداء* بيد أن هناك جماعة أخرى من كبار السن « كتياكناالافت » أولئك الذين يناط بهم فض النـزاع والفصل فى الخصومـات ،انهم بمثابة حلقة الاتصال بين الاطراف المتنازعة والمشايخ والوكلاء اذ يستهدفون دوما اقتراح اسس للصلح بقصد الوصول الى نوع من التسوية أو التعويض سواء بين أولئك

« النيمانج » حين يذهبـون الى أن Wula سلف صانع المطر الحـالى لم تلده أمه بالطريقة التقليدية كبقية النساء وانمـا جاء مندفعاً من داخل ركبتيها بعـد أن مسحتها بالزيت كما طلب اليها من داخل رحمها ، وإن رجولته اكتملت فى أربعة أسابيع تماماً كرفيقه شلما Shilma من أهم أسلاف جبال «نتل»

(انظر احمد عبد الرحيم اسلاف النيمانج ، مجلة الخرطوم ، ص٤٣)

* اما كجور الحرب عند الدنكا فى جنوب السودان فإنه يقوم بدهن أرجل المحاربين من عند الركبه باللبن والزبد متوسلا للالهة أن تهدئ من روعهم وتنزل السكينة على قلوبهم ، وأن تمنحهم الشجـاعة ليحققوا النصر على اعدائهم فإذا ما اتم الكجور Beyn ذلك دهن نفسه بالزيت وذر بعض التراب على رأسه وجلس فى الشمس المتوهجة بقية اليوم صائماً عن الطعام مصلياً لنجاح جنوده وهم على قناعة بالغـــة من أن الكائن الأعلى سيقف إلى جانبهم فى الأوقات العصيبة

Lienhardt, Godfrey, op. cit, p. 105

ينتمون إلى مجتمعهم المحلى كرلايجـا أو المجتمعات الأخرى مثل شقاوة ورأس الفيل ... الخ ، ومما تجدر الأشارة اليه أن هؤلاء الأجاويد يستمدون زعامتهم من صفاتهم الشخصية وبالتالى من اقرار الجماعة لهذه الصفات ومن هنا جاء تأثيرهم فى حياة الجماعة سواء من الناحية الدينية أو الاجتماعية أو الاقتصادية .

فضلا عن كجور العلاج أو الكاهن الطبيب. ويضطلع اساساً بمهمةالاستشفاء ويدعى بعضهم أن له صلة بالعالم الخفى وقدره على التنبؤ بالأحداث ،وفى جبال الأنقسنا يرتدى البعض منهم فروة من جلد الغنم ليستر بـها نصفه الأسفل وتسمى « ديريما » ويربط قطعة من القماش من أعلاها ويترك نصفه الأعـلى عارياً كما يضع على رأسه « مارس » من دائرة الحبال أو الزعف أو من جلد إبلنج « قرد صغير ». يعقد من الخلف . يحمل فى يده جراب « جر » من جلد القط البرى«إى»ويضع فيه العروق وقد يمسك عصا خاصةذات لون أحمر يسمونها « كزى » تتدلى منها بعض التمائم والتعاويذ .

هذا والكجور أو الكاهن يأخـذ دور الطبيب أو الساحر أو العراف أو المشعوذ Wizard أن صحت هذه التسمية ، أن لديه القدرة لتحضير الأرواح والقوى الخارقة . فضلا عن اعداده للادوية من الأعشاب المقدسة والتعاويذ لكل شيء * ويرى كاسولى أو كجور الطب أن هناك ثلاثة أنواع من الأمراض :

* ولا يختلف الأمر كثيراً عما نجده لدى قبيلة Ama Qwathi فى منطقة transkei فى جمهورية جنوب افريقيا التى درسها J. Broster حين تتحدث عن الكاهن أو الطبيب الساحر فى ديانة الـ Qaba تقول أنه يستطيع أن يتحدث الى أرواح الأسلاف Ancestral spirits ينقل رسائلهم للنـاس ويركز على الشعائر لتكريمهم ، وان لديهم ثلاثة أنواع من الأطباء السحره الأول ويسمونه بالمحلية Gqira والثانى Gqwira والثالث Xhmele ومع ذلك فإنه يمكن اعتبار =

(١) امراض بسيطة مثل البرد والصداع وآلام الجسم الأخرى كالكسور والآلام الناتجة عن الالتهابات الجلدية impetigo أو الجرب Scabies] وتلك يجدون فى الغطاء النباتى مايفى باحتياجاتهم ، فإذا لم يستطع الأهالى وضع حد لآلامهم لجأوا إلى كاسوللى والذى يزعم أنه يستعين بنوع من الأعشاب المقدسة التى تحقق لهم الشفاء .

(٢) أمراض أخرى لايعرف سببها ربما أرسلها الأسلاف أو الارواح الشريرة كعقاب لاهمالهم عادات وأسبار الأجداد أو لأنهم لم يقدموا القرابيين التى يجب تقديمها ومن ثم فإن المرض نوع من الجزاء أو فى حالات اليمين الحانثة ، هنا يأتى دور كاسوللى ومحاولة رأب الصدع بين المذنب والأسلاف أو الأرواح أو الآله موسللا .

(٣) حالات الولادة والعقم ويبرر كاسوللى ذلك بوجود نوع من اللحمية ,,دمو،، لابد من استخراجها ويزعم أنه يستطيع ذلك ويدفنها فى الأرض بعد أن يجد لها حفرة خاصة بالكوكاب، ويسود الاعتقاد أن عدم دفن,,الدمو،، يؤدى إلى انتشار المرض . وعادة مايحاول أن يعتصر بطن المرأة العاقر بيده

=الأول والثانى بمثابة العراف diviner الذى يصنع ويعد الأعشاب اما الثالث فيمكن اعتباره ساحراً يمارس الممارسات السحرية الصرفة ، وجميعهم لديهم القوة لتحضير القوى الخارقة ... انهم يتعاملون مع الآلهة والقوى الخارقة والوسيطة تماماً كما يتعاملون مع الأدوية العشبية والتعاويذ . . لديهم أدوية لكل شئ .

انظر : Broster, Joan A., Red Blanket Valley, Hugh Keartland Publishers, Denver, Johannesburg 1967, pp, 46-47.

مراراً وقد حمل بيده الأخرى ومخسة، بها بعض الماء يسمونها ,كوردو، ويزعم أنه يعثر على أشياء إذا رفعها زال العقم ، يقول ,كرقى تيه، من جبال كورنقو عن كاسولى أنه ينقذ النساء من الموت فى حالة الولادة ,كاسولى اناكدوجو كافيديجى كاجانا آنا ،، .

ويذهب كجور الطب إلى أن له خبرة بالعـــلاج النفسى ويسمونه بالمحلية ,,منديا،، وقد رأيت فى بيته امرأة فى نحو الثلاثين من عمرهـــا فقدت النطق وتعتريها أعراض تتمثل فى ارتفاع وانخفاض درجة الحـــرارة وقد أرسلها زوجها والذى يعمل جندياً فى عاصمة الأقليم إلى المستشفى مراراً دون جدوى ثم بعث بها أخيراً إلى كاسولى،وعنـدما فحصها هذا الأخـير أمر بأن تمكث المرأة عنده ليعالجها بالماء نهارا والدعاء ليلا مبرراً حالتها بأن ثمة أرواح شريرة قد تقمصتها وحالت دون نطقها وسببت لها حالة الوهن والضعف التى وصلت إليها تلك - وفى مثل هذه الحالات فإن كاسولى يرقـــد على حد زعمه فى بيت الأسلاف يسأل ,,موسلا،، الرأى والمشورة .

وعادة ماتأتى الاجابة عن طريق الرؤى والأحـــلام ، ومن ثم يضع خطة العلاج ، وقد يقتضى الأمر الاتصال بالأرواح الشريره لاقنـــاعها بأن تترك جسم المريض ، كما يمكن ايضا عن طريق هذه الأحلام التنبؤية معرفة الحاسد أو الساحر إلا أنه لايخبر المريض خشية أن يحتدم النزاع بين الطـــرفين . وفى حالات كثيرة يفشل الكجـور فى تحقيق الشفاء لمرضاه ، ولايجـد لذلك تبريراً سوى أن الإله ,,موسلا،، لايريد الشفاء،ومن الطريف أن كجور الطب كاسولى حين قام بزيارتى رداً على زياراتى المتعدده سألنى عن أدوية للمـلاريا وآلام المعدة وقد أعطيته بعضاً منها فشكرنى ممتناً ولما سألته ألا تعالج مثل هذه

الحالات أجاب بأن طريقته تحتاج إلى وقت طويل .(١)

وبعد نحن بصدد نوع من الزعامة الروحية المقدسة التى يعتقدون فيها ككائنات وسيطة لديهم القدرة على معرفة كل شىء عن الكون خيره وشره ، يستطيعون الاتصال بالآلهه والأرواح الخيره والشريرة وأرواح الأسلاف ، لديهم القدرة على التنبؤ بالمستقبل ، وأزالة آلام البشر ومايلحق بهم من محن ومصائب . بل ويمتد دورهم ليس فقط إلى الأحياء وإنما إلى عالم الموتى أو الاسلاف ، وقد تفشل محاولات هؤلاء الزعمـــاء، إلا أن الوثنيين يرفضون أدراك فشلهم هذا ، وإنما يبررون ذلك بأن الآلهه أو القوى الخـارقة أو أرواح الأسلاف ترفض هذا الأسترضاء ،، أو محاولة أستعادة العلاقة الودية بينهم وبين تابعيهم ، انهم دوما فى حاجة الى المزيد من الصلوات والقرابين .

وفى الحقيقة أن مجال البحث عن النزعة الروحية فى المجتمعات التقليدية الوثنية مازال يحتاج إلى الكثير من الجهد والمعاناه فهو على درجـــة عالية من التعقيد لأرتباطه بالبناء الاجتماعى ككل ومايحويه من علاقات،فضلا عن ارتباطذلك كله بمفاهيمهم عن الألوهية والقوى الخارقة والموت والأسلاف والقداسة والأرواح الخيره والشريرة إلى غير ذلك ،الأمر الذى يستدعى القيام بالعديد من الدراسات الحقلية لسبرغور هذه الموضوعات .

* * *

---

(١) فاروق إسماعيل ,, الأنثروبولوجيا الثقافية ،، الجزء الثانى دار المعرفة الجامعية ١٩٨٤ .

الفصل السابع

الطوطمية Totemism

الطوطم Totem أصطلاح ظهر فى نهاية القرن السابع عشر ، حين نشر لانج Lang كتابه عام ١٧٩١ ، والكلمة فيما يبدو استمدت من هنود الأجيبواى Ojibwa أحدى قبائل أمريكا الشمالية ، حيث أن كل فرد إنما يدخل بطريقة أو أخرى فى علاقة بحيوان ، أو نبات أو جماد ، والذى يعتبر فيما يقول Claude Léve Strauss بمثابة الروح الحارسة Guardian Spirit (1) ومن ثم تشعر الجماعة الاجتماعية ، عشيرة أو قبيلة بنوع من الانتماء أو النسب الخاص حيث تعتبره السلف الاسطورى ، أن مفهوم الطوطمية * يعنى شكل من التنظيم الاجتماعى المرتبط أساساً بالطوطم ، ويمكن القول أن الطوطمية تقوم فى أساسها على مبدأ دينى ** يقسم الجنس البشرى إلى فئات حيث ترتبط جماعات ثقافية

---

(1) Claude Leve Strauss; Totemism, p. 87.

* ان نظرية دوركايم عن الطوطمية توضح أن الطوطمية إنما تمثل شكل خاص من ظاهره عامة تسود المجتمع الانسانى - ويعتبر دوركايم الطوطمية نوعاً من الشعائر الدينية .

** يعتقد أفراد العشيرة أنهم منحدرون من الأصل الطوطمى ويعتبرونه أباً روحياً لهم ، ينزلونه منزلة التقديس ويعتبرونه آلهاً يعتقدون أنه سبب وجودهم وسر بقائهم ، يستمدون منه الحياه والقوة والامل ، ويرون أن روح الطوطم منبثقة فى كل فرد منهم، تحل فى كل نشاط هام مرتبط بكيانهم... (أحمد الخشاب - « دراسات انثروبولوجية » ص ٤٨٣ ومابعدها)

معينة بكائن أو بشيء محدد أى « طوطم » أو كما يقول فريز Frazer * هى نوع من العبادة (١) أنها رمز للآله أو المبدأ الحيوى للمجتمع فيما يقول إيفانز بريتشارد (٢) باختصار الطوطمية تشير إلى نوع من العبادة لحيوان أو نبات أو جماد يعتقد أن الأسلاف قد انحدروا منه وتجسدت فيه روح العشيرة أو القبيلة وسوف نحاول فيما يلى أن نعرض للأنماط السلوكية المرتبط بالطوطم فى مناطق مختلفة من العالم حتى يتسنى لنا أن نعرض لخصائص الطوطمية،ففى أستراليا وفى مناطق متباينة من القارة حيث تسود الطوطمية وحيث تنقسم القبائل إلى عدد من العشائر الطوطمية Totem Clans يستهدفون بطـــرق مختلفة تكاثر الطوطم من أجل رفاهية المجتمع مستخدمين الطقوس السحرية Magical Ceremoneis (معظم هذه الطواطم حيوانات أو نبـــاتات تؤكل) ومن ثم يتسنى للقبيلة أن تجد ماتحتاج اليه من الطعام والضروريات الأخرى كما نجد لدى قبيلة الوراموبحا Warramnugo حين يحاول الزعيم الأكثار من طوطم الكوكاتو الأبيض White Cookatoo بأن يمسك بيديه دومية Effigy للطـــائر مقلداً صوتها

---

* ظهرت كلمة Totem فى الدراسة التى قدمها لانج Lang عام ١٧٩١ ، أول من ربط بين الطوطمية وتاريخ البشرية الاسكتلندى Mac-Lennan كمــا درسها Lewis Morgan فى كتابه المجتمع القديم ١٨٨٧ ثم Frazer حين نشر كتابه عن الطوطمية ثم جاء البريطانى Robertson Smith ثم تناولها الاستراليان Gillin, Boldwin Spencer

(1) Frazer, G. op. cit, p. 17

(2) Evans. pritchard. op. cit. p. 58.

الحسن ، وكذلك الحال بالنسبة لطائر الايمو Emu* ويعتبر عنصر أساسى من عناصر الغذاء لديهم ، حيث يجتمع الرجال مع زعمائهم الدينيين محاولين رسم « الأيمو » على الأرض وخاصة الاجزاء التى يفضلونها فى الطعام والتى تختزن الشحم والبيض ، ثم يجلسون حولها يغنون ويرقصون، وقد يرتدى البعض منهم أقنعة للرأس تمثل فى شكلها عنق الايمورن الطويل ورأسه الصغير مقلدين مظهر الايمو د حركته المشوائية (١) .

من هذا القبيل تلك الممارسات التى نجدها لدى بعض قبـــائل استراليا تجـاه الخفاش Bat والبوم Owls ، والتقدير والاحترام تجاه الطوطم هنا لايقوم على اعتبارات ذاتية لان كل فرد يرى أن الأمر وثيق الصلة بحيـــاة أبيه وأخوته وأبنائه وهكذا ، أن حياتهم جميعاً مرتبطة بخفافيش محـــدده ، ومن ثم فان حمايته لفصيلة أو نوع الخفاش ، يعنى حمايته لحياة أقاربه من الذكور تماماً كما يحمى حياته،وبالمثل فإن كل أمرأة ترى أن حياة أمها ، أخواتها أو بناتها تتساوى مع حياتها الخاصة والتى ترتبط بدورهـا شأنها فى ذلك شأن الاخريات ـ بحيـاة بومه معينة ومن ثم فإن حماية جنس البوم كله مطلباً حيوياً (٢)**

---

* الـ Emu أو الـ Emuwren وهو طائر استرالى صغير الحجم أشبه بالنعامة إلى حد كبير ، رمز الطوطم لدى قبائل الكورنية Kurnai ، حيث يستعان بة فى شعائر التكريس ويتم استدعاوه باعتبـــاره طوطم القبيلة واحد الاسلاف المتميزين (انظر فاروق اسمـــاعيل « الانثروبولوجيا الثقافية » الجزء الاول ، الهيئة المصرية للكتاب،ص ٨٩)

(1) Frazer, op. cit, pp. 17—18.

(2) Ibid.

** ويستطرد فريز Frazer قائلا عندما حياة الانسان تتضمن فى =

فإذا تركنا القبائل الاسترالية واتجهنا إلى افريقيا لوجدنا العديد من الأنماط السلوكية المرتبطة بالمظاهر الطوطمية ، ربما يكتنفها الغموض أحيانا لأنها تصبح خاصة بعد انتشار المد الأسلامى والمسيحية ـ نوع من الرواسب الثقافية والتى قديمارسها سكان هذه المناطق على أنها نوع من ممارسات الآباءوالأسلاف ،ومن هذا القبيل أن سكان قبائل غرب الكاميرون يحرمون أكل لحم الخنزير والسلحفاه والفهد على الرجال ، فى حين تحرم لحوم الضانى والقرده والسمك والثعابين على النساء ، وثمة أعتقاد لديهم أن من يخرج عن هذه القاعدة تحـــل به الكوارث كالمرض أو العقم لزوجاته أو ماشيته أو فساد المحصول.

أما أقوام « جابون » فيعتقدون أنهم ينتسبون إلى فيل يعتبرونه بمثابة الجد الأسطورى . فى حين نجد أن عشائر قبيلة الـ Basuta فى جنوب أفريقيـــا South Africa والتى انتشرت فيها المسيحية إلا أنهـا مازالت تسمى نفسها

= حيوان معين فإن التميز بينها وبين الحيوان يكون صعباً للغاية ، فإذا كانت حياة أخى (جون) المتضمنه فى خفاس ، فإن الخفـاش يكون بمثابة الأخ تمامـا مثل (جون) هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن جون يعنى الخفاش طـالما أن حياته متضمنة فى هذا الحيوان وبالمثل إدا كانت حياة أختى « مارى » متضمنه فى « بومة » ، حينئذ تكون تلك الأخـيرة بمثابة الأخت و « مارى » بمثابة البومة ، تلك نتيجة طبيعية لهذا الأعتقاد (Frazer - p 588) وبالمثل لدى قبائل الكورنية Kurnai فإن طيور الايمورن Emuwren تعتبر أخوه للرجال وكل الرجال بمثابة طيور الايمورن وكل العصافير الصداحة Warblers بمثابةأخوات للنساء ، النساء بمثابة طيور تغنى ... [عندما البدائى يسمى نفسه كالحيوان ويعتبره امتداد لذاته ويناديه كأخ له ويرفض قتله وأن أضطر فإنه يمارس نحوه بعض الطقوس والممارسات . هنا يعتبر هذا الحيوان طوطماً ...]

بأسماء التمساح ، الاسد ، القرد ، أما قبيلة « الكيوكيو » فى كينيا فإن الطوطمية لديهم تأخذ مظهراً نباتياً، فإذا قطعوا الاشجار لتمهيد التربة وزراعة الارض فأنهم يحرصون على ترك شجرة سليمه بين مسافة واخرى حيث تلجأ اليها « الانفس » الساكنة فى الاشجار المقطوعة بعد أن يقدموا لهاالضحايا والقرابين، ويتضرعوا اليها أن تترك مقرها وتنتقل إلى الاشجار التى لم تقطع .

هذا وقد قدمت المادة الاثنوجرافية التى قمت بجمعها العديد من المظاهر الطوطمية، ففى جبال الانقسنا شرقى السودان ينظر الناس إلى طائر «السمبرية» بالاحترام والتقدير فلا يصاد ولايؤكل ، يحيونه ويقدمون له الطعام والشراب بمجرد اقترابه من مساكنهم، وثمة اعتقاد لديهم أنه أحد الاسلاف جاء بعد طول غياب يكرمون وفادته ويتركونه يتجول فى هدوء حول مساكنهم ، لاينبغى أزعاجه ، بل وينظرون اليه فى زهو وفرح بالغين،وبما ندرك مغزىهذا السلوك إذا ادركنا أن جيرانهم فى الجنوب يأكلون هذا الطائر شأنه فى ذلك شأن بقية الطيور الاخرى الموجودة لديهم .

فإذا تركنا جبال الانقسنا وذهبنا إلى جنوبى كردفان لوجدنا حيوان « البوقا » وعلى الرغم من قداسته فإنه يؤكل * وعادة لايصاد إلا بإذن الزعيم الروحى « الكجور » عند أقتراب سبر الخريف حيث يخرج الشبان إلى الصيد محاولين الامساك به، ويحملونه إلى الزعيم عند الشجرة المقدسة والتى يسمونها بالمحلية انجيكركاتامسلا هنا يحمل الكجور الصيد ويضعه على ساقيه لتقوم احدى مساعديه وتدعى « انداطو » وتغسل فم حيوان «البوقا» بالمريسة « نوع من الخمور الشعبية ثم بالماء فيموت على الفور ، ويذبح وينظف على النار ثم

---

* يذهب Frazer فى فصل له بعنوان أنماط التقديس الحيوانى إلى أن العبادة البدائية للحيوان يمكن أن تنقسم إلى نمطين مختلفين :.

يقطع إلى قطع صغيرة جدا ليوزع على أطفال القرية اعتقاداً منهم أن فى ذلك رحمة وفأل طيب لهم ولذويهم بالقوة والحيوية والنماء .

أما سكان كورنقو Korongo فى كردفان فإنهم ينظرون إلى ثعبان الماء « نى » بالقداسة والرهبة ، بل أنهم يزعمون أن الاشخاص العاديين لا يرونه وإنما فئة الكجره أو الزعماء الروحيين مثل كاسـ ولى وتشيلى - لأن روح الاله موسلا Musala قد تجسدت فيه أو لأن الاله قد يظهر على هذه الصورة وقد يمتطى صهوة جواد . كما نجد هذه المظاهر ذات الدلالة الطوطمية فى تلك المنطقة ايضا فيما يسمونه باللغة المحلية انجيكر كاتامسلا أو الشجرة المقدسة والتى يحرم على العامة الاقتراب منها أو الجلوس فى ظلها أو قطع فروعها أو أوراقها ، فاذا مر أحدهم بها حياها فى أدب وتواضع ، ويرفع قطعة من الحجـارة ايا كانت ثم يقترب منها ويضعها أسفل الشجرة ويمضى إلى حال سبيله اعتقاداً منهم أن من فعل هذا لن يمسه سوء . وهناك البركة المقدسـة ويسمونها « سالو » وهى حفرة

---

(١) حيوانات تقدس وتعبد ومن ثم لا تقتل ولا تؤكل (المرجع السابق ٥٣٢) (كما سبق أن أشرنا بالنسبة للخفاش والبوم عند بعض القبائل الاسترالية والخنزير والسلحفاه والفهد بالنسبة للرجال والقرده والسمك والثعابين بالنسبة للنساء فى غرب الكاميرون - والسمبرية فى جبال الأنقسنا بالسودان)

(٢) وحيوانات تعبد لانها بحكم العادة تقتل وتؤكل (مثل الكوكاتو الأبيض عند قبائل الوراموبجا والأيمورن عند قبائل الكورنية (المرجع السابق ٥٣٢) والبوقا فى كورنقو جنوبى كردفان) وفى كلا النمطين الحيوان يكرم ويحترم بفائدته الايجابية لحم الحيوان ، جلده ، دمه ... أو فائدته السلبية عدم الأذى بالنسبة للانسان والحماية والمساعدة عند الحاجة .

عميقة توجد فى بيت الزعيم الروحى فقط يمكنه من خلالها على حد زعمهم أن يرى ثور الماء وأن يخاطب الأرواح الشريرة والخيرة .(١)

ولا يختلف هذا عما نجده لدى بعض قبائل الدنكاجنوب السودان حين يولون بعض أنواع الثعابين الكثير من التقدير والاحترام فإذا مر أحـدهم فى الغابة ووجد ثعباناً نائماً يقترب منه بل وقد يتخطاه إذا لم يجد مكاناً يمر منه فى هدوء وحذر حتى لايزعجه أو يوقظه .

وبعد هذا العرض للانماط السلوكية المرتبطة بالطوطم يمكن أن نخلص إلى أهم الملامح أو الخصائص المرتبطة بالطوطمية ونوجزها فيما يلى :

(١) الطوطمية تشير إلى نوع من الارتبـاط أو العلاقة المبـاشرة أو غـير المباشرة بين الفرد أو الافراد الذين يشكلون الجماعة العشائرية أو القبلية ونوع معين من الحيوان أو النبات أو الجماد .

(٢) أعتقاد العشيرة بأن أفرادها ينحـدرون من طوطم معين بمثـابة السلف الاسطورى والمؤسس للعشيرة ومن ثم يصبح معبوداً لها (٢) (كما رأينا عند قبائل الجابون) فالأسلاف أنحدروا منه وتجسدت فيه روح العشيرة أو القبيلة .

(٣) تلعب الطوطمية دوراً حيوياً فى الحفاظ على تضامن الجمـاعة (فكرة دوركايم) وتوكيد القيم القبلية والسنن الاجتماعية واستمراريتها ـ أو ما أسماه رادكليف براون بالاتجاهات الشعائرية وتثبيتها ، فالطوطم رمز للعشيرة وشعار

(١) انظر فاروق اسماعيل ،المرجع السابق ص١٢٨

(٢) انظر فى ذلك كتاب الغصن الذهبي ـ ترجمة د. أحمد أبوزيد ، حاشية ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

لها ومن ثم الالتزام بالقيام بنوع من الممارسات والطقوس تجاهه .

(٤) يعتبر الطوطم رمزاً للاله أو المبدأ الحيوى ، هنا نجد نوعاً من العبادة للحيوان أو النبات أو الجماد .

(٥) يرتبط التنظيم الاجتماعى والاقتصادى والدينى .. إلى حـد كبير بالممارسات الطوطمية بل وتعتبر أساسية لنجاحه كما رأينا فى سبر الخريف فى جبال كورنقو Korongo

(٦) تلعب الطقوس والشعائر الطوطمية دوراً حيويا فى الحفاظ على الطعام بما تفرضه من قيود على صيد أو قتل الحيوان ويضيف د . أحمد أبوزيد تحريم قتل الطوطم أو الأعتداء عليه وإلا أصاب العشيرة الأذى والمرض والموت ، ولكن يحق لأفراد العشيرة أن يتناولوا لحم الطوطم فى مناسبات شعـائرية لاكتساب الخصائص المستحبة التى يتميز بها الطوطم(١) *

(٧) أستحالة تغيير الشخص لطوطمه نظراً لعلاقة الدم القوية والتى تربطه بطوطمة .

(٨) العلاقة ليست قائمـة بين فرد معين بالذات وحيوان معين (أسد وتمساح) وانما بين العشيرة ككل وجميع أفراد فصيلة معينة بالذات (جميع الأسود والتماسيح) (٢)

---

* فقد يصطادونه باسم الزعيم الروحى كما رأينا بالنسبة لحيوان « البوقا » فى جنوبى كردفان .

(١) فريزر الغصن الذهبى ، ترجمة د . أحمد أبو زيد حاشية ص ١٢٣،١٢٤

(٢) المرجع السابق

وكما رأينا بالنسبة للخفاش والبوم عند القبيله الاسترالية .

(٩) الاعتقاد بوجود روابط دم وقرابة بين جميع أفراد الطوطم يفرض قيوداً صارمة على الزواج من أفراد الطوطم الواحد الذين يحرم عليهم فى الواقع مثل هـذا الزواج ، أى أن العلاقة الجنسية بين الذكور والاناث داخـل نطاق الجماعة الطوطيمه قد تعتبر نوعا من الزنا بالمحارم.

* * *

الفصل الثامن

الممارسات السحرية

لقد كتب برونسلو مالينوفسكى :
إذا نظرنا من عليائنا الآمن فى مدينتنا المتطورة فانه من اليسير أن نرى سخافة السحر وعدم جدواه .

لقد اهتم الانثروبولوجيون بدراسة السحر Magic وقد حاولوا معالجة هذا الموضوع فى شيء من التفصيل وخاصة القدامى منهم وعلى رأسهم تايلور Tylor (١٨٣٢ — ١٩١٧) فى كتابه الثقافة البدائية primitive Culture (١٨٧١) ، كما أولاه سير جيمس فريزر Sir G. Frazer والذى عمل أستاذاً فى جامعة ليفربول جزءاً كبيراً من اهتماماته وخاصة فى كتابه المعروف الغصن الذهبى The Golden Bough (١٨٩٠) والذى ضمنه نظريته المعروفة فى السحر والدين ، ثم فى كتابه الانثروبولوجيا Anthropology حين عرض للعلم الصحيح والعلم الزائف ، ثم جاء إيفانز بريتشارد Evanz pritchard فى دراسته المعروفة عن السحر عند الأزندى .

Witchcraft Oracles and Magic Among The Azande.

ومالنيوفسكى Malinowski فى مؤلفه الشهير بعنوان السحر والعلم والدين Magic, Science and Religin وآخرون كثيرون ، بل يمكن القول انه لايوجد باحث أنثروبولوجى قد تعرض للثقافات البـــدائية لم يتنــاول السحر والممارسات السحرية بطريقة أو أخرى كمـــا وجدنا فى معـــالجات

مارسيل موسى M. mouss وهوبير Hubert وروجيه باستيد R. Basted وقوانينه فى السحر و Lehman ومحاولته تقـــديم تفسيراً سيكولوجيا للسحر وتأكيده أن المعتقدات السحريه لاتخضع للتفسير الدينى أو العلمى .

وفى الحقيقة أن قضية التفـرقة بين الدين والسحر شغلت بال الكثيرين من العلماء فتايلور مثلا اعتبر السحر والمـــمارسات السحرية من قبيل العلم الزائف Psedo Science محاولا أن يفـــرق بينه وبين الدين ، على الرغم من أنهما (السحر والدين) يشتركان معاً فى الاهتمام بعالم ماوراء المحسوسات ، كما أنهما يتعلقان بالنواحى الخفية الغامضة من التجربة الانسانية ، فالممارسات والطقوس السحرية وكل مايصدر عن الساحر من أفعـــال سواء أكان يستعين فى تحقيقها بالكائنات الروحية أو بعناصر أو عوامل أخرى تختلف فى طبيعتها اختلافاً تاماً عن مظاهر الدين كما يرتبط مفهومه فى أذهان معظم النـــاس (١) أما فريزر Frazer * فقد أعتنق منهجاً تطوريا فى رؤيته للعـــلاقة بين السحر والدين ، فالفكر الانسانى أنتقل من السحر إلى الدين إلى العلم أى حالات ذهنية ثلاثة ... وأيا كان الامر فإن المحدثين الآن لاينظرون إلى الدين والعلم والسحر على أنهـا

---

(١) احمد ابوزيد ، المرجع السابق ص ٩٢ ومابعدها

* فريزر Frazer يرى أن السحر نسق كاذب زائف Spurious System وفن عقيم بلا جدوى obortive art ، فكرته تتلخص فى أن الممارسات السحرية سابقة لظهور الدين والذى جاء نتيجة لعدم جدوى السحر فى تحقيق أهدافهم وأن هناك قوى لايستطيعون التحكم فيها وتسخيرها لصالحهم،أما دوركايم فقد ذهب إلى أن السحر كالدين من حيث أحتواء كل منهما على معتقدات وطقوس وارتباطها بالقرابين والصلوات ..

حالات متمايزة يمر بها المجتمع الانسانى فى تطوره وإنما يعتبرونها ثلاثة أنماط من النشاط العقلى (١).

---

(١) سيرجيمس فريزر «الغصن الذهبى» ترجمة د. أحمد أبوزيد، الهيئة المصرية ١٩٧١ ص ٥١، «ان السحر كما يقول فريزر Frazer لايتم كيفما أتفق إذ ثمة مبادىء تحكمه، وكما يقول فى كتابه السابق الاشارة اليه فى الفصل الثالث بعنوان السحر التعاطفى Sympathetic magic أننا إذا حاولنا تحليل مبادىء الفكر التى يقوم عليها السحر فن المحتمل انها تنحصر فى مبدأين:

(١) الشبية ينتج الشبية

(٢) أن أن الاشياء التى كانت متصلة من قبـــل سوف يستمر تأثيرها حتى بعد انفصالها الفيزيقى ويسمى المبدأ الاول قانون المشابهة Law of Similarity والمبدأ الثانى قانون الاتصال Law of Contact من الاول يمكن ادراك أن الساحر يمكن أن يحدث أى تأثير يريده بمجرد المحاكاه أو التقليد.

من الثانى فإنه يستطيع أحداث أى شئ فى الجزء المادى وسوف يكون له تأثير متعادل مع الشخص الذى كان هذا الشئ المادى متصلا به من قبل.

ويستمر فريزر فيستنتج ما أسماه بسحر المحاكاه Imitive magic وسحر الاتصال Contaglous magic ثم ينتقل إلى نوع آخر من التصنيف فيذهب إلى ما أسماه بالسحر النظرى Theoritical magic إذا مانظر اليه على حد زعمه على أنه نسق من القانون الطبيعى فى مقابل السحر العملى Practical magic والذى يشير إلى مجموعة من القواعد التى يأخذها الناس فى الاعتبـــار كى يحققوا غاياتهم. ولايقتصر تصنيفه على هذا فيحاول فيما بعد أن يفرق بين ماأسماه السحر الخاص Private magic والذى يستهدف مصالح أفراد أو الحاق الضرر بهم فى مقابل السحر العام public magic والذى يستهدف المجتمع ككل.

إن دارسي المجتمعات التقليدية يدركون على الفور أنهم محاطين بالكثير من الممارسات والطقوس السحرية وأن الباحث فى تصرفات هـــذه الشعوب العقلية والاجتماعية لن يجد اعتقاداً أكثر عمقاً من السحر الذى قد يبدو مسيطراً تماماً على مخاوفهم من الأمراض ومفسراً للحوادث الطارئة ومبرراً للاخفاق فى الحب والفشل فى علاج الامراض الحادة كالجزام والملاريا ومرض النوم كما نجد عند بعض الأفارقة،وليس ثمة مغالاة إذا قلنا أن السحر يمتد إلى حياتهم الاجتماعية والصحية والاقتصادية والسياسية ومقاومة الجريمة والانحراف ، إليه يرجعون الحظ العاثر والمرض المفاجىء وهلاك الماشية وجدب الأرض وفساد المحصول وموت الطفل وفشل الصيد ونضوب الماء ، عدم سقوط المطر فضلا عن موت الزعيم .. بل انه مسئول عن حدة الطبع وسرعة الغضب وعدم القدرة على الإنتـــاج ...

ان قبائل البامبو فى غنيا الجديدة يعتقدون فى السحر فإذا ما ساءت المحاصيل الزراعية وإذ لم تثمر أشجـار « النارجيلة » أو ماتت الخنازير أو لم يأت الصيد وفيراً أو طغى مد البحر فتآكلت أجزاء من اليابسة .

وتفيد المادة الأثنوجرافية التى قمت بجمعها فى دراساتى الحقلية سواء فى شرق السودان فى جبـال « الأنقسنا » أو جنوب كردفان فى جبال « كارلنجا » و « كورنقو » أن هناك استغراق فى الاعتقاد فى السحر ، بل أن تأثير الخلاوى الاسلامية والنشاط الكنسى محدود جدا فى مواجهة هذه الممارسات ، فما زال السحر يسيطر على مخاوفهم وآلامهم وأمراضهم وانتاجية الأرض ووفرة المحصول ، ويبررون به الأحداث الطارئة والأمراض والسقوط من أعلى الجبـل ... واذا كانت الاحصاءات الادارية فى عام ١٩٧٩ تشير إلى أن **قضايا السحر فى جبال**

« باو » تشكل ١ر٢٪ (الاتهام بالسحر استخدام العروق وحلول الشيطان) إلا أن هذه النسبة لا تمثل الواقع إذ أن معظم هذه القضـــايا لا تصل إلى الجهاز الاداری،وكما قلت منذ قليل أن الفكر الأنقسناوی يتميز بالاستغراق فی مثل هذه القضايا فليست هناك صغيرة أو كبيرة إلا وبرروها أو أوجدوا لها تفسيراً من خلال السحر والعين الشريرة وما من مكروه أصابهم إلا وردوه إلى الحسد أو السحر أو غضب الأســلاف ... فعلى سبيل المثال يعتقدون أن هناك أشخاص لديهم القدرة على معايشة نوع من الشياطين يسمونه (مجـــل) ويعتقدون أنه ينتقل عبر الأسلاف من الأجداد إلى الأبناء الى الأحفاد وأنه كفيل بتحقيق الخير لهم والشر لمن عداهم ، بل لا يترددون على الاطــلاق فی طلب انعقاد المجلس العرفی لوضع حد لشروره تجاه الآخرين من هذا القبيل تلك القضية التی عرضت على مجلس (الجونقان) فی جبال الأنقسنا والتی آثارها « تول » ضد أخيه « بملفه » زاعماً أن هذا الأخير تقمصته روح شريرة وأن النزاع بينهما قد أحتدم لدرجة تعذر فيها الاقامة معاً،ورفعت القضية للشيخ « الأور » الذی استدعى على الفور ثلاثة من كبار السن « الجونقان » طالباً منهم مناقشة لأمر وحسم الموقف ولكن بعد أيام قليلة،عادت القضيـة الى « الأور » فالنزاع ما زال محتدما ، فقام بدوره باستدعاء مجلس الجونقان ، ممن يقيمون فی المنطقة فضلا عن أولئك الذين حاولوا حسم النزاع فی المره السابقة ، وطلب الأور من طرفی النزاع أن يبدی كل منهما بأقواله ، ثم طلب الى الجـــونقان الثلاثة أن يوضحوا جهودهم من أجل تسوية الخلاف بين الأخوين ، وقد أفادوا بأن « تول » يرفض الاقامة مع أخية طالما تحل بة هذه الروح الشريرة ، هنا أشـار أحـــد الحاضرين وهو من « الجونقان » الى أنة يعرف مصدر هذه الروح الشريرة انه « دوجوص » صديق

« بملفة » الذى ورث هذا الشيطان عن أبية هنا أمر الأور باستدعاء «دوجوص» ثم سألة لماذا يترك « بجـــل » فى بيت هذين الاخوين ليسبب لهما المتاعب قال دوجوص ، أن هذا الشيطان تركة لى أسلافى ولا حيله لى فى التخلص منه ولم أره فى يوم ما بعـينى ولكنى سمعت عنة من أبى منذ كنت صغـــير ،هنا قال الأور لدوجوص أن شـيطانك هذا موجود فى بيت تول وبملفة استدعية الى بيتك وأترك هذين الأخوين ليعيشا فى ســـلام، وافق دوجوص على طلب الأور و الجسونقان هنا أحضر الأخوان المتنازعان بقره وزبحاها وأكل الحاضرون وتمت تسوية النزاع .

ولايختلف الامر كثيرا لدى جيرانهم فى كارلنجا من جبال تلشى فى جنوب كردفان اذ الاتهام بالسحر دائم الحدوث وليس لديهم تبرير عسقلانى لاتهاماتهم تلك انه مجـرد ادراك اسطـورى غـامض تناقلته الاجيـال وليس له تفسير فإذاماأصاب أحدهم ضرراً توفى على أثره أو أصيب بمرض مفاجىء أو فشلت الارض فى الانتاج أو فى اعطاء محصول وفير أو ضعفت الابقار ـ أو نضبت ألبانها فإنهم يعزون ذلك الى السحر، ومن ثم يبحثون عن الانتقام خاصة اذا ما حققت الاحلام تصوراتهم تلك كأن يرى الشخص فى منامة ذلك الذى ارتكب هذه الجريمة أى ليست هناك أدلة مادية مع ارتكاب هذه الجرائم سوى الاحلام وعادة ما يلجأون الى أحـــد الكجرة ممن يناط بهم حق الامتياز الشعائرى Ritual prerogative والذى يطالبهم فى العادة بنحر خنزير ولينثر دمة قبل طلوع الشمس حيث يقطن أولئك الذين يعتقد فى ارتكابهم لجريمة السحر وهذا فى حد ذاتة كفيل بأن يبدو تأثير الســاحر من ناحية ومن ناحية أخـــرى فان المجنى علية قد يتقدم بشكواه الى المجلس العرفى والذى يقضى بأن يقدم الجانى

دجاجة أو خنزير على سبيل القـــربان للاله موسلى ، فإذا كان بريئاً فان الأذى لن يلحق به ، أما اذا كان مذنباً فسوف يلحق به الضرر كالعمى أو الشلل أو نحو ذلك . (١)

ويحدثنا نادل Nadel عن واقعة يمكن أن نجد فيها مدى عمق الاعتقاد فى مثل هذه الممارسات من أن رجـلا يدعى Kokwa فى كارلنجا ماتت زوجته بطريقة غامضة وبعد فترة وجيزة جاءت اليه زوجته فى المنام وزعمت أن شخصاً يدعى Kokwa (نفس اسم الزوج) من منطقة Tordi المجاورة قد سحر لها ومن ثم كانت وفاتها ـ استغاث الزوج بأقاربه وسار الى حيث يقيم المدعى، ولكن مالبث الزعيم أن علم بما عقدوا العزم عليه فاستدعاه للمثول بين يديه ، وجدد الزوج ادعاءه ، والغريب أن المتهم أعترف بأنه قد ارتكب مثل هـــذا السحر مع الزوجة انتقاماً من زوجها الذى سحر منذ فترة ابن أخته فقتله بطريقة مماثلة ، هنا أمر الزعيم بحبس الجانى أربعة أيام وتغريمه ثوراً (٢) . **نحن هنا اذا بصدد جريمـة ثارية قامت أدلتهـا على الرؤى والاحـلام وارتبطت بالممارسات السحرية بطريقة مباشرة .**

ولا يقتصر الاعتقاد فى السحر على ذلك بل يمتد الى كافة المناشـط الحيوية كتلك التى تتعلق بنظافة الأرض واعـدادها للزراعة أو تلك التى ترتبط باسقاط المطر أو الحصاد ، بل أن هناك العديد من الممارسات التى ترتبط بضعف المحصول أو فساد الانتاج كما نجد لدى هنود Omaha فى شمال أمريكا عندما يتلف محصول

---

(١) فاروق اسماعيل ،انثوجرافيا كارلنجـا ، دار المعرفة الجـامعية ١٩٨٣ ص ١١٦ .

(2) Nadel, The Nuba, London, p. 350.

المنطقة نتيجة لانخفاض معدلات المطر . فإن أعضاء جماعة البقرة المقدسة يملأون وعاء كبير بالمياه ويرقصون حوله لفترة من الوقت ، ثم يتقدم زعيم الجماعة ليرتشف بعض الماء ثم يدفعه بفمه الى الهواء كما لو كانت السماء تمطر رزازاً أو مطراً خفيفاً ثم يدفع بالاناء على الأرض فتتدفق المياه وتنسكب ، فيندفع الراقصـــون الى الأرض فى محاولة لشرب الميـاه المتدفقة حيث تتطلخ وجوههم بالوحل ، ثم يحاولون مرة أخرى التخلص من المياه التى حصلوا عليها فى أفواههم فى الهواء محدثين نوعاً من الرزاز ، أن ثمة اعتقاداً أن هذه الممارسات كفيلة بسقوط المطر (كنوع من سحر المحاكاة) (١) .

فإذا تعذر سقوط المطر فى جبال الانقسنا شرقى السودان فإن الزعيم الروحى متمثلا فى أولئك الذين لديهم حق الامتياز الشعائرى يهرع الى قمة الجبل للقيام بشعيرة سقوط المطر . وتبدأ الشعائر حين ينفخ البوق حيث يتجمع الأهالى عـلى قمة الجبل ، فإذا ما اجتمعوا فإنهم يقصدون على الفور أحد بيوت الأسـلاف الشهيرة مثل بيت (وى مائى) ويسمونه البيت الكبير وهو أحـــد بيوت العادة ويعتقدون أن سلفهم الاكبر يعيش فية وهو أشبة بالكهف أو المغــــارة ومنذ البداية يتولى أحد ثقاتهم المرموقين من الزعماء الدينيين (الســين) الاشراف على الشعيرة حيث يجلس على حجـر مقدس أمام البيت الكبير ويعطى لهم أشـارة البدء بالسعى والهرولة فى الجبل، ويقودهم أحـد الكجوريين وكلما قطعوا مسافة يأمرهم الكجور بالوقوف ، حيث يوجـــه رمحة الى مكان معـــين فيحضرون ويستمرون كذلك الى أن يأمرهم بالتوقف ثم ينزل الى الحفرة ليستخرج بعض

(1) Lewis, Johan, Anthropology made Simple, London, 1969. pp. 160-161.

الصخور أو العظام أو شظايا الزجاج، ثم يوجه رمحه الى منطقة أخرى وهكذا عدة مرات ثم يبدأون رحلة العودة الى حيث « السين » زعيم العشيرة المنتظر عند بيت الاسلاف ليعرض الكجور علية ما وجده من بقايا ومخلفات، هنا يتوجه الزعماء الدينيون الى بيت السلف الاكبر مناشدين أياه الوساطة لدى (تل) لانه فى حالة سيئة سائلين أياه أن يمسن عليهم بالمطر ففية أنقاذ لحياتهم وهم يعتقدون أن أسلافهم لديهم القدرة على اقناع (تل) باسقاط المطر، اذ ان هذا الاخير قد أعطى تفويضاً لاناس معينة (كالسين وغيره) للوساطة فى اسقاط الامطار وان هؤلاء الناس لديهم علاقة وسيطة بتل والاسلاف على السواء . وبمجرد أن يعرض الكجور ما وجده من بقايا ومخلفات يطلب منها الزعيم بقرة سوداء، ويتولى ذبحها ثم يبدأ كبار السن فى تناول لحومها ويشارك الجمع فى الرقص والغناء على الزمبارة ،وتبادل كيات وفيرة من المريسة ويظلون كذلك وقد تسقط الامطار وقد لا تسقط فهذا مرده الى مشيئة « تل » .

كما يلعب الطبيب الساحر أو « الكجور » دوراً حيوياً فى علاجهم من الامراض بل قد يلعب دوراً حيوياً فى حمايتهم من الكوارث أو المصائب ان ثمة اعتقاد أن لدية القدرة على أن يفعل ذلك بل وعلى أن يلحق الضرر بالآخرين سواءاً فى صورة مرض أو أن يجلب لهم سوء الحظ كما نجد عند سكان جبال الانقسنا و « كارلنجا » وكورنقو السابق الاشارة اليها وكما نجد لدى جيرانهم فى الجنوب من « الازاندى » يحدثنا John lewis أن الازندى يعتقدون الى حد بعيد فى السحر وأن الساحر لدية القدرة على استدعاء الروح التى يمكنها أن تلحق الضرر بالآخرين . ان أولئك الذين لحق بهم الحظ العاثر بسبب الممارسات السحرية يلجأون الى الكاهن أو العراف أو الكجور ليكتشف الجانى

وقد يستغرق هـذا بعض الوقت فإذا ما اكتشف المذنب فإنه يواجه بالاتهام والمطالبة بأن يبعد تأثيره الضار أو أفعاله الشريرة (١) لدى سكان كارلنجا لا تتم المواجهة أو الاتهام فى كثير من الاحيان وتبدو ردود الفعل كما لو كانت موجهة الى فاعل مجهول يقيم فى هذه المنطقة أسفل السفح أو أعلاه مثلا .

بل أن أفعال الكجرة من محترفى العلاج فى هذه المناطق قد ترتبط بنوع من الممارسات السحرية ، بل ويجمعون على أنه يستطيع أن يخرج المرض من الجسم على مرأى ومسمع منهم ، وعادة ما يحمل الكجور (صـــرة) من الجلد تحوى أمتعته السحرية Magical paraphernalia حيث يتفوه بكلمات غريبة وقد يستخدم بعض الأعشاب والماء ثم يأتى إلى الجزء المصاب ويدلكه بكلتا يديه وقد يستخدم فمه ليمتص الألم وفى النهاية يخبرهم بأن المرض قد خرج من الجسم مشيراً إلى ما تجمع بين أصابعه من أتربة أو مخلفات نتيجة عملية التدليك لفترة طويلة من الوقت وتذهب jawn Broter فى كتابها Red Blanket Valley إلى أن قبيلة Qaba ترى أن الأمراض الخطيرة إما أن ترسلها الأسلاف انتقاما من أحفادهم واما أنها من فعل الأرواح الشريرة أو السحرة . وفى الحالة الاولى فانها عقاب لاهمال الذبح الشعائرى ، وانها جزاء لعدم الطاعة ، أما فى الحالة الثانية فقد تكون من فعل الطبيب الساحر أو الارواح الشريرة وقد ترتبط إلى حد كبير بالمشاحنات والخلافات بين الافراد والجماعات ، أو حالات الصراع والمنافسة ، أو الغيرة من حب مرفوض، وعادة ما يحدد المريض وأسرته المذنب معتمدين فى ذلك كما سبق الاشارة لدى سكان كارلنجا فى جبال تلشى بالسودان

(1) Lewis, Johan op. Cit., p. 167.

على الاحلام حيث يقدمون للساحر تصوراتهم والتى تمين الطبيب الساحر والذى يحدد على الفور مصدر الشرور (أشخاص أو أرواح شريرة) . وتلك الاخيرة معروفة لدى قبيلة الـ Qaba كادراك أسطورى غامض ومنها ما يسمى بالمحلية Thikolashe أو Mam Lambe (أم النهر) أو الثعبـــان الاسطورى الذى يعيش تحت الماء وقد يظهر فى صورة امرأة جميـــلة فإذا ما شاهدها أحدهم على حد زعمهم يقع فى حبها حينئذ تقيم فى موطنة Kraal وقد تسبب وفاة الاب أو الاخ أو العم ... (١) وتذكر لنا Broster عـلى لسان أحدى اخباريها وتدعى Ana الساحرة قد يكون لديها طفلة ، وتمنحها للروح الشريرة المسماة Thikolashe كزوجة له وحينئذ تضمن دعم هذه الروح والاستجابة لهـا، بيد أن ثمة صلة وثيقة بين السحر وعدوات الدم وما قد تتطلبه تلك الاخيرة من انتقام ثأرى كما نجد لدى معتنقى ديانة « الفودو » فى داهومى أو فى هاييتى فى منطقة البحر الكاريبى، أو يلجأ احدهم إلى الكاهن مطالبا أياه بألحاق الموت بعدوه مقدما التبرير الكافى فإذا اقتنع الكاهن الساحـر بما قدم المدعى من تبريرات شرع فى اتخاذ الاجراءات الكفيلة بتحقيق الموت لعدوه وقد يطلب منة أشياء ينبغى الوفاء بها وفقا لارادة الآلهــة على غرار ما نجده لدينا فى مصـــر أو السودان فى ممارسات الزار حين تطلب « الكودية » تقديم القرابين كالطيور والدجاج بصفة خاصة وأن كانوا يضيفون اليها الببغاوات أو البوم والعصافير الملونة وأحيـانا أخرى الماعز والابقار ... وقد لا يتحقق الموت للعدو ، فيبرر الكاهن الساحر ذلك بأن العدو يستعين بدوره بأرواح أخــرى

(1) Broster, Jaan, Red Blanket Vally, Hugh Keartland publishers, Denver, Johannesburg, 1967. p. 117.

تدافع عنه وتحول دون أن تأتى هـــذه الممارسات تأثيرها الايجابى، وقد يلجأون الى الطقوس السحرية دعماً للعاطفة ومشاعر الحب أو الارتباط بين الرجـــل والمرأة كما وجدت فى كثير من المناطق التى سبق الاشارة اليها فى جبال الانقسنا أو كارلنجا أو كورنقو حيث تستخدم الاعشاب فيما يسمى «بالعروق» بطريقة أو أخرى لتحقيق هـــذه الغاية ، ويذكر لنا Gesa Reheim فى كتاب له بعنوان السحر الحيوى والملك المقدس «Animism Magic and Divine King» أن الفتاة فى كالوتزج Kalataszeg توخز أصبعها الصغيرة ليـ ـدها اليسرى بابره ثم تمسح دمها فى شعر فتاها ومن ثم لا يقوى على التفكير فى غيرها .

وان المرأة الغجرية فى جنوبى المجر ورومانيا تحدث جرحاً بين السبابة والابهام لليد اليسرى ثم تدع الدماء تنسال فى وعاء صغـــير ، ثم تدفق هذا الوعاء أسفل شجرة لمدة تسعة أيام ثم تخلطه بلبن حمار ثم تشرب الخليط قبل النوم وتتلو رقية سحرية تدور حول «أرواح ثلاث» الأولى تبحث عن الدم والثانية تجده والثالثة تشكله أو تصوغه فى صورة طفل جميل... الخ(١)

---

* اصطلاح الـ Animism أو المذهب الحيوى استخدمه تايلور Tylor وعالجه فى شىء من التفصيل فى ثمانية فصول من كتابه «الثقافة البدائية» Primitiev Cuture ويعرفها بأنها النزعة إلى أسباغ الحياة الشخصية على مظاهر الطبيعة المختلفة (تايلور احمد ابوزيد ، ص ١٣٤) . أما أصطلاح Divine فتشير إلى الكاهن أو معلم اللاهوت ، أما Diviner العراف أو الكاهن ، Diving إلى الكهانة أو العرافة و Divinity إلى الألوهية أو اللاهوت .

(1) Gesa Rehim Animism Magic and Divine King, International un - press, Inc, N. 4 pp. 96—101.

وعلى هذا يمكن القول :

(١) أن السحر انماط سلوكية غامضة بمثابة رد فعل غريزى لدى الانسان حين يستشعر الضعف تجاه الأحداث الغامضة أو لمواجهة الخبرات السيئة (١) . بمعنى آخر أن السحر بمثابة رد فعـــل على التصرفات الغامضة والسلبية غالباً ، وإن ثمة افتراض أن ما لا يمكن فهمه أو تفسيره نابع من كائنات غير مرئية يقوم عليه بعض المتخصصين من الكهنة أو الكجرة أو العـــرافين أو أطباء السحر والمشعوذين أولئك الذين يحتلون مركز الصـــدارة من القادة الروحيين الذين منحوا حق الامتياز الشعائرى فضلا عن زعماء العشائر وقادة الحرب ، والذين يعتبرون الملاذ والمأوى بالنسبة لأولئك الذين يواجهون المحن وعلى حد تعبير فورتس M. Fortes أن السحر يلعب دوراً هاماً فى التغلب على القلق والتوتر ومواجهة العوامل التى قد يفشل الانسان فى مواجهتها أو التحكم فيها أو التنبؤ باتجاهاتها . (٢)

(٢) إن هؤلاء الممارسين للسحر لديهم قوى خفية أو قدرات خارقة هى التى تمكنهم من السيطرة على الطبيعة ، وأن يتصرف فى مصائر الناس وأن يقوم بدور الوساطة بين الأفراد من ناحية وما وراء الطبيعة من ناحية أخرى (٣) ومن ثم ينسب اليهم نتيجة هذه القدرات خوارق من العادة كأن يطيروا فى السماء أو أن يغوصوا فى باطن الأرض وأن يتحولوا إلى حيوانات أو صخور أو أن يوجهوا

---

(1) M. Fortes, and Othexs, Sacrifice, Acadamic press Inc, N.Y. 1980, p. 10

(٢) معجم العلوم الاجتماعية ص ٣١٢.

(٣) محمد الجوهرى ، الدراسات العلمية للمعتقـــدات الشعبية ، دار الكتاب ١٩٧٨ ، ص ٢٥٩ .

الحظ العاثر إلى من يشاءون من الأفراد .

(٣) إن ثمة حاجة ماسه لأفراد الجماعة إلى هذه القوى فى ممارسة مناشطهم المختلفة (الاجتماعية والاقتصادية بصفة خاصة) من هنا يأتى تقدير هؤلاء لأولئك الذين لديهم القدرة على إستخدام هذه القوى .

(٤) تقوم الممارسات السحرية على أداء بعض العمليات وفق تكنيك معين ، وتستعين هذه العمليات ببعض العناصر كالأفعال والحركات أو الكلمات المنطوقة أو المكتوبة أو كليهما ، وقد يستخدم هؤلاء السحرة التمائم Spells والتعاويذ Incantations ، ويقول Gohn Candan أنهم يستخدمون الكلمات السحرية وأن الاعتقاد فى هذه الكلمات يشير إلى أن الكلمة من حيث دلالتها انما تشير الى شىء ما ومن‌هنا فان ثمة ارتباط ، هذا الارتباط يعنى أن تغيير الشىء يترتب عليه بالضرورة تغيير فى ذلك الذى يرتبط به ، ومن ثم فان كتابة اسم فى ورقة وحرقها قد يسبب معاناة لصاحب ذلك الاسم (١) ، هنا يشير Candon إلى المبدأ الأول عند فريزر Frazer أو قانون المشابهة حيث أن الحاق الاذى بشخص ما بمجرد كتابة اسم هذا الشخص والذى يشير الى كينونته أو ذاتيته . هذا وعلى خلاف تلك الممارسات التى تخضع للمبدأ الثانى أو قانون الاتصال حيث الحاق الاذى يتم باستعمال جزء من ملابسه أو خصلة شعره أو جزء من أظافره أو خيط من ثوبه أو حتى بجرد أثر قدم فى التراب ....

(٥) ومن أجل استمرار الممارسات السحرية فإنها تورث ، إذ يرث الابناء

---

(1) John Candon, Semantics and Cammunications, The Macmillan Co. N.Y. London, 1969, p. 79.

عن الاباء أو الامهات ، أو من الخال إلى ابن الاخت كما رأينا لدى سكان جبال كورنقو جنوبي كردفان بالسودان ، ولا يعني هذا أن الوراثة هي الطريق الوحيد لاكتساب وظيفة السحر ، فثمة اعتقاد لدى بعض المجتمعات التقليدية أنه يمكن اكتساب مثل هذه الموهبة من طريق الارواح الشريرة أو بعض قدامى السحره .

(٦) يخضع هؤلاء السحره أو الساحرات لممارسات أو علاقات تحريم تتمثل أساساً في الابتعاد عن الناس والعزوف عن الحياة الجنسية ، فالمرأة المتزوجة (الساحرة) إذا حلت بها روح فإن زوجها يبتعد عنها لانه اذا اتصل بها جنسياً (كما يعتقدون) فانه يموت على الفور ، وفي حالة الكجور الذي يرغب في ذريه ترث طقوسه وممارساته فإنه يتفق مع أحد أقاربه العاصبين ليتصل بامرأته لينجب منها أولاد ، أما الكجور نفسه فإنه يعيش حياة صوفية (١) .

* * *

---

(١) أحمد الخشاب ، المرجع السابق ص ٤٩٣ .

الفصل التاسع

المـــانا Mana

لقد لعب مفهوم المانا Mana دوراً كبيراً فى جميع النظريات الحديثة التى تناولت الديانات البدائية وتجمع الآراء على أن Bishop Codrington والذى عمل مبشراً فى مالنيزيا كان له فضل ادخال هذا المفهوم فى مجـــال الدراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية بصفة عامة ، وقد عرفها بانهـــا « قوة تختلف فى طبيعتها عن القوة الفيزيقية وتستطيع ان تعمل فى طرق متباينة لتحقيق الخـــير والشر ، وأن لديها القدرة على السيطرة والفعل بالنسبة للأشيـــاء » ويقول Codrington « ان هناك قوة خارقة ذات طبيعة مجـــردة تسمى المانا mana تكمن فى الناس والاشياء ، وهذه القوة الخارقة غير المشخصة لاترتبط بشخص معين او آلهة وانما هى مشاع بين الناس والأرواح ويمكن السيطرة عليهـــا واستخدامها ، واذا ماعرفوا الطريقة الصحيحة للتعامل معها .

ويخبرنا Codrington عن المالنيزى الذى يعثر على حجر معينه يعتقد انه يحتوى على مانا ومن ثم يحتفظ به ليضعه فى مزرعة وقد يصادف محصولا وفيراً من نبات اليام ... وبعد سنوات يقل الانتـــاج فيظن ان الصخرة قد فقدت قوتها الحيوية او مابها من «مانا» ومن ثم فلم تعد مصدر لقوة الانتاج.(1)

---

* عمل Bishop Codrington مبشراً فى مالينيزيا ١٨٦٣-٢٨٧٧ م.

1 — R.H. Codrington «Religion in melanesians : أنظر Studies in Anthropogy and Folklore, Oxford, Chapter 7. pp. 118—120.

هذا المفهوم الماليتزى للمـانا استخدمة الأنثروبولوجيـون للاشارة الى اى شكل من أشكال القوة الخارقة غـير المشخصة وان كانت لدى هؤلاء المعتقدين بها لها خصائص اكثر خطـورة اذ يمكن أن تضر اولئك الذين يقـاوموتها ، فالزعماء مثلا لديهم مستوى عال من المانا ومن هنا تأتى خطـورتهم أو تأثيرهم بالنسبة للافراد العاديين ومن ناحية أخرى فان المانا mana يمكن ان تكمن فى الاشياء فتكون مصدراً للشر لمن يلمسها ومن هنا جاء اصطلاح Taba فى مقابل mana الا أن الانثروبولوجين حرفوا هذا المفهوم ليصبح Taboo للاشارة الى القواعد التى تحرم الأشياء والأفعال .(1)

ان الدارسين الأوربين المعاصرين يتناولون موضوع المانا mana بطريقة مغايرة لماذهب اليه Codrington وان الاختلاف بين طبيعة المعـالجتين تتمثل فيما يقول Paul Radin أن Codrington يركز على الجـانب المثـالى الغامض أو الخفى للمانا idealistic mgstical فى حين يركز الاتجـــاه الثانى على الجانب المادى السحرى materialistic magical ونحن لايمكننـا ان نتجـاهل هذا التباين وتضارب الآراء لأنها تؤثر بشكل أو بآخر على رأى البـــاحثين ، ولاشك ان هناك شيء ما فى المادة الاثنوجرافية نفسها هى التى ادت الى تباين الآراء ، واذا كنا قد اشرنا من قبل الى ضـــرورة الاعتماد على منطق اولئك الذين يعتقدون فى مثل هذه القوى دون التركيز كثيراً على رأى الباحثين أنفسهم لمثل هذه الموضوعات حتى يتسنى لنا المزيد من الفهم الواضح ، فمـــا نحن نجد أحد الموريين maori (فى غرب افريقيا) يخبر John Beattie ان المانا قوة

---

1 — spradley and mccurdy, Anthropology : The انظر ايضاً Cutlural perspective, Johnwiley & Sons inc 1975 Lonpon

خارقة وهى موجود فى شئ محدد ولها قوة مغناطيسية ولايمكن ادراكها أو السيطرة عليها ، وأن الآلهة تختلف عن الانسان فى ان ماتمتع به من قوة المانا لايمكن التغلب عليها أو قهرها او تحطيمها - هذا الماورى لايهتم فقط بقوة المانا السحرية بقدر مايشير الى قوتها الخارقة المسيطرة ، انه يختلف فيما يقول Beattie عن الذين يركزون على قوة المانا السحرية فقط ، وبالمثل اذا أخذنا فى الاعتبار رأى احد سكان جزيرة فيجى Figi الذى أخبر الباحث الاثنوجرافى ان الشئ الذى لدية مانا يعمــل فاذا توقف هذا الشئ عن العمــل فقد استنفذت المانا * .

ان القس الداكوتى Dakota يقول بوصفة كاهناً « ان تون Ton قوة ، تحقق الاشياء الخارقة - ان كل الآلهة لديها «تون» وعندما يقول الناس «تون» فانهم يعنون شيئاً يأتى من شئ حى كما نجد فى حالات الولادة ، او الخلاص من جرح أو ألم او نمو بذرة »(1) .

واذا كان القس الداكوتى يشير الى «تون» للاشارة الى «المانا» فان هناك عدد كبير من المصطلحات المماثلة لها والمستخدمة للدلالة على القوى التى لها آثار خارقة فعند قبائل البابوس Papous فى غينيا الجديدة يستخــدم اصطلاح هاسينا Hasina ، وفى مدغشقر يستخدمون اصطلاح دزو DZO للتعبير عن مثل هذه

---

1 — Radin, Paul op. cite pp 12—13.

* ويقترب هذا الى حد كبير مما نجده لدى قبائل الدوجون Dogon فلديهم Nyama وهى قوة مختزنة فى دم الشخص الحى ومن مظاهره الحياة والحركة والكلام ، وقد وصفها جرايول Griaule بأنها طاقة دائمة لاشعورية موزعة بين الحيوان والنبات والأشياء .

القوى ، وعند هنود أمريكا الأصليين تتشكل هذه القوى بصور مختلفة وخاصة عند قبائل اللانجو Lango فى حين يستخدمون مفهوم Jok للتعبير عن القـوة الغير مشخصة للدلالة على المبدأ الحيوى والقوة الخفية التى تتحـد مع ارواح الافراد والموجود الاعظم والروح الكلية،ويشير روجية باستيد Roger Bastide الى انه مما يقابل هذا المفهوم اصطلاح « الكا Ka » عند قدماء المصريين .

فقد كانوا يطلقونه على كل كائن الحى وكانوا يرون ان يتحد بالجسم بعد موته وتحلله كما انهم كانوا يعتقدون انه يولد مع كل انسان وينفصل عن الجسد وقت الموت ...(١) .

ومن ناحية أخرى نجد ان هنود أمريكا الحمر يستخدمون اصطلاح manitu اشارة الى الروح الاكبر اوالقوةالخارقة وربما دفع هذا بعض الباحثين الى القول بان اصطلاح المانا قد اشتق من المفهوم السائد لدى هؤلاء الهنود .

ويقول بيترهاموند P. Hammond « ان الاعتقـاد فى القـوى السحرية هذه شائع لدى كثير من شعوب العالم كما نجده لدى بعض الهنـود الامريكيين مثل جماعة Fox (هنود السيول) اذ يعتقـدون أن بعضهم لدية قـوة Manitu وهى قوى مجردة تكتسب خلال الاحلام والرؤى ، وهى الوسيلة الرئيسية التى يستطيع بها القادة او كبار السنان يكتسبوا شرعية حقهم فى السلطة على تابيعهم ويعتقدون تماماً كما هو الحال لدى التيف ان هذه القوة متغيرة ومؤقتة ...(٢)

---

١ — احمد الخشاب — دراسات فى النظم الاجتماعية ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ص ١٩٧ .

2 — Hemmond, peter, op. cit, p. 282.

واذا كانت المانا بمثابة « القوة او القدرة الخارقة » فانهـا قد تظهر نفسها فى شكل مادى وعلى حد تعبير Thunder bloum هى القوة الكامنة فى بعض البشر وبعض الحيوانات او الاشياء وقد تمتلكها ايضاً ارواح الموتى او الاحياء على السواء ومن ثم يكون لها تأثير ايجابي أو سلبي * وتمدنا المــادة الاثنوجرافية بامثلة عديدة توضح مدى الاعتقاد فى هذه القوة الخارقة او السحرية ان صح هذا التعبير - ففى جبـال الانقسنا ingassana فان الكجـور Kujur الذى يضطلع بمهمة الاستشفاء لدية قدرة اكبر من المانا ان له صلة بالعالم الخارجى (كما يعتقدون) وقدرة على التنبؤ بالاحداث ، يحمــل فى يده جراب يسمى بالمحلية « جر » مصنوع من جلد القط البرى « لى » وضع فيه بعض الاعشاب او العروق ، يمسك فى يده عصا ذات لون احمر يسمونها « كزى » تتدلى منها بعض التمائم والتعاويذ وان هذا الكجور قد يحقق الشفاء لمن يلوذ به او يقصده ، وهكذا نجد بعض الكجرة لديهم من امثـال « سقد » و « جكهان » و « جبرداربلو » و « سامانج » يظهرون لدى تابعيهم كما لو كانوا يمتلكون قدرات وامكانيات روحية وتأثيرية خارقة تميزهم عما عداهم من اتباعهم وتجعلهم يمارسون التأثير الطقسى . يقول احد الكجرة فى جبال الانقسنا ان نجاح المحصول ووفرة الانتاج وامتلاء الحيـ ـة والصيد الوفير من الزراف ,,تى،، والغزلان ,,تاى،، والنعام ,,اورى،، وكدميو ,أشبه بالبقرة ،، والثعالب ,,كيكو،، .... لاترجع الى مهارة الزراع او الصيادين والمتجهين الى الصيد منذ اجتماعهم فى ساوبول **

* يعتقدون فى كورنقو أن ثمة أحجار مقدسة تحوى هذه القـوة الكامنة — اذا مر أحدهم بها فانه يسرع بتغطيتها بحجر آخر تفادياً للضرر .

** مكان معروف بالقرب من باو يجتمع فيه الصيادون مع رئيس العادة أو زعيم الصيد .

وإنما يحققون نجاحهم أو توفيقهم من التأييد الصادر من روح الكجور أو زعيم العادة، ولا يختلف هذا كثيراً عما نجده لدى جيرانهم من الدنكا حين يقوم زعيم الحرب أو كجور الحـــروب Beyn بمنح هذه القوى الحياتية والنجاح لرجال القبيلة اذ يقوم بدهن أرجل المحاربين من عند الركبة باللبن والزبد متوسلا الى الآله أن يهدىء من روعهم و ينزل السكينة في قلوبهم ويمنحهم الشجاعة ليحققوا النصر على أعدائهم فاذا ما أتم Beyn ذلك دهن نفسه بالزيت ونثر التراب على رأسه وجلس فى الشمس المتوهجة بقية اليوم صائما يصـــلى لنجاح جنوده وهم على قناعة تامة بأن الكائن الأعلى Nhialic سيقف الى جانبهم (١)

وتزودنا المادة الاثنوجرافية التى قمت بجمعها فى جبال تلشى فى كارلنجا بأدلة واضحة عن المفهوم الوظيفي للمانا ، والتى قد تكمن فى حجر أو قطعة جلد أو فى جراب (كما فى جبال الانقسنا) أو فى انياب حيوان أو مخالب أو شعر أو أعشاب أو نبات ، إذ يلجأون فى حالة تعذر الوصول إلى اليقين الى اليمين « ديانا » وخاصة الوثنيون منهم حيث يقسمون بالآلة موســـلا قائلين « أنتوق مسلا » وعادة ما يطلب الزعيم أو الكجور من المتهم القسم على «شعبة» يعتقد أن لها صفة القـــداسة ويسمونها بالمحلية « اللاتقارا » . وهى عبارة عن فرع نبات « تينان » مثبت فيه فروع نباتات أخرى مثل « الباى » و« شيلة » ويثبت فوق العود قدح به بعض الماء حيث يلتقطون بعض قطع حديد صغيرة ملقاه على الأرض وترمى فى قاع القـــدح (المكان الذى يحتفظ به بالشعبة والقدح يسمونه بالمحلية « ودمورمتة » ثم يأتون بالمدعى علية ليضع يده على

---

(١) فاروق اسماعيل ، الانثروبولوجيا الثقافية ، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ص ٢٣٩

اللانقارا قائلا « انقوتوا موسللى » انه لم يفعل كذا ويعتقـد أن الذى يحنث فى قسمة فان اللعنة ستلحق به.... وفى مناطق أخرى فى كارلنجا يعتقدون ان هذه القوى القادرة تكمن فى كماشة الحـداد « ماندا » والتى يصنعونها على السندال « مورا » هنا فان المؤدى لليمين «بنسورنى» يضع يده على الماندا ويقسم على أنه برىء وان اليمين الحانثة فى تلك الحالة تسبب الآماً حاده فى الظهر اذا كان المؤدى لليمين رجلا كما تسبب العقم فى حالة الانثى .

وعلى هذا يمكن القول أن المانا تعبر عن القوه أو القدرة الخارقة غير مشخصة، تأثيرها قد يكون ايجابيا أو قد يكون سلبيا لتحقق الخير والشر وان الطقوس والممارسات لدى كثير من الشعوب التقليدية تستهدف الحصول على هذه القوى أو الحفاظ عليها ، كما انها قد تلعب دوراً هاما فى تحديد المركز الاجتماعى (أن مركز الفرد الدينى والاجتماعى مثلا فى ماليزيا يتحدد بما يعادل حظه فى هذه القوى) وبخاصه الزعماء الروحيين فى هذه المجتمعات هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فانهـا تلعب دوراً رئيسيا فى تحقيق النجاح والتوفيق لأولئك الذين يعتقدون فيها وأنها قـد تكمن فى الانسان ذاته وفيما يحيط به من الاشياء كما رأينا .

التابو Taboo

ذكرنا منذ قليل فى بداية الحـديث عن « المـانا » ان تلك القوة تكمن فى الاشياء ومن ثم تكون مصدراً للشر لمن يلمسها ومن هنا جاء اصطلاح Taba فى مقابل المانا Mana ثم حرف الانثروبولوجيون الاصطلاح ليصبح Taboo للاشارة الى القواعد التى تحرم الاشياء أو الافعال وقد استخدمه البولونيزيون أيضا ، ويمكن القول ان الكلمة تعنى ، لاينبغى لك ان تفعل كذا .

والكلمة فيما يقول د/ احمد أبوزيد « اكتشفها لأول مرة James Cook حين قام برحلته الثالثة حول العالم عام ١٧٧٧ ويقصد بها الأشياء المقدسة التى يحظر على الناس الاقتراب منها خشية تدنيسها مما يعرض الشخص نفسه للخطر والدناسة الشعائرية ولعل ترجمة Freud لها فى كتابه « الطوطم والتـــابو Totem and Taboo » بالخوف المقدس فيها الكثير من الدقة لأن الكلمة تجمع بين خاصية القداسة التى تتمتع بها الأشياء التى تعتبر تابو وبين التحريمات والقيود التى تفرض على الناس ازاء هذه الاشياء — ومما تجـدر الاشارة اليه ان التابو لاتصدر عن أمر الهى ولكن الناس يفرضونها على أنفسهم انها قواعد للتحريم تقبل على علاتها كأمر لامفر منه وان خرق التـــابو يستتبع توقيع العقوبة بالضرورة (١)

وربما كانت معـالجة سيرجيمس فريزر Frazer لمفهوم التـابو من الاهمية بمكان إذا اردنا مزيدا من الوضوح أو الفهم لهذا الاصطلاح يقول فى مقدمة **الفصل الواحد والعشرين** من كتابه ,, الغصن الذهبى The golden Bough»

ان الانسان فى المجتمع البدائى يأخذ فى الاعتبار قواعد ضرورية للنقاء والطهارة الشعائرية Ceremonial purity يراعيها الملوك والزعماء والقساوسة تتفق فى كثير من الجوانب مع القواعد التى تراعى فى حالات القتل والحداد وفترات النفاس عند النساء Childbed ، والفتيات عند البلوغ ، الصيادين ... الخ أن هؤلاء بالنسبة لنا فئات من الاشخاص مختلفين تماماً بعضهم يتسم بالقـــداسة

---

(١) انظر - فريزر - الغصن الذهبى - ترجمة د/ احمد أبوزيد ، الجزء الأول الهيئة المصرية - ١٩٧١ - ص ١٣٥

والبعض الآخر نعتبرهم مدنثين Polluted ، ويستطرد فريزر فيقول ان الفكر البدائي لايفرق بين القداسة holiness والنجاسة Pollution اذ ان ثمة خاصية مشتركة يتسمون بها جميعا وهى «الخطر» ولنعزل هؤلاء الناس عن الآخرين حتى لايدرك خطر الارواح المخيفة الكامنة فيهم ولاتنتشر منهم ... وهذا هو موضوع التابو و « يقول » انها تعمل كنوع من العازل الكهربى electrical Insulators يحفظ القوة الروحية لهؤلاء الاشخاص حتى لاتفاسى أو تؤذى باتصالها بالعالم الخارجى .

وان كان فريزر Frazer يذهب من قبل فى الفصل الثالث من كتابه بعنوان السحر التعاطفى Sympathetic Magic فـيربط بين الـ Taboo والسحر ويعتبره نوعا من السحر السلبى Negative Magic or Taboo (١). ويفصل ذلك يقول أن نسق السحر التعاطفى The system of sympathetic magic لايتكون فقط من قواعد ايجابية وانما يتكون ايضا من قواعد سلبية كثيرة تلك التى نسميها التحريمات Prohibitions . انها لاتخبرنا فقط ماينبغى ان نفعله ولكن مايجب ان نتجنبه،والقواعد الايجابية تتمثل فى التعاويذ Charms والسلبية تتمثل فى التابو ... ان التابو بمثابة تطبيق سلبى للسحر العملىpractical magic واذا كان السحر الايجابى يقول«افعل ذلك» لكى يحدث كذا فان السحر السلبى او التابو يقول«لاتفعل ذلك»حتى لايحدث كذا اى انه يستهدف تحاشى او اجتناب غير المرغوب(٢).

---

1 — Frazer, sir, James, G, op. cite pp. 223—224.

2 — Ibid p. 19

وتفيد المادة الانثوجرافية التي قمت بجمعها أن ثمة أنواع عدادة من التابو Tabeo أو التحريمات التي لعل اهمها التحريمات التي تفرض على جميع أفراد القبيلة أو العشيره كتلك التي تتضمن حتمية الزواج الاغترابي أو الخارجي كما رأينا في كارلنجا حنوبي كردفان اذ يخضع الزواج لمبدأ الاكسوجامية ويقضى العرف بتحريم الزواج من جماعة الاقارب ، وثمة اعتقاد بأن من يرتبط بأحدى قريباته على هذا النحو اما أن يصاب بمرض الجزام (تامورا) أو قديؤدى في حاله الحمل الى تشوه الجنين (١)* أو تلك التي ترتبط بالكهنة أو الزعماء الروحيين أو مايسمونهم في بعض المجتمعات التقليدية بفئة الكجرة (جمع كجور Kujur) فالقداسة التي تحل بهؤلاء الزعماء تقتضى نوعا من الخوف المقدس أو التحريم الشعائرى ان صح هذا التعبير — كما نجد في كارلنجا التي أشرت اليها الآن اذ أن ثمة قوة خفية سرية تسيطرعلى الزعيم وتزوده بالاحلام التنبؤيه والتي يقدم في اعقابها القرابين للالة « موسلا » ، يقترب الناس من مسكنه في حذر بالغ ، لاينبغى أن يزعجه أحد وايقاظه فجأه قد يؤدى الى ان تضل روحه وتفشل في العودة الى جسده — ولا يجب لمس ممتلكاته أو الاقتراب من زرعه أو الاعتداء على حيوانه . . . . ان صفة القداسة تمتد الى ممتلكاته ، مسكنه مقدساً من لاذ به

* يقضى العرف الانقسناوى بان يبدأ موسم الزواج مع عيد ساى بال وتستمر الزيجات من مايو الى سبتمبر والا يحاول احدهم الزواج في غـير هذه الفترة الا اذا كان هناك ضرورة ملحة وان كان هذا يقتضى التفاوض مع «السين» أو الأورك وتقديم كرامة بقرة اوشاة او نحوها على سبيل الترضية .

١ — فاروق اسماعيل ـ الانثروبولوجيا الثقافية ، الجزء الثانى ، دار المعرفة الجامعية ص ٥٠ ومابعدها .

كان آمناً مهما ارتكب من افعال ... ان من يتجاوز المنهيات هنا ويستبيح انماط السلوك الممنوعة لن يستطيع ان يتحمل القوة المقدسة الكامنة ومن ثم يلحق به الضرر والدمار نحن هنا بصدد « تابو » يرتبط بالامتياز الشعائرى والقداسة * لدى هؤلاء الزعماء وقد يرتبط التحريم أيضا بالأشياء من هذا القبيل مانجده لدى سكان كورنقو حيث يبتعدون تماما عن قطع بعض الاشجار المقدسة مثـــل العرديب « ودفو» والتبلدى ، باسو « و « جيلو » ومن يقطعها يتعرض للمرض والموت وان كانو يستخدمون ثمارها فى علاج بعض الامراض .

بيد ان هناك تحريمات ترتبط بفتره زمنية محدودة وقد ينتهى التحريم أو الحذر بزوال السبب الذى من اجله وضعت هذه التحريمات كما فى حالات الموت لدى الكثير من الشعوب التقليدية ـ كما نجد عند قبائل الدنكا Dinka حيث يفزعون من الموت ، فاذا مات احدهم فان أقاربه يتجنبونه ويحرص الغرباء على عدم الاختلاط بذويه فلا يشاركونهم تنـــاول الطعام والشـراب لا فى المناسبات الاجتماعية . (١) **

---

* من هذا القبيل ان كجرة جبـال تلشى على اختلافهم زعيمهم الروحى ، كجور المطر ، كجور الحصاد ، كجور الزرع ... لاينبغى لأحد منهم ان يقابل الآخر طوال حياته واذا حدث وتقابل اثنان فان أحدهما سوف يموت على الفور .

(١) الانثروبولوجيا الثقافية ـ المرجع السابق ص ٢٤٣ .

** من هذا القبيل ماوجدته فى كورنقو فى حـــالة الموت « جنداء » حيث يبتعدون عن اسر الموتى وملابسهم وأدواتهم الزراعية وحرابهم وتقـذف فى الخلاء وقد يحفظونها فى بيوتهم دون مساس .

من هذا القبيل ايضاً ماأكدته الملاحظة الاثنوجرافية فى Korongo جنوبى كردفان حيث يقضى العرف الوثنى بعدم حمل الطعام الى المزارع خلال فترة محدودة فى فصل الخريف (شهرى أغسطس وسبتمبر) ، ان عدم الامتثال لمثل هذه التحريمات كفيل بأفساد المحصول ، وان حمل الطعام الى قلب المزارع ينبغى أن تسبقه طقوس وممارسات يؤديها و يمارسها زعيمهم الروحى « كاسوللى »

وهناك « تابو » ينبغى مراعاتها بالنسبة لفئة من السكان دون غيرهم وفى فترة زمنية محددة كما يحدث فى جبال Ingassana حيث تمتنع المرأة عن ممارسة نشاطها التقليدى فى فترات الطمث لعدم طهارتها كما يعتقدون كما يجب الا تقوم بطهى الطعام فى تلك الفترة وأن تعتكف فى قطيتها أو فى بيت الخنازير ، وتحاشى عملية حلب اللبن هذه بأخذ صورة الاجتناب الحاد سواء لدى الانقساريين أو جيرانهم فى « كارلنجا » أو « كوريجو » أو « المساكين » فى السودان أو غيرهم من القبائل الافريقية مثل قبائل الناندى فى كينيـــا ، اذ ان هناك شعور بالخوف الشديد والنفور والاشمئزاز ، فاذا مافكرت المرأة فى حلب الابقار او الماعز فى فترة الطمث ، اذ ان هناك اعتقاد راسخ إذا شرب انسان من لبن حلبته امرأة فان أسنانه سوف تسقط على الفور وحتى إذا لم يكن الحلب أثناء فترة الطمث فان اللبن يفسد ويلوث ـ وليس هناك تبرير لعدم ممارسة المرأة لهذا النشاط سوى هذا الاعتقاد ولا أدل على ذلك من أنهم يسمحون للفتاة دون الحيض بحلب الابقار والماعز(١) وكذلك التحريمات التى ترتبط بشعائر التكريس initiation cerenomies لدى كثير من شعوب والجماعات اذ تشتمل هذه الشعائر على العديد من النواهى أو التحريمات كالامتناع عن الكلام لدى المكرسين فى منطقة جبال الانقسنا لمدة

(١) فاروق اسماعيل ـ الانثروبولوجيا الثقافية جـ٢ ص٨١ ومابعدها .

ثلاثة أيام فى « باو » وقد تصل فى مناطق أخرى الى اكثر من ذلك ، كما لايسمح للمكرسين بالاختلاط حين يعودون الى قريتهم الأصلية ويعزلون على الفور كما يحرم عليهم شرب المريسا، ونوع من الخمور الشعبية، طوال فتره تكريسهم وكما نجد لدى الدنكا Dinka حيث يعتبر المكرسين من وجهة النظر الشعايرية غير متطهرين ، ويجب عليهم الامتناع عن الاقتراب من الابقار والامتناع عن شرب اللبن أو منتجاته ويعتمدون أساساً على العصيدة والسمك .

وعلى هذا يمكن القول : ـ

١ ـ أن التابو (١) يشير الى نوع من الارتباط يخضع له الافراد ويستهدف الاسترضاء أو الترضية Conciliation للقوى الخارقة أو الأرواح .

٢ ـ ويعتبر التابو أحد المبادىء الأساسية فى الحياة الدينية والتنظيم الاجتماعى ويرى دوركايم إنه نوع من التحريم الديني الذى يحتفظ بقدسية الشيء المقدس(٢).

٣ ـ كما يلعب التابو دوراً فى الضبط الاجتماعى وفى توكيد القيم الاجتماعية لأن الخروج على قواعد التحريم يؤدى تلقائياً الى الحاق الضرر والأذى بالشخص الذى يعبث بالتابو(٣) .

٤ ـ ويمكن القول ان التابو انما يرتبط الى حد كبير ببعض المفاهيم الهامة التى تلعب دوراً حيوياً فى المعطيات الدينية مثل فكرة القربان sacrifice والتى ترتبط اساساً بفكرة الاعتداء على المحرمات أو الاقتراب من التابو أو تدنيس الاشياء المقدسة sacrilege كما سوف نرى بعد قليل .

---

(١) فاروق اسماعيل ـ الانثروبولوجيا الثقافية جـ١ ص ٢٠٢ .

(٢) معجم العلوم الاجتماعية ص ١٠٩

(٣) المرجع السابق ص ١٠٩

الفصل العاشر

القربان Sacrifice

ذكرنا منذ قليل أن مفهوم التابو يرتبط إلى حد بعيد ببعض المفاهيم الأساسية أو المعطيات الدينية مثل فكرة القربان ، بل أن ايفانز بريتشارد Evanz Pritchard يقول فى تعليقه على معالجة Robertson smith عن « الديانة البدائية ، يجب أن تلاحظ أنها تفتقر إلى المبادىء Dogmas أنها تتكون كلية من الممارسات والشعائر * وقد ترتبط بالأساطير والتى تشرح الشعائر والممارسات ، وإذا كان الأمر كذلك فاننا إذا أردنا فهم الدين البدائى لا بد أن نبحث فى شعائره ــ ولما كانت الشعيرة الأساسية فى هذه الديانات تقوم على القربان Sacrifice وطالما كان القربان أمراً شائعاً وعاماً يجب أن نبحث عن أسبابه (1) ان فكرة القربان فيما يقول P. Hammond تقوم على أن الشخص قد يتخلى عن أو يدمر شيئاً ذو قيمة من أجل أن يرضى الكائنات العليا أو الأسلاف وهذا

---

* نفس الفكرة يرددها برجسون حين يقول أن تفكير البدائيين لم يتحرر كثيراً من الغريزة الحيوانية ومعنى هذا إنه يهدف إلى العمل أكثر ما يهدف إلى التأمل أى أنه عملياً أكثر منه نظرياً ، ومن ثم لا يوجد لديهم تصورات عقلية محددة واضحة كل الوضوح ، ولا يوجد لديهم مذاهب دينية بل ردود أفعال فطرية تعبر عن نشاطهم النفسى تجاه الأشياء .

1) - E- Pritchard, op- Cit, P. 53

يعزز ويقوى علاقته بهم (١) * **وأيا كان الامر فان الاديان جميعها وأيا كانت درجة سموها جعلت القربان من اهم شعائرها وطقوسها**، فالعبرية مثلا كما تشير التوراة سفر اللاويين الاصحاح الرابع ، يجب على الخطىء أن يقـدم للرب أضحية تكفيرا عن خطيئة ، وتكون الأضحية ثورا يقـدم الى باب الخيمة المقدسة ويذبح أمام الرب فى المكان المخصص لذبح الضحايا ، ويجب على الخطىء أن يضع يده على رأس أضحيته ويتولى الراهب التكفير عنه ـ بأن يأخـذ قليلا من الدم ويدخل به الخيمة المقدسة حيث يتلو قليلا من الصلوات ويغمس أصبعه فى الدم سبع مرات ، أما لحم الثور وجلده فيقذف بهما إلى مكان طاهـر ليحرقا ويحفظ ترابهما فى بقعة مقدسة (٢) .

---

1) - Hammond, Peter, op, Cite P. 512.

* أن تايلور ينظـر إلى الأضحية أو القـربان ويجعل له نفس الأهمية التى تعادل ، الصلاة ، ويعالجه ـ بنفس الطريقة فيقول : ـ

فكما أن الصلاة هى دعاء أو سـؤال للاله كما لو كان انسانا كذلك يعتبر القربان بمثابة هدية تقدم للاله كما لو كان انسانا ... ان الرجل البدائى لا يهتم بمصير القربان ولكنه يدرك أن الاله سوف يأخذ الهدية بطريقة غامضة على الرغم من أن لحم الضحية مثلا لم يفقد شيئاً من وزنه بل لم يطرأ عليه أى تغيير ، وقد تلجأ بعض الشعوب البدائية إلى أحراق القربان كوسيلة يضمنون بها توصيـل الهدية للاله حيث يتصاعد فى هـذه الحالة مع الدخان ومع السنة اللهب ، ولكن سواء أحرق الناس قرابينهم أو تركوها فى العراء دون أن يمسوها فانهم يدركون أن ثمة عنصراً غير مرئيا أو غير ظاهر فى القربان هو الذى يصعد بشكل ما إلى الاله ...

ــ أنظر أحمد أبو زيد ــ تايلور ، دار المعارف بمصر ، ص ١٧٣ .

(٢) د. أحمـد الخشاب ــ المرجع السابق ص ١٧٧ .

والمجتمعات التقليدية الوثنية مازالت تركز على القربان وتعتبره من الشعائر الضرورية والاساسية فى بيرو Peru نجد أن عبادة الاله أنكا imca يدرك كما لو كان حفيد الشمس ، ان الكاهن فى ديانة بيرو يمارس طقوسه مردداً :-

أيها الخالق يا أوراكوشا Uiracocha القاهر .

يا أوراكوشا الموجود أبداً .

يا من تبقى على الأرض دون ند أو نظير

يا من تعطى الحياة .... تعطيها لونها ومذاقها .

تقبل هذه الأضحية .... أيها الخالق (١)

فإذا تركنا أمريكا اللاتينية إلى أفريقيا لوجدنا أن قبائل Ladagaa فى غانا ،درسها goody فى بداية الستينات،يتولى الابن الأكبر المبادرة بعبادة روح أبيه المتوفى (سبق الاشارة إلى الفكرة فى معالجتنا لأرواح الأسلاف) حيث تقدم الضحايا والقرابين خلال الممارسات الشعائرية وفق تقويم زمنى محـدد أو فى مناسبات خاصة فالمرأة التى تحمل أو تلد طفلا ينبغى أن تقدم قرباناً (دجاجة أو نحوها) إلى مقام سلفها الأبدى حتى تضمن لرضيعها سيولة لبن الثدى - وعندما يصيب أحد الأفراد حظاً وفيراً من الثروة كأن يصادف نجاحاً فى الصيـد فان الشكر ينبغى أن يقدم لارواح الاسلاف (جدة من ناحية الاب) .... إذ فشل فى أن يعبر عن شكره على هذا الدعم فربما تعاقبه وقد يصادف حادثاً أليماً أو مرضاً حاداً أو يتعرض أحد أطفاله للموت ومن ثم فلابد من تقديم القـرابين (٢) .

---

1) - Radin, Paul, op. Cit, p. 20.

2) - Hammond, peter, op. Cit, p. 266.

والجدير بالذكر او التركيز على فكرة الاضحية او القربان لاتقوم أساسا على فكرة الذنب اكثر من كونها تقوم على فكرة استعادة العلاقة الودية المقدسة والتى تتمثل فى علاقة الاسلاف بابنائهم ، هذا هو جوهر معنى القربان عندهم يحدثنا روبرت بارسونز R - parsons فى كتابه Religion in an African Society ان القربان عند البانتو يستهدف تجديد أو استعادة أو تقوية الرابطة بين المتعبدين وآلهتهم Divinit es عن طريق وجبة مشتركة ،انها وسيلة للاتصال المقدس بالالهة حيث الكلمات المباشرة فالأرواح تنادى باسمائها ، انها تدرك وترى وتعرف وتسمع وتشارك فى تناول الطعام .... الخ وان تقديم القرابين يستهدف استعادة العلاقة الحيوية مع عالم الأرواح ، وبدونها فان الناس لا تشعر بالأمن والطمأنينة (1) . وعادة ما يصاحب تقديم الأضحية أو القربان * نوعاً من التوسل أو التضرع Supplication كما يفعل الدنكاويون حين يقدمون القرابين ويتوسلون إلى أسلاف الأب الأعظم Loul أو الأسلاف الأجداد Ayok . ولاشك أن تقديم مثل هذه القرابين إلى أرواح الآباء ما هو الا نوع من الترضية فى محاولة لاستدرار عطفها وتأييدها لما سوف يقدمون عليه — ودرءاً لغضبها إذا ما تجاهلوا أرواح الآباء

---

1) - parsons R. Religion in An African Society p. 181 1964.

والأســلاف . (١)

اما فى جبــال الانقسنا Ingassana شرق السودان فان القربان يقدم للاله موسلا بواسطة الكجور أو انزعيم الروحى فى مناسبات كثيرة، كما فى حالات الموت أو الانجاب أو العقـم أو ولادة التوأم ففى حالة تأخر الحمــل فان الزوجة تذهب إلى الكجور، والذى قد يصف لهــا بدورة بعض أنواع العروق « سامك » بعد تقديم القربان المناسب وعادة ما يحرصون على دفع المرأة الحامل التى على وشك الولادة إلى أحد الكجرة للحصول على تعويذة ، وقد تقدم له على سبيل الهدية عبارةعن شاة أو خنزير حيث ينحــر ويقسم مناصفة بين الكجور والمرأة الحامل وفى حالة ولادة التوأم (Wike) تستدعى العجائز على الفور وتمارس بعض الطقوس التى تقوم أساســا على رقصة الجالك وتنحر الذبائح كالخنازير والشياه والماعز والدجاج وماليها، ويشترط أن يقدم والد الطفل هذه القرابين ثنائية العدد وإلامات الطفل ويعتقد أنه فى حالة عدم تقديم هذه القرابين فان الأم قد تمرض أو تموت على الفور .

وكما نجــد فى جنوب كردفان بالســودان حيث تنحر الخنازير والأبقــار كنوع من القربان بغية سقوط الامطار ففى جبال Lafofa يتجه النــاس إلى بيت الكجور صانع المطر حيث يقدمون اليه خنزيراً ضخماً ، ليصفى الدم فى اناء بعد ذبحه يلمسه باصبعه ويمسه به عينية ورقبته ومناطق أخرى من جسمه، ثم يأخذ الاناء خارج الكوخ ناثراً الدم فى الهواء تجاه السماء مناشداً الاله أن

(١) فاروق اسماعيــل ، الانثروبولوجيا الثقــافية — جـ ١ ص ٢٤٤ .

يسقط عليهم المطر ، وفى مناطق أخرى ينحرون إلى جانب الخنزير بقرة سوداء وينثرون الدم فى الهواء أيضا .

وكما تفيد المادة التى قمت بجمعها **فى جبـال تلشى** Tullishi فى منطقة « كارلنجا » فانهم يقدمون إلى كيوراماى صانع المطر الخنزير والدجاج حيث ينحر الخنزير أولا لأن دمه أقوى من دم الدجاجـة كما يعتقدون ثم ينحر الدجاج وان كان غذاء كيوراماى يقتصر على الخنازير فقط ثم يبتهل إلى الاله موسلا قائلا «موسلا مودى أركى من مالادى جليسنى» أى أن الامطار ستسقط عليكم ببركة الاله موسلا . فإذا لم تسقط فانهم يناشدون ذويهم الا يذهبون إلى الزراعة ويشعلون النيران التى تعترض الطريق إلى مزارعهم حتى لا يذهب اليها أحد ثم يجتمع الحشـد تحت شجرة يسمونها لارو هنا يحمل الكجور كيوراماى خنزيراً ودجاجة متجهاً إلى مكان يعتقد أن المطر مختبىء فيه ، وعادة ما يتجه ومساعدوه إلى البرك المنتشرة على الجبل ثم تنحر القرابين حيث يقذف ببعض اللحوم على البرك ويأكل الكجور من لحم الخنزير ويشرب بعض الدم مناشداً المطر أن يذهب إلى بئر يسمونها لارونج لانقادى معتقداً أن المطر إذا ذهب إلى هناك سوف يسقط (١) .

وعلى هذا يمكن القول أن : —

اولا : — القربان أو الاضحية من العناصر الاساسية فى الحياة العقائدية .

ثانيا — ان القـربان يشير إلى نوع من التقديم أو العطاء للكائنات العليا

---

(١) فاروق اسماعيل ، الانثروبولوجيا الثقافية — مرجع سابق ص ١٣٩ وما بعدها .

المؤثرة بغية أن تستخدم قواها فى طرق مرغوبة لتحقيق أهداف ذلك الذى يقدم القربان كما رأينا فى حالات العقم أو سقوط المطر أو الزواج من فتاة يتيمة الاب ... الخ ومن ناحية أخرى قد يستهدف مجرد البرهنة على الولاء أو الإيمان أو الشكر على العطاء .

ثالثـا : — أن تصورات الوثنى العقلية تجاه القربان تدرك ان الالهة أو الأرواح أو الاسلاف لا يحصلون على هذه القرابين بشكلها المادى المحسوس ، فالوثنى يدرك تماماً أن ما تركه من لحوم على قبر السلف المتوفى أو لبن فى بيت السلف (كما يحدث فى جبال الأنقسنا) لا ينقص الأمر الذى يجعلنا تدرك أن الانتقال هنا أساسه نوع من الانتقال الروحى * ،

رابعا : — ان ثمة تفـــرقة بين القرابين الدورية التى تقدم على فترات زمنية منتظمة وتلك التى يمكن اعتبارها نوع من التقديم العارض وكلاهما يتم عن طريق الزعماء الروحيين أو فئة الكجرة كما رأينا فى جبال الأنقسنا أو جبال كارلنجا ،الا أن النوع الأول يستهدف التقديم فى مناسبة طقسية كسقوط الامطار أو بذر الحبـــوب أو الحصاد أما الثانية فتلك التى تستهدف التقديم كنوع من القرابين الذاتية كما فى حالة المرض أو العقم والرغبة فى الانجاب أو ارتكاب الخطايا والشكر حيث يقترن القربان بالدعاء والابتهال للالهة أو الارواح الخيرة أو أرواح الاسلاف .... أن تحقق لهم العون والخير والنجـــاح .

خامســا : — يمكن القول أن طقوس القرابين ذات طبيعـــة دينية

---

* د. أحمد أبو زيد ، مرجع سابق ص ١٧٥ وما بعدها .

الاقتصادية ، فالدينية تستهدف تقوية العلاقة بين الإنسان والآلهـة على النحو السابق الإشارة إليه ، والإقتصادية ، تبدو فى دعم الكهنة أو الزعماء الروحيين (فئة الكجرة) الاقتصادى . هـذا الوضع يسمح لهم بالحصول على بعض الامتيازات كما نجد فى حصولهم على أجزاء هامة من القربان . هذا فى حد ذاته يعطيهم الفرصة فى الحصول على كميات مناسبة من الطعام بدعوى أن هـذه أمور يتطلبها دورهم العقائدى حيث يتحقق لهم نوع من الاكتفاء الإقتصـادى نتيجة تقديم هذه القرابين أو الاضحيات سواء فى المناسبات الدورية أو العارضة.

سادسـا : — ان الاخفـاق أو عدم تقديم القرابين فى مناسبات معينة يؤدى إلى ردود فعل عنيفة لأن القربان لاينظر اليه على أنه مجرد تقديم أو عطاء وإنما ينظر إليه على أنه نوع من شعائر الطهارة ، كما نجد فى القرابين التى تقدم للحماية من الامراض أو للبركة أو تجنب السحر أو العـين الشريرة أو درء سوء الحظ أو فشل المحاصيل كما رأينا فى تلك التى تقدم للأسلاف أو الارواح أو القوى الوسيطة Mediumistic powers حيث يضمن مقدمى هذه القرابين حماية الاسلاف أو الارواح لهم .

سـابعا : — ترتبط القرابين بنوع من الرمزية ، فسكان كارلنجما فى جبال تلشى لا يقدمون فى الحقيقة للالة موسلا سوى دم خزير أو دم دجاجة ، وفى أحيان أخرى يكتفى برفع رأس دجاجـة وريشها بعد سلخ جلدها الخارجى على سارية أمام القطية كنوع من الاشـارة بأنهم قدموا القربان ويتركـونها هكذا حتى تأكلها الحدأة أو أحد الطيور الجارحة . وفى جبال الاتقسنا يذهبون إلى جبل كامول حيث يقذف بقطعة صغيره جداً من اللحم فى بيت الاله«وى تل» بعد ذبحهم للثور المقدس .

ثامنـا : — يمكن القول أن طقوس القرابين هذه تلعب دوراً حيوياً فى التماسك الإجتماعى القبلى أو الشعائرى والذى قد يحقق التجانس بين الاجيال المتعاقبة من خــلال الالتزام باداء هذه الشعائر والطقوس كما رأينا فى جبال كورنقو جنوب كردفان حيث يتجه التجمـع القبلى خلف زعيمهم كاسـوللى لتقديم القرابين للاله موسلا عند بداية موسم الزراعة أو الحصاد .

. . . . .

الفصل الحادى عشر

الموت *

يرتبط حاضر الانسان بماضيه ، كما يرتبط بمستقبله يهدده العدم ، يدرك تماماً ايا كانت ثقافته أن نهايته محتومة لابد أن يموت ومن ثم فان كل الشعوب تواجه تلك الحقيقة البيولوجية وما تثيره من تساؤلات ومشكلات ، كيفية الاستجابة للموت ، تفسيره ، اجراءات الحداد ، هل الموت نهاية الوجود ؟ وماذا يحدث بعد الموت ، هنا يبرز دور الدين الذى يقدم للانسان فى العادة نماذج مقننـــة بالمفاهيم والتفسيرات التى ترتبط بدورها بنماذج للتفاعل مع الموت وأحداثه .

وتختلف الشعوب الوثنية فى تفسيرها للموت وان كانت جميعها لاتخرج عن التفسيرات التالية :ـ

---

* ان استخدام الوثنيين لكلمة الموت ليس دقيقا ، ولعل المثال الذى قدمه لنا W. H. Rivers فى فصل بعنوان «المفهوم البدائى للموت فى قبائل ماليريا يوضح ذلك ، ان كلمة الموت Mate يقصدون بها نفس المعنى الذى نقصده نحن حين نستخدم كلمة Death بالانجليزية ،الا انهم يستخدمونها ايضا للاشارة الى المريض بمرض خطير وقد اشرف على الموت ـ كما يستخدمونها بنفس الطريقة بالنسبة لكبار السن . . . انهم لاينتظرون المريض أو المسن الذى تجاوز التسعين عاماً مثلا ... حتى يموت ولكنهم يعتبرونهم فى عداد الموتى » .

انظر ـ

Rivers, W.H; Psychology and Ethnology, Kegan paul 1962, p.41.

(١) قد يكون الموت نتيجة لفعل الارواح الشريرة أو السحرة من ذوى النوايا الخبيثة، والذين قد يستخدمون وسائلهم فى القضاء على الانسان ، كما لدى قبائل الزاندى الذين يعتقدون أن السحر الاسود كفيل بتحقيق الموت .

(٢) قد يكون الموت جزاءا عادلا بالنسبه لاولئك الذين قتلوا أو اساءوا الى الآخرين أو الى الاسلاف .

(٣) قد يحدث كمرحلة حتمية يمر بهـــا الانسان كما فى حاله المرض او العجز أو الشيخوخة (١)

وأيا كان الامر فان التفسيرات تشير الى ارتباط الموت بافعال القوى الخارقة للطبيعـــة ، **وكما تفيد المادة الاثنوجرافيةان سكان جبال الانقسنا** Ingassana شرقى السودان ينظرون الى تلك الحقيقة البيولوجية كما لو كانت نوع من الانتقال المؤقت ، وان الاله « تل جو » أى الاله وحـــده هو الذى يقبض الارواح بواسطةأحد مساعديه من الشياطين ,نقند ، ولا يختلف سكان كالنجا Karlenga فى جبال تلشى Tullishi عن ذلك، اذ يعتقدون أن الاله « موسلى » والذى يعزون اليه الخير والانتاج الوفير يمكن أن يكون مصدراً للشر ومسئولا عن ضعف المحصول وهلاك الابقار وعقمها وموت الانسان ومرضه كما فى حالة عدم رضائه وسخطه ، كما يعتقدون ان « موسلا » هذا قد يقضى على الابقار والاغنام والدجاج ويسلبها الحياة لانه فى حاجة اليهـــا ، وعلى الرغم من تلك القدرة المطلقة،فان لهم تفسيرات ساذجة فى اعادة الحياة فهو لايستطيع ان يعيد

---

1) Notes and Queries on Anthropology, sixth Edition, revised and rewritten by Acommitte of the Royal Anthropological institute, p. 124.

الحياة للبقرة لانها تؤكل و تصبح عظاما،ولهم نظرة خاصة فى فلسفة الموت والخلق والانجاب اذ يقولون أن « موسلا » يقتل البشر بالتدريج ، يقضى على الكبار او بعضهم ثم يسمح للآخرين بالانجاب دون غيرهم، ثم يقضى على جماعة أخرى ليظهر نسل جـديد وهكذا، فاذا سألتهم عن تفسير لذلك ، أجابو بأنه مضطر لذلك حتى يجد الاحياء كفايتهم من الطعام والشراب .

وكذلك الحال لدى مواطنيهم من سكان جبال كورنغو Korongo جنوبى كردفان اذ يرون ان الموت « جنـــدا » مردة الى ارادة الالة « موسلا » وان كانو يرون ان الاله لايفكر فى الشر علىهذاالنحو، وان السبب المباشر يتمثل فى السحر،اذ ان الساحر يمكنه ان يقتل اى شخص يريدوقد يدفعون احيانا بمبررات العدالة والجزاء اذ يرون ان اليمين الحانثة قد تؤدى الى الموت .

ولا يختلف جيرانهم من الدنكا Dinka اذ يردون الموت الى ارادة الاله الخالق Nhialic أو الكائن الاسمى والذى لديه القـــدرة المطلقة على الخلق والتدمير (١) .

اما تيف نيجيريا Tiv يردون الموت الى القوة التى يسمونها Tsav والتى خلقتها الآلهـــة للتعامل مع البشـــر ، وهى المسئولة عن العـديد من الظواهر كالاضطرابات التى تتمثل فى سوء الحظ والمشاجرات والمرض والموت (٢) .

وتتشابه الشعوب جميعها فىضروره الاعلان عن الميت ، ففى « كارلنجـــا »

---

(١) فاروق اسماعيل ، الانثروبولوجيا الثقافية ، جـ١ المرجع السابق ص٢٧٨ ص ٢٣٥ .

* طه الهاشمى ـ المرجع السابق ص ٢٨ .

لايلبث أن يشاع الخبر فى بقية الجبال المحيطه حيث تطلق الأعيرة النارية لاخبار أولئك الذين يسكنون أسفل السفح أو اعلاه ، وقد يتم الاعلان بالبكاء والنحيب وفرة ، وقد يرسلون آخرين الى القرى المجاورة (تمبلى - سرفاية - رأس الفيل ..... الخ) خاصة أولئك الذين ينتمون إلى الجماعة العشائرية ومن ثم يحضر المعزين و يستجيوثور ، من خارج المنطقة أو من المناطق المحيطة , كدفرة . والذين يحرصون بدورهم على اطلاق الاعيرة النارية , لافورى ، عند وصولهم اشارة الى قدومهم للعزاء ، أما جيرانهم فى , كورنقو ، فانهم لايختلفون كثيرا وان كانوا يحرصون على دق الطبول والنقارة ويصيحون و يبكون وقديرقصون ويغنون فى اتجاهات متباينة كنوع من اشاعة الخبر والاعلان عن الحداد - ويتوافد أفراد الجماعة القرابية والجوار حاملين اسلحتهم سواء من البنادق والرماح و الحراب ويحيطون بمسكن المتوفى يبكون وينتحبون، يتطاولون ويتوعدون , الموت الغادر ، كما يحدث فى جبال الاتقسنا حيث يصفون الموت بالغدر والخيانة والجبن ، لانه يأتى خفية للقضاء على قريبهم هذا ... وقد يسبون الالة وتل، على فعلته هذا من ناحية ومن ناحية **اخرى فان الشعوب ايا كانت هويتها الثقافية تحرص على ممارسة بعض الشعائر والطقوس قبل دفن الميت وتوديعه الى مثواه الاخير** - ففى غرب الكامرون يجردون الميت من ثيابه ويتركونه بعد تنظيفه بالماء حتى يتحلل جسدة وتنزع جمجمته (١) ، اذيزعمون

فى جزر التروبرياند (درسها مالينوفسكى) يستخرج الجثمان مرة ثانية للحصول على العظام ثم تدفن الجثة مرة أخرى .ويحتفظون لانفسهم بالعظام كنوع من الورع والتقوى والاحترام الزائد للمتوفى ، الزوجة تأخذ الجمجمة لتستخدمها كوعاء ، اما العظم الفكى Jaw bone فيوضع حول الرقبة كنوع من الحلى ،

انها مقر الروح، وعادة مايقومون بدفنها على عمق قليل ، وتحتفظ الاسرة بها لاستشارتها فى المحن والشدائد وعند المرض ، ويقدمون لها الطعام والشراب ويحرص البعض على اقامة بيوت فى الغابات اعتقاداً منهم أن الارواح تأوى اليها.

أما قبائل الدنكا Dinka السودان فانهم يفزعون من الموت ، على الرغم من ادراكهم العميق للصلة الوثيقة بين عالم الاحياء والاموات كما رأينا حين عالجنا عبادة الاسلاف فاذا مات أحدهم فان أقاربه يتجنبونه ويحرص الغرباء على عدم الاختلاط بذويه فلا يسمح لهم بتناول الطعام والشراب فى منازلهم أو الالتقاء به فى المناسبات الاجتماعية ، واذا مات الدنكاوى مزقت النساء ردائها الجلدى وتركته جافاً فلا يدهن بالزيت من حين لآخر كما كان الحال من ذى قبل لاتتزين بالودع أو الخرز، يهلين التراب على رءوسهن ويتركن أجسامهن بيضاء من تأثير الرماد مهملين شعورهن ، ويحرص أقارب المتوفى على القيام بالشعائر التقليدية التى يسمونها Cvol بعد وفاة الذكر بثلاثة أيام واربعة للانثى ، تنحر الكباش وبعض الدجاج للآلهة فى منتصف الليل ، ولا يأكل الاقارب من هذه اللحوم وربما يأكلها آخرون من غير الاقارب وتستهدف العشيرة مقاومة المرض واستبعادة عن الاحياء، وعندما يموت أحدهم يقولون ، لقد جاءت به الآلهة وها هى قد أخذته ، انهم يصلون للالهة والارواح الأخرى كما لو كان الميت مستمراً فى الوجود فى مكان آخر ، أن روحه تهيم حول قبرة او مسكنه

الاقارب من ناحية الزوجة واصدقاء المتوفى يأخذون الاظافر والاسنان والشعر وتحمل كنوع من الزينة اما اقارب المتوفى من ناحية الام فان استخدام عظام الموتى محرم عليهم تماما .

(انظر على اسلام الفار ، الانثروبولوجيا الاجتماعية ، ١٩٧٨) .

ويبتهلون اليه إن تساعدهم وتحميهم من الأمراض والمصائب وان تعينهم على الشئون الدينية . (١) على غرار ماتفعل قبائل غرب الكاميرون التى اشرنا اليها منذ قليل ، وتفيد المادة الاثنوجرافية التى جمعت من جبال الانقسنا أو جنوبى كردفان عن ممارسات مشابهة وان استهدفت جميعها محاولة ارضاء الميت والرغبة القوية فى حمايته والاستفادة من قواه الكامنة وقدراته التى لاحد لها - وفى نفس الوقت الخوف والفزع من سخطة وعدوانيته ، وربما هذا مايدفع بعض قبائل البانتو الى اكل لحم الميت ثم حرق عظامه ومن ثم يستفيدون من قواه الحيوية بدمج لحمه فى اجسادهم وفى الوقت نفسه يضمنون استحالة عدوانه (٢) * .

اما قبائل الانقسنا فانهم يمارسون طقوسا اكثر تعقيدا لتحقيق هـذه الأهداف اذ تقوم بعض النسوة بازالة شعر الرأس وغسل الجسـد والتدليك بالزيت ** ثم يضعون فى قدميه نعالا وفى رأسه سكينا ويلف جسده بقطعة من الدمور ثم فى « البروش » نوع من الحصير ، يثبت بالحبال ، ثم يحضرون ثوراً

---

(١) فاروق اسماعيل المرجع السابق ص ٢٤٣ .

(٢) طه الهاشمى المرجع السابق ص ٢٨١ .

* فى حين تتجه قبائل أخرى الى استخلاص العظام والاحتفاظ بها كنوع من الحلى (جزر الاندمان) .

** لدى وثيقى كورنقو فى جبال كردفان يقومون بدهن الجسم باللبن الرايب الذى يحتفظرن به فى آنية من القرع «البخسة» ويسمونه بالمحلية «كوايا» ويخلطونه فى العادة بالملح ثم يدلك الجسم ثم يحمل الى القبر ويبررون ذلك بانهم يحاولون الحفاظ على الجثمان فترة اطول حتى لاينتفسخ ، وقد يدهن بالزيت على النحو الذى رأيناه فى جبال الانقسنا .

أو نحـوة ويربط بالقرب من الجثمان، هنا ينادية اكبر الابناء او احد اخوته الذكور فى حالة عدم وجود الابناء (يعتقدون ان الميت يسمع الحديث) ان الالة تل قد احتاج اليك وهاهو قد اختارك لتذهب معه ، لقد احضرنا لك هذا الثور ، راجياً اياه الا يعود اليهم مرة أخرى ، فهاهم قد اعطوه مايستحق من الابقار، هنا يعطى الابن إشارة لأحد الاشخاص تفيد اطلاق سراح الحيوان لتبدء عملية المطاردة بقصد ذبحه ،ويحاول كل ان ينال من هذا الثور ويحظى بجزء منه وعادة ماتترك رأس الثور وجزء من المؤخرة لأهل الميت ، فاذا تمت عملية الذبح تحمل النسوه من كبار السن الجثمان الى مقره الأخير * وعادة ماتخصص مكان معين لكل منطقة على حدة . وفى هذه الاثناء يقوم بعض الاشداء من الرجال بحفر القبر وتجهيزه على شكل حفرة عميقـــة تنتهى بمستطيل الى جانب الحفرة الرئيسية والتى يصل طولها الى نحو قدمين ** ويدفن الميت على جانبه ويده

---

* فى قبائل البمبارا يحمل الميت زملاؤه فى الرتبة والسن الى مثواه الأخير.

** اما فى كارلنجا فى جبال تلشى فان القبر يعـــد على شكل بئر او حفرة عميقة تمتد الى نحو مترين على شكل اسطوانة ، ثم تحفر حفرة أخرى جانبية فى نهايتها الى الشرق او الغرب وفقاً لوضع المقبره المجاورة فاذا كانت حفرة الجوار تتجه شرقا كانت حفرة المقبـرة الأخرى تتجه غرباً ، ويوضع الجثمان فى الحفرة الجانبية السفلى ويسمونها فى تلشى «كاتو» ويعللون حفر القبر على هذا النحو للحماية من الاتربة المتسربة او مياه السيول أو الحجارة التى تسقط ، ثم تغلق الفتحةالجانبية وتسد الفتحة الرئيسية بالحجارة ويهال عليها التراب ، وعادة مايحرصون على ان يفرش ارض القبر بنسيج من الحطب .

انظر فاروق اسماعيل ، اثنوجرافيا كارلنجا ، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٣ ص ١٤٩ .

اليمنى أسفل الرأس أما المرأة فيضعون يدها اليسرى اسفل الرأس والذى يتجه عادة الى الجبل المقدس « بونق » أما لدى جيرانهم فى كارلنجا فانهم يحرصون على ان يتجه وجه الميت نحو الشرق على ان تكون يديه ورجليه الى جانبيه ـ ولا يختلف هذا كثيراً عما نجده لدى جزر الاندمان التى درسها راد كليف براون حيث تدفن الجثة على جانبها الأيمن وفى اتجاه الشرق ايضاً .

وتبدى الشعوب الوثنية تفاوتا واضحا فى كيفية التعامل مع مقتنيات الميت ومختلفاته بل ان بعضها مثل قبائل البوشمان يدفنون موتاهم ومعهم جميع ممتلكاتهم ثم يضعون بعض الاحجار على القبر خشية ان تعتدى بعض الحيوانات على الجثة وقد يتركون المكان ولا يعودون اليه الابعد فترة طويلة ، ولا يختلف سكان كاولنجافى جبال تلشى عن قبائل البوشمان كثيرا ، فلقد رأيت العديد من المساكن سواء اسفل التل أو اعلاه والتى هجرها اصحابها بمجرد موت أحد افرادها بل ينتابهم الخوف والفزع اذ ما اقتربو منها،ومازال الوثنيون يحرصون على ان يرتدى الميت حذاءه ويمسك بحربته كما يضعون معه « كيس التمباك » وقرن الثور الذى كان يستخدمه فى رقصاته والخرز الملون الذى اجتاز به شعائر التكريس ،بل اكثر من ذلك انهم يثبتون ذنب بقرة فى قدمة اليسرى وعادة ما يختارون ذنب بقرة من الابقار الامهات التى جلبت له معظم هذه الثروة ، حينئذ يوارى علية التراب .اما خارجة فانهم يثبتون « شعبة » ويضعون فوقها بعض الاشياء التقليدية التى كان يستخدمها أيضاً كالحراب ، كنتا ، والسكاكين ، لاتنجو ، والدرقة ، توى ، والعصى ، تمدو ، والفأس ، كفا ، والقربة .

اما المرأة فتعلق فى شعبة قبرها بعض الآنية التى كانت تستخدمها وكذلك

الحجر الذى كانت تستخدمه فى الطهى فضلا عن البرمة , بلى ، وأماء الزيت , لمبلى ،والحراكة , نجا ، والمكنسة , سوكا ، وما اليها *

وأيا كان الامر فان الميت اذا كان يمتلك حبوب فى , سويبة ، فانهم يسرعون الى احداث ثقب فى هـذه السويبات حتى تتدفق الحبـوب لتأكل الحيوانات منها ولا تغلق هذه الفتحات الا بعد اتمام عملية الدفن حيث يوزع ما تبقى على ابناء الميت وآخرين .

وبعد نحو ثلاثين يوما ، وتحدد بحركة الكواكب والنجوم ، إذ ينظرون حتى مجىء النجم فى الشهر التالى وظهوره على النحو السابق ، يقضى العرف القبلى بسكب ** المريسه حيث تعد كميات هائلة ثم يحملونها إلى القبر حيث تدفق عليه وتحطم آنيتها ، اعتقاداً منهم بأن عالم الموتى الذى يأوى إليه لن يقبله أو يأنس إليه إلا بعد احضار المريسة ، ومن ثم فإنهم يشعرون بالإرتياح لأنه سوف ينضم إلى اخوانه من الموتى ، ويكون هذا بمثابه الوداع الأخير « توانى اتنجو » إذ أن هناك اعتقاد بأنه يظل حيا حتى تقام شعائر سكب المريسة هذه ، هنا وقبل تركهم للمقبرة يلتفون حوله (قائلين : كينيـا أكانا اليتا لدى تارك موسلى — أدرنجو كالبوا نسوكنو) أى لقد تركناك وداعا فى عناية موسلى وقدمنـا لك المريه فامشى إلى عالم الموتى .

---

* جرت العادة على كسر الاوانى اياكانت على القبر ولاتترك سليمة ،وليس لديهم تفسير لذلك سوى زعمهم بان الميت قد مات ومن ثم فلابد وان تموت معه

** سكان كورنقو لايعرفون سكب المريسة هذه ، إلا أنهم يحرصون على قذف بعض الحبوب , وخاصة الذره , على الجثمان قبل الدفن ، فضلا عن دهن الجثمان بالزيت ونثر المياه عليه قبل الدفن مباشرة .

. . والجدير بالذكر أن الكارلنجيين يفزعون من الموت شأنهم فى ذلك شأن جيرانهم من الانقسنا Ingssana والذين ينظرون إلى الميت على أنه امتداد لعالم الأحياء إلا أنهم يخافونه إلى حد بعيد فإذا مات **اكثر من شخص فى منطقتها** فى فتره زمنية وجيزه فإن سكان المنطقة يتركونها على الفور اعتقاداً منهم انها مليئه بالأرواح والشياطين*، وكذلك الحال لدى سكان كارلنجا الذين لا يفكرون على الأطلاق فى زيارة الموتى منذ وداعهم الأخير ، وفى أحوال قليلة قد يصحب أحد كبار السن احد ابناء المتوفى إذا اراد هـذا الأخير أن يتعرف على قبر أبيه والذى مات وهو صغير ، أما فيما عداذلك فإنهم لا يسجلون أى نوع من الزيارات سواء فى المناسبات أو الأعياد أو غيرهـا ، بل أنهم يترددون كثيراً عند المرور بالقرب من المقابر وفى حالة تـــكرار الموت فى منطقة ما فإنهم يقررون ترك المنطقة بأثرها .

---

* يحرص سكان الانقسنا على أن يزود قبـــر الميت بحربه قصيره ، وقد يثنون طرفها الحاد حتى لا يطعن بهـا احد عندما يخرج من القبر ، بالإضافة الى بعض التمباك فضلا عن تزيينه بعقود الخرز «السكسك» ، ويعتقـدون أن الميت إذا دفن دون سلاحه ولباسه يعود مرة أخرى ، ومن ثم يؤثرون تزويده بهذه الاشياء حتى لا يعاودهم ويسبب لهم المتاعب ، اما المرأه فيدفن معها قرع الماء وتزين بالسكسك ايضا ، وبعد الدفن يدور المشيعون حول القبر ثلاث مرات ثم ينصرف كل الى حال سبيله ، وإن كانوا يجتمعون فى العاده لتناول لحم الثور الذى ذبح منذ قليل ، فإذا ماتوافد المعزون بعد سماعهم للنبأ ، فان اسرة المتوفى وجماعته القرابية تتقبل العزاء ، وقد يتبادلون التمباك . وفى اليوم التالى يذهب بعض كبار السن أو العجائز من النساء للقبر لمعرفة ما اذا كان الميت مازال فى قبره أم خرج منه .

وتبدى المادة الاثنوجرافيه التى قدمتها لنا الدراسة الحقلية اختلافا واضحاً فى منطقة كورنقو Korongo ، إذ يتميزون عن جيرانهم بوضع دهن الخنزير على الراس ويسمونه بالمحلية « أويا » ويمسحون الجسم بالزيت ثم يحمل إلى القبر ويدفن ولا يكترثون كثيراً بوضع مقتنيات الميت فى قبره من الداخل أو الخارج باستثناء بعض الأوانى الفخارية خاصة تلك التى كان يستخدمها فى الشرب حيث توضع خارج القبر اعتقاداً منهم أنه قد يحتاج إليها ، ومن ثم يتركون قدراً صغيراً من الفخار إذا كان الميت امراة ، وآخر أكبر منه إذا كان رجلا وكانوا إلى عهد قريب يتركون للميت سكينا لعله يحتاج إليها ، إلا أنهم فى الفترة الأخيرة لا يكترثون كثيراً بذلك .

وبصفه عامه فإنهم يتحفظون كثيراً بالنسبة لمقتنياته الشخصية ويقتربون منها بحذر شديد ، فلا يستخدمون سريره ولا ملابسه ، وقد يقذفون بتلك الأخيرة فى الخلاء بمجرد موته ، اما ادواته كالحراب والسكاكين وغيرها من الأدوات الزراعية فلا يستخدمونها، وانما يحتفظون بها فى بيت الإسلاف ويسمونه بالمحلية لا ماجا نجانا Lamaganganna ، ولا يقتربون منها إلا عند قيامهم ببعض الشعائر والطقوس ، أما ممتلكاته الأخرى كالابقار والضأن ، فإن الابناء يتوارثونها دون حرج ودون تخصيص جزء منها للموتى على النحو الذى نجده لدى قبائل الانقسنا ، فقد جرى العرف على أن يخصص للميت على سبيل الأرث إحدى بقراته والتى تقف فى بيت الاسلاف السابق الإشارة إليه منذ اليوم الخامس تقريبا ليشرب من لبنها * (هكذا يعتقدون) فإذا ما باعوا من لبنها أو

* وعلى الرغم من ان الكميات التى تترك للميت فى بيت الاسلاف لاتنقص إلا انهم يعتقدون ان الميت يشرب منها ولكنهم لايستطيعون تبرير عدم تناقصها .

ما يحصلون عليه من سمن فإن نصف العائد يخصص للمتوفى ، ويظل الحـــال كذلك فإذا ماتراكمت فانها تؤول لا بنائه أو احفاده وإن ظلت مرتبطة باسم الميت .

وعلى الرغم من أن الانقسناوى ينظر الى الموتى على انهم امتداد لعالمة فانه يفزع منهم ، فاذا مات اكثر من شخص فى منطقة ما فان أهله يتركون منطقتهم ويرحلون الى منطقة أخرى، اعتقاداً منهم ان المنطقة مليئة بالارواح والاشباح أو الشياطين ، وعلى الرغم من ان الموت شئ مكروه إليهم فانهم لا يتجنبون أهل الميت على النحو الذى نجدة عند بعض قبائل الدنكا حيث يفزع الدنكاوى من الموت ، فاذا مات أحدهم فان اقاربة يتجنبونة ، ويحرص الغرباء على عدم الاختلاط بذوية فلا يشركانهم تناول الطعام أو الشراب أو المناسبات الاجتماعية (١) وإن بدت كراهية الانقسناوى للموت وتشاؤمة منه فى حياتهم وفزعهم عند موت احد اقاربهم ، وقد يوجهون السباب الى «تل» الالة، وكانة غرر بهم واخذه على حين غرة، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان هذه الكراهية تبدو فى حرصهم الشديد على عدم لمس كفن الميت اذ يعتقدون ان مجرد ملامسة هذا الكفن كفيل بالحاق الضرر بهم وبذويهم ، ومن ناحية ثالثة ان الكراهية مردها الى خوفهم من ان روح الميت لاتلبث ان تتردد عليهم فى احلامهم وتفزعهم بمطالبها ، ومن ثم تسبب لهم الكثير من القلق والاضطراب ، وعادة ماتزيل المرأة شعر رأسها حزنا على زوجها وكذلك الحال بالنسبة للزوج ، وتختلف مناطق جبال الانقسنا فيما يتعلق بفترة الحداد سواء للرجل أو المرأة وبصفة عامـــة فهى لاتتجاوز بضعة

---

(١) فاروق اسماعيل ، الانثروبولوجيا الثقافية ، الهيئة المصرية العـامة ، ١٩٨٠ ، ص ٢٤٣ .

أشهر وقد تمتد فى بعض المناطق الى عام تقريبا ، وقدلاتتجاوز فى مناطق أخرى فترة ظهور شعر الرأس ، إذ يحق للزوج فى بعض مناطق الانقسنا ان يتزوج مرة أخرى بمجرد انبات الشعر ، وعادة ماتؤول الزوجة الى اخوة المتوفى من الذكور ، وفى حالة عدم وجود اخوة من الذكور تؤول الزوجة الى ابناء عم المتوفى ... حيث يتم زواجها الى أحدهم دون مهر على اعتبار ان مهرها سبق أن دفعةذلك الذى ينتمى الى جماعته القرابية .

وزياره قبر المتوفى « جاترسى » نادره ولا تحدث إلا فى الايام الأولى من الوفاه حيث يراد التأكد منوجود الجثمان فى القبر ، أو حين يكون هناك انسان غائب ويريد أن يستدل على القبر بعد عودته أو فى الاعياد الخاصة بذكرى الاسلاف « ساى بوينج » على نحو ما سوف نذكر بعد قليل .

* * *

وتختلف الشعوب الوثنية من حيث مفهومها فيما يتعلق بالبعث ، أوأن ثمة حياة أخرى بعد الموت ، وهل هناك ثواب أو عقاب ، فالوثنيين فى كورنقو جنوبى كردفان يقرون أن روح الانسان تظل بالقرب منهم وأنهالاتعرف الفناء بل انها قد تقوم من حين لآخر ببعض التصرفات التى تسىء الى الآخرين من الاحياء*.

---

* فى بعض الاحلام التنبؤ يه يرى احدهم ان شخصا ما (قد مات منذ فتره) سوف يسبب له بعض المتاعب كأن يؤذيه أو يعتدى على ممتلكاته أو يتسبب فى وفاته ، وغالبا مايرتبط هذا بعداوات سابقه بينهما ، أو ان ثمة عهد يجب الوفاء به ، هنا يذهب الى الكجور ويقص عليه الحلم ، فيأمر الاخير بأن يذبح خنزير على قبر الميت كنوع من التكريم أو على سبيل الترضيه ، اذ ان ثمة اعتقاد ان الميت يمكن ان يحمل ظل الرجل الحى معه الى القبر ويسبب له الكثير من المتاعب وقد يودى بحياته ومن ثم فإن هذا القربان المقدم الى الميت كفيل بأن يجعل الميت يطلق سراح «ظل» الرجل الآخر .

وايا كان الأمر فان سكان كورنقو من الوثنيين لايعتقدون فى البعث او ان ثمة ثواب وعقاب ، ولايختلف الأمر بالنسبة لسكان كارنجا فى جبال تلشى ولا يعنى حرصهم على دفن مقتنياتهم أن لديهم فكره البعث أو الحياه الاخرى ، وانما مرد ذلك الى الخوف والتشاؤم من استخدام ممتلكات الميت ومقتنياته ومن ثم فانهم يتخلصون منها بايداعها فى قبره ، وكذلك الحال لدى وثنى جبال الانقسنا فى شرق السودان الذين ينظرون الى الموت على أنه انتقال الى عالم آخر هو فى حقيقة الأمر ـ كما يعتقدون ـ امتدادا لعالمهم ولكنهم لايرون ان هناك بعث او ثواب او عقاب .

هكذا نجد **أن نظره الوثنيين الى الموت مرتبط بما لديهم من تصورات عقلية محدده** الى حد بعيد ، وعلى الرغم من ان الموت شئ غامض بالنسبة اليهم الا انهم يدركونه كما لو كان عملية انتقال من العالم المادى المحسوس الى عالم الاروح، وان ثمة استمرارية فى التواجد معا ، هنا **نجد انفسنا امام نوع من التصورات المدركة ، والتى تتميز بالثنائية** الواضحة ، والتى تربط **بين عالم الموتى وعالم الاحياء** ، وعلى الرغم من انها **منفصلين الا انهما متصلين فى نفس الوقت** ، وعلى الرغم من موت الفرد إلا انه حساس لكل شئ كما لو كان حيا إلا ان موته وتحلل جسده يحول دون اتصاله على النحو السابق (الوجود المادى) ان روحه ماتزال تشعر وتحس ، تمتلك الرغبات والمشاعر ، تنتقل من مكان الى مكان ؛ ولعل هذا هو الذى دفع Lévy Bruhl الى القول بأن عقلية البدائى Prelogical لانها متناقضة أو تجمع بين المتناقضات Contradictions ، ان الناس يتصرفون كما لو كان موتاهم احياء وموتى فى نفس الوقت ، ومن ثم فان هناك دوما انواع من الروابط الغامضة التى تربطهم بموتاهم ؛ ان تقديم البيره واللبن والماء

والمريسة (نوع من الخمور الشعبية معروف فى بعض مناطق السودان) للموتى انما هو نوع من الرمزية على حد تعبير Johns Mbiti ، تشير الى المشاركة والزمالة والتذكر ، ان الفرد بعـــد موته الفيزيقى وتحلل جسده لايختفى سرعة ، يذكره الاقارب والاصدقاء الذين عرفوه فى حيـاته ، انهم ينادونه بالاسم ، وليس من الضرورى ان يشيروا اليه ، يذكرون شخصيته وتصرفاته وافعاله ، احداث حياته ، كلماته المأثوره ، عهوده... ويحاولون الوفاء بها(١).

ان الطقوس والشعـائر الجنائزية Funeral rites انما ترتبط فيما يقول Paul Radin بمحاولات تستهدف أن يتم الموت سريعا وبطريقة آمنة ،ولتمنع الاشباح والارواح الشريره من ان تحوم حوله ومن ثم تزويد الموتى بالتعاويذ Charms كما يحدث فى قبائل Maori (٢)

ان تقديم القرابين للاسلاف بعد الرؤى والاحلام او فى أعياد الموتى انما يستهدف استعاده العلاقة الودية بين الاحياء واسلافهم من الموتى وتجنب ماقد يحدثونه من اضرار والام لاحفادهم من لاحياء .

* * *

---

(1) Mbiti, John., African Religions and philosophy, Heine Mann, London, 1971 pp. 25—27.

(2) Radin, Paul; op. cit p. 27,

الفصل الثانى عشر

الاسلام والوثنية (التغير الثقافى)

لا توجد ثقافة من الثقافات سواء من الأسكيمو فى أقصى الشمال،من المنطقة القطبية الشمالية إلى قبائل البوشمان جنوبى الصحـــراء فى أفريقيا لم تتعرض للتغيرات المترتبة على العديد من العوامل والتى قد تلتقى مجتمعـــة وقد يكون لاحـــداها فى فترة من الفترات التأثير الأكثر فعالية . وأيا كان الأمر فإن هذا التغير ناشىء عن الاتصال الثقافى سواء أكان فى صـــورة الاستعمار أو نتيجة للحروب والغزوات أو الهجرة المؤقتة أو الارساليات التبشيرية أو تغيير النظم الادارية ومشروعات التنمية وما ارتبط بها من المعرفة التكنولوجية فضلا عن وسائل الاعلام ... وارتباط ذلك باكتساب أنماط أو سمات ثقافية جديدة ماديا كانت أو معنوية امتدت إلى المظهر الخارجى للثقافة كما نرى فى اللغة أو الملبس أو المحتوى الغـذائى أو الأدوات ... أو امتدت إلى لب الثقافة أو جوهرها كما نرى فى التغييرات المرتبطة بالجانب الايديولوجى مثلا ، من هـــذا القبيل التغيرات الحادثة فى المفاهيم والمعتقدات كما نرى فى المجتمعات التقليدية الوثنية فى أيامنا هذه. هذا يعنى أن التكيف التقليدى لمثل هذه الثقافات بدأ يتغير ويفقد تجانسه ، وأن تكيفات ثقافية جديدة بدأت تظهر وتتخذ شكلا مغايراً للتكيفات التقليدية ، ويكفى ان نقول على سبيل المثال :

ـــ ان إنتشار الاسلام فى بعض المناطق الوثنية أضعف إلى حد كبير مبدأ الاكسوجامية والذى يقوم على رفض الارتباط بزوجة من داخل الجماعة القرابية

المحدودة (أبناء العمومة أو أبناء الخؤولة ..) وما زال دعاة الاسلام يبذلون جهداً لتبديد أفكارهم التقليدية عن مثل هذه الزيجات والتي لاتجلب إلا الأمراض والتشوهات أو الموت للأجنة على حـــد زعمهم وهذا بدوره سوف يؤدى إلى تغييرات بعيدة المدى فى مفاهيم القرابة والنسب .

— ان نظم الادارة الحديثة والمرتبطة أساسا بالنظام السياسى والتى أدخلت إلى هذه المجتمعات كان لها تأثيرها فى أضعاف الزعامة التقليدية — كما رأيت فى مناطق كارلنجا Karlenga وكورنقو Korongo فى كردفان بالسودان بل ان دخول الأدوية الحـــديثة من خلال المؤسسات الطبيـة ، والتى بدأت فى الانتشار ، لعب دوراً فى إضعاف دور الكاهن الطبيب أو كجـــور المرض Medicine man كما يسمونه فى بعض المناطق * .

— ان ادخال نظم التعليم فى أشكاله المختلفة ومستوياته المتباينة سواء عن طريق المؤسسات الرسمية المدارس أو الخلاوى أضعف إلى حد كبير من شعائر التكريس التقليـــدية ، والتى بدأت تتخذ شكلا صورياً . ان الكثيرين من الشبان فى قبائل الدنكا Dinka يرفضون اليوم أحداث الجروح أو الندبات على الجبهة ، أما فى جبال الانقسنا Ingassana أو كارلنجا لا ينظرون بارتياح إلى التشلخات التى ترسم على الخدين أو الرسوم الاخرى التى توسم بها الذراعين

---

* حدث فى إحدى زياراتى لجبـــال كورنقو Korongo أن طلب منى الكجور كاسوالى كجور العلاج دواء للاسهال أو لعلاج الام المعدة ، فأعطيته بعضا منها فأخذها بامتنان ، وحين أخبرته بأن لدى معلومات تفيد إنه يعالج مثل هذه الحالات أجاب على الفور : ان الادوية التى تستخدمونها تؤدى إلى نتائج أفضل وأسرع من طريقته التقليدية .

أو مناطق الصدور أو الظهر .

— ان دخول الجرار أو التراكتور فى زراعة جنوبى كردفان أو مشروعات التطوير الزراعى فى جبال الانقسنا غـــير الكثير من المفاهيم المرتبطـة بالزمان والمكان والجهد البشرى . ويمكن أن نسترسل فنضرب العديد من الأمثلة التى تشمل النظم أو الأنساق الاجتماعية فى عمومها (الاجتماعى والاقتصادى والسياسى والدينى ...) **لتوضيح التكيفات الجديدة الحادثة والتى امتدت الى النسق الاجتماعى** متمثلا فى البناء الأسرى والقرابة ونظم الزواج والمهر والتغير فى مركز المرأة التقليدى — **او الى النسق الاقتصادى** متمثلا فى قيام الســوق وانتاج الفائض واستخدام النقد فضـــلا عن نظم التبادل التقليدية أو الانتاج التكنولوجى ومشروعات التنمية — أو الى **النسق السياسى** متمثلا فى تغـــير نظم الرئاسة التقليدية واختفاء الحكم الوراثى وضعف سلطة الزعامة الروحية واحلال نظم أكثر ديمقراطية ، والأفكار المرتبطة بالانتخاب وتدخل النظام الادارى فى اختيار الزعامة وارتباط ذلك بضعف الزعامة التقليدية ،من كبار السن وضعف مركز العائلة وردود الفعل تجاه الشعور بالولاء والانتماء سواء القبلى أو العشائرى أو منطقة الاقامة - **ولعل التغيرات الاكثر أهمية تلك التى ترتبط بالديانات التقليدية والتى امتـدت الى المفاهيم والممارسات ، بمعنى اخـر امتدت الى لب الثقـافة أو الى جوانب هامة من النسق الايديولوجى،** حقا ان بعض هذه التغييرات قد تكون محدودة فى بعض جوانبها أو ليس لها من العمق والوضوح الا أنها تعتبر مؤشر هام على ما سوف يعترى هذه الديانات التقليدية من التغيير فى المستقبل القريب، خاصة وأن التغير حتمى نظراً للتقدم الواضح للثقافات المحيطة بالمناطق الوثنية كما رأينا فى كارلنجا وكورنقو والانقسنا ، ان الملاحظ الاثنوجرافى يستطيع

أن يدرك على الفور مدى التفاوت الواضح فى الانساق الرئيسية (النسق الايديولوجى والنسق التكنولوجى والنسق التنظيمى *) ، ان الابنية التقليدية تتغير وشعائر وطقوس المجتمع التقليدى تقاوم هذا التغير الحادث ، ان الذين اعتنقوا الاسلام أو المسيحية انما يحدثون نوعا من التعديل لمعرفتهم الثقافية ويستخدمونها لادراك أشكال جديدة من السلوك مدركة ومختلفة عن سابقتها ، ان الوثنى الذى يستعد لاحتفالات « ساى بوينج » ** بنحر الخنازير ويعد المريسة « نوع من الخمور » ويشارك فى الرقصة التقليدية فى جبل « كامول » حيث يكون همه الشاغل تلبية مطالب الأسلاف من الاضحيات والقرابين ، والذى يلجأ إلى كجور المطر لاسقاط المطر أو إلى زعيم الصيد « سين أسام » ليصادف حظا وفيرا منه ما زال يتمسك بمعرفته التقليدية ، وعلى النقيض من ذلك الذى اعتنق الاسلام فرفض المشاركة فى الاحتفالات الوثنية وعزف عن ذبح الخنازير وأعرض عن شرب المريسة عن قناعه ، وإذا تعذر سقوط المطر قصد أحد ثقاه المسلمين للقيام بشعيرة صلاة الاستسقاء ... هنا نقول نحن بصدد تغير فى المعرفة الثقافية التقليدية .

والسؤال الآن هل يمكن القول اننا فى مثل هذه الثقافات نجد نوعين محددين من المعرفة أو شكلين من أشكال السلوك الاجتماعى ، بالطبع لا : لان المعلومات الجديدة أو المعرفة الثقافية الطارئة أو الدخيلة فى أى شكل من الاشكال تكاد تنتشر وتعرف بين الناس جميعا ، ولكن استخدام هذه المعرفة لتفسير الخبرة أو

---

* فكرة لابير Lapierre .

** عيد الاسلاف وتذكر الموتى فى جبال الانقسنا (خلال شهر نوفبر من كل عام) .

ترجمتها الى افعال وسلوك عن قناعة ، هنا نجد التفاوت الملحوظ ، وربما هذا هو الذى دفع James Spradley فى معرض حديثه عن التغير لدى قبائل الكواكتيل الى أن الناس يقتربون من المعرفه ولكنهم يفشلون فى فهم معناها ، وقد يرفضون الاقتناع بمحتواهـا ، غير قادرين على استخدامها لتنظيم سلوكهم لماذا؟ لانها تتصارع مع القيم التقليدية (١) ، ومن ثم نجد العديد من المعارف أو الاشكال السلوكية والتى قد يتفاوت الافراد فيما بينهم من حيث درجة المعرفة أو الفهم أو الاقتناع أو الممارسة . فعلى سبيل المثال ان معتنقى الاسلام فى كارلنجا فى جبال تلشى قـد يستخدمون الخنزير فاذا سألتهم الا تعلمون أن الشريعة الاسلامية ترفض هذا السلوك ؟ اجاب البعض انهم يربونها فقط من اجل ممارسة الكجرة ، لتقديمها لدرء المرض والعين الشريره والممارسات السحرية ، انها مطلب حيوى لتحقيق التجانس بينهم وبين العالم الغيبى،فى حين يجيب آخرون انهم مازالت ارخص مصدر للبروتين اليومى على اعتبار أن هذا الحيوان ولود الى حد كبير ، كما انها مصدر الحصول على النقد ، فى حين نجد نفر محدود هم الذين رفضوا عن قناعة تامةاقتناء هذا الحيوان واستخدامه بطريقة أو بأخرى ، هذا يعنى اننا بصدد تغير جزرى فى نسق المعرفة التقليدى ، وعلى هذا يمكن القول **ان عملية التغير الثقافى ليست مجرد عملية احلال للجديد محل القديم أو ليست مجرد تجمع عشوائى لمفاهيم أو ممارسات او مجرد اضافة للمحتوى الثقافى القائم .**

من هنا يمكن القول بأن المفاهيم الدينية او المدركات الجديدة تمـر بمراحل ثلاث :

الأولى : مرحلة ظهور المفهوم وغالبا مايتم هذا عن طريق الدعاة أو المبشرين

---

(1) Spradley, David, W. McCurdy, op. cit. p. 574.

أو نتيجة العلاقات الشخصية المتاحة والاتصالات بالمجتمعات المجاورة والمتمايزه ثقافياً .

الثانية : مرحلة القبول الاجتماعي لهذا المفهوم أو المدرك . هذا يعني أن هناك من الوثنيين من تعرفوا على تلك المفاهيم ، وقد ادركنا منذ قليل ان التعرف على المفهوم فى حد ذاته لايعنى قبوله **اذ لابد من الاحساس بان هذه المفاهيم مشروعة وايجابية وان ثمة حاجة اليها بمعنى اخر لابد من وجود الدافع لتعديل المعرفة السابقة والتحول الى المعرفة الجديدة** ، فعلى سبيل المثال ان الوثنى الذى يعتنق الاسلام قد يدرك أن الثقافة الاسلامية تمثـــل نموذجاً ارقى بما تتضمنه من قيم اخلاقية وقدرة على تحقيق الدافع للسلوك والفعل ومدى كفايته فى تحقيق التوازن بين حاجات الفرد بما يصنعه من ثواب وعقاب ــ وقد يكون الدافع متمثلا فى ان الاسلام كطريقة للحياه واسلوب فى التفكير يمده باجابات اكثر دقة واشباعا لتساؤلاته وقـد يكون الدافع مرتبط الى حـد ما بأنه دين الطبقة الحاكمة أو المسيطرة اى الافراد الذين يؤثرون فى الحياه وهذا على النقيض مما لو كان مرتبطا بافراد ذوى مركز بسيط أو هامشى ، وقد يبدو الدافع واضحا حين ندرك ان الزعماء التقليديين استهدفوا دعم اوضاعهم الاجتماعية وذلك بأخذ المبادرة الى جانب الزعامة الرسمية واعتناقه الاسلام لتحقيق وضعاً جديداً متمايزا بالتوافق مع النظام الادارى الجديد .

ومن ناحية أخرى فان الاقرار او الموافقة للمفاهيم الجديده اسرع اذا كانت متمشية مع العادات التقليدية ، اى ان قبولها لايعنى احداث تغيير جذرى فاللجوء الى الفقيه العربى للحصول على الحجاب او التعويذه بدلا من الكجور ، وكما نجد فى الزواج الليفراتى او زواج الاخ بأرملة أخيه المتوفى وهو شائع لدى العديد من المجتمعات الوثنية كتلك التى اشرت اليها جميعا ويسمونه فى جبـال كردفان

« مال فولدارو » وعادة مايتم دون طقوس أو شعائر ودون مهر ، وإن كان في الوثنية يسمى الابناء باسماء الاخ المتوفى ،جاء الاسلام ليقر هـذا النوع من الارتباط وان كان يؤكد ثبوت النسب بالتحديد الواضح للابوه البيولوجية، من هذا القبيل وجود فكرة «الروح» عند المسلمين وانها منفصلة أو ذو طبيعة مغايره عن الجسم وأن لهـ ـا خصائص متمايزة ، «ارتباط ذلك بفكرة الارواح لدى الوثنيين وان بدت اثارها واضحة الى حد كبير وبطريقة متطرفة في السيطرة على حياتهم وارتباط ذلك بالسحر والشعوذه والخرافات **هنا لانجـد تغييرا جذريا للمفهوم أو السمة وانما اعادة صياغة او استبدال للمفهوم واظهاره في نموذج جديد يختلف عن النموذج السابق ليعطي معنى للخبرة أو التجربة او السلوك .**

ثالثا مرحلة الممارسة : حيث يقوم البعض ممن ادركوا السمة أو المفهوم وتمثلوه بالممارسة والتجربة الفعلية ، وينبغي هنا أن ندرك ان اى سلوك جـديد يثير ردود فعل في أجزاء أخرى من الثقافة أي أن هناك توافقات أخرى مرتبطة، اعتناق الاسلام أضعف الى حـــد كبير سلطة ومركز كبار السن من الزعماء الروحيين (فئة الكجرة) وبالتالي التغير في النظرة اليهم من حيث قدراتهم على إحداث المعجزات المرتبطة بالزرع والضرع ، غير النظرة الى أرواح الاسلاف وقدرتها المتناهية وتدخلها في حيـــاة الأحياء * ، اداء الصلاة كركن اساسى للعقيدة ارتبط بدوره بتغيير في مفاهيم مرتبطة كالطهارة والحياء (ستر الجسم والعوره ـ ظهور أنماط من الحجاب لم تكن موجوده من قبل) ، تلاوة القرآن ،

---

* زعيم كورنقو Korongo في كادوقلي والذى يدعى « انجوتوتو » تزوج من عشر نساء حين اعتنق الدين الاسلامي اكتفى باربعة فقط .

الخشوع ، الامتثال للامام ... وغيرها من الرمزيات التى تعطى معنى ووظيفة للحياة الشعائرية .

بالطبع ليس هناك ثقافة تتكامل تكاملا مطلقا ، ان عمليات التكامل مستمرة وثمة تحويرات وتعديلات وتوافقات لاتلبث أن تظهر .

* * *

ان الثقافات الوثنية التقليدية تشهد اليوم تحولا بعيد المـــدى وأن الباحث الاثنوجرافى يجب أن يختار العوامل التى يمكن أن تساعده فى تحليله لهذا التغير الثقافى الحادث ، بعض هذه العوامل قد يكون تاريخيا والبعض الآخر جغرافيا أو ايكولوجيا أو ثقافيا ... الخ وسوف نقتصر هنــا على العوامل التى ارتبطت بالتغير الايديولوجى (فى مجال العقيدة) والمتمثل أساسا فى الاتصال الثقافى والتنظيمات الادارية والهجرة .

أولا : الاتصال الثقافى .

لا يمكن الزعم بأن المجتمعات التقليديه الوثنية مازالت تعيش فى عزله ، اذ أن حركات الفتح والاستعمار والرحالة والمبشرين وتجار الرقيق فضلا عن قيـــام الحكومات الوطنية فى عهد مابعد الاستقلال بادخال تعديلات على النظم الادارية الأمر الذى ترتب عليه حتما تغيير فى السمات المادية والعادات والتقاليد والتراث ، بالطبع أن كثير من هذه المجتمعات تؤثر العزلة كما راينا فى منطقة جبال الانقسنا فى باو أو فادمية أو طيقو وفى جبـــال تلشى فى كارلنجا وفى كورنقو جنوبى كردفان ، بل أن هذة العزلة تشكل جزءاً من اتجاهات الفرد وعلى حد تعبير Steven picker فى دراسته لمجتمع Thai يقول أن العزلة الشخصية وعدم الاستعداد للتورط فى علاقات تبادلية مترابطة وكذلك الحذر من نيات الآخرين

انما تشكل جزءاً من اتجاهات الفرد وتصوره للعالم المحيط به (١) إلا أن الحركات الاستعمارية والمبشرين وتجار الرقيق وحتى الحكومات الوطنيه فرضت نوعا من الاتصال الثقافى بطريقة أو بأخرى أو على الأقل أوجدت نوعا من **الجوار المصطنع** ان صح هذا التعبير كما رأينا فى جبال الانقسنا حيث لاذ سكان هـــذه المناطق بالجبال بعيدا عن الوادى فى محاولة للهرب من تجار الرقيق ـ وكما حدث فى جبال تلشى فى كارلنجا حيث تعرضوا للحملات التأديبية من قبل القائد الانجليزى والتى اجبروا فى إحداها الى التحرك اسفل السفح مرغمين تاركين حصونهم الجبلية الى الوادى المكشوف حيث يمكن الوصول اليهم لاغراض تأديبيه (٢) . وعلى ذلك نجد أن مجرد نزولهم أسفل الجبل فى بداية الاربعينات كان نقطة تحول لاتصال أكثر فعالية بالثقافة العربية المحيطة ... فإذا أضفنا جهود الحكومات الوطنية فى تغيير النظم الادارية التقليدية وجدنا أن ثمـة تغييراً ثقافيا استهدف احداث نوع من التكيف الثقافى بدت نتائجه واضحة سواء فى عناصر الثقافة المادية أو غير المادية .

ثانيا : التنظيمات الادارية :

ولا شك ان التغييرات الادارية سواء التى تمت فى عهد الاستعمار أو عند قيام النظم الادارية الحديثة احدثت تغييرا اساسيا فى الحدود السياسية واضعفت الى حد كبير الزعامة التقليدية والتى كانت تقوم على أساس كهنوتى كما سبق ان أشرنا حين تحدثنا عن الزعامة الروحية والتى تقوم فى مثل هذه المجتمعات اذ ان

(1) picker, Steven; «Thai society» in Human Organization, Vol, 27, Fall 1968 No. 3 p. 202.

(2) Nadel, op. cit. p. 35.

حياة الزعيم مسيطر عليها من قبل القوى الخارقة ومن ثم فإن صلاحية هؤلاء الزعماء مستمدة من الامتيـــاز الالهى وليس من صفاتهم الشخصية الملموسة فى حياتهم اليومية جاء النظام الادارى بمؤسساته المختلفة أقسام الشرطة (مفتشوا المراكز ، مأمورى الاقسام) المحاكم الاهلية ليحمل فى طياته تغييرا جذريا وليلعب هذا التنظيم دوراً ملموسا فى الصراعات القبلية وتحقيق الاستقرار ، بيدان دور **الزعماء التقليديين لم يلبث أن تغير فى ظل التغيير الادارى الحادث ، اذا أصبحو يعملون بايحاء أو توجيه من النظـام الادارى الحديث على عكس الحال قديما حيث التوجيه صـادر أساسـا مـن أولئك الذين منحـوا حق الامتيـاز الشعـائرى .**

ويمكن القول أن النظام الادارى الحديث اكتسب مشروعيته من دعمه لاستقرار هذه الجماعات وخاصة فى مشاحناتها وصراعاتها مع القبائل المحيطـة أى خارج الوحدة السياسية ، أى جاء النظـام الادارى والقانون الوضعى ليمارس نفوذه خارج الحدود العشائرية والقبلية هـذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان دعم الخدمات وتحقيق احتياجات المنطقة فى المجالات المختلفة (التعليم والصحـة والقضاء والمواصلات . . الخ) من خـلال هذا التنظيم أعطى دفعة قوية لهذه النظم الادارية الحديثة .

ثالثا ـ الهجرة .

ان خروج الوثنى للعمل خارج حدود الاقليم الذى ينتمى إليه واستمـرار هجرته لسنوات طويلة وعدم مشاركته فى الطقوس والممارسات والاحتفالات الدينية والاقتصادية والاجتماعية أضعف إلى حدما من انتمائهم وولائهم للاقليم ، بحيث يمكن القول أن قطاعا كبيرا من المهاجرين ضعف احساسهم بالمعتقدات الدينية، وكما نعلم كلما خفت حـدة الاحساس قل التمسك بالمعتقدات ، بل أن البعض يتذكرها فى المهجر كما لو كانوا يتذكرون قصص أو أساطير أو

للاشارة إلى تمايز ذاتياتهم عما عداهم من سكان المناطق الأخرى ، ولتوضيح ذلك نقول : ان المهاجر خارج الحدود والبعيد عن ممارسات الكجرة من القائمين على البناء الكهنوتى يعيش فترة من الفصام، فليس هناك اتصال بالشعائر والطقوس بطريقة مباشرة ، وحتى أزمات الحياة التقليدية حيث المرض والموت والمجاعة والمراهقة حين يبدو التوحد والتأثير العقائدى فى أقوى صوره حيث يلتف الجميع ويلتقون معا وعلى حد تعبير المبشر الكاثوليكى أوبياس Aupiais حين قال: إذا دعوا آلهتهم دعوها جميعا — وإذا ابتهجوا ، كان ابتهاجهم وطربهم جماعيا فى وحده عجيبه تربط بعضهم ببعض حاضرهم وغائبهم حيهم وميتهم وسط مظاهر عظيمة من الاحتفال الجمعى المزدحم بألوان من الطعام والشراب يشترك فيه الجميع سواسية » ، هنا فإن المهاجرين يفتقدون هذا الشعور الجمعى ولاتطفوا إلى نفوسهم الأحاسيس العميقه لعدم الحاجة لمثل هذه الشعائر والطقوس المرتبطه بالعقيدة ، فإذا سلمنا بأن الممارسات والطقوس الوثنية ترتبط إلى حد كبير بالاحتياجات الاقتصادية والظروف البيئية (والتى قد تلعب دوراً فى الهجرة الموسمية أو الدائمة) من ناحية **والسلطة والسيطرة من ناحية اخرى لوجدت ان المهاجر قد انقطعت صلته برجل السحر او الكهنة** أولئك الذين يقومون بدور الوساطة بين الناس والالهة أو الأرواح لتحقيق الخير ، كما انقطعت صلته برجل الطب والمطر وكجور الزرع والحصاد وكجور الحرب وهؤلاء جميعا من صالحهم أن يمارسوا أو يستغلوا باعتبارهم المسئولين عن عادات الاسلاف — الأوقات باحياء المناسبات اليومية ودعوة العامة إلى الطقوس والممارسات السحرية ، دعما لمراكزهم من ناحية والحصول على الأجور أوالمقابل من ناحية أخرى ، هؤلاء جميعا تقلص نفوذهم وضعف إلى حد كبير . أن ظهور الطبيب والمستشفى ونقطة الغيار والأدوية الحديثة أثر إلى حد كبير على اللجوء إلى

كجور المرض ، أن المهاجر ليس فى حاجة إلى المطر ومن ثم اللجوء إلى كجوره وليس هناك حاجة إلى الصيد الوفير ،ومن ثم لم يعد يعرف طريقة إلى كجور الصيد ، لا يباشر زرعا ولا يفلح أرضا ومن ثم فلا حاجة إلى كجور الزرع ، بل أن بعض العاملين فى المشروعات الزراعية التنموية والذين عرفوا الآلات الزراعية الحديثة نسبيا كما رأينا فى جبال الانقسنا وجبال كردفان تغيرت نظرتهم إلى هذا الكجور إلى حد بعيد ، بل ان قيام الحكم المحلى والنظم الادارية الحديثة وأقسام الشرطة والقانون الوضعى أفقد كجور الحرب وظيفته أيضاً ، ومن ثم أفتقد هؤلاء الزعماء على الأقل بالنسبة للمهاجرين نفوذهم وسلطانهم ولاشك أن هذا انعكس إلى حد كبير على المفاهيم والممارسات العقائدية ـ ان المهاجر إلى عاصمة الاقليم أو المدينة القريبة أو البعيدة بحثا عن فرص للعمالة لا يفكر فى أبويه المسنين وأخوته الذين هم نتاج العديد من الزيجات .. لم يعد يفكر فيهم بنفس الطريقة كما لو كان يعيش فى وسطهم ، يقول أحد أبناء كورنقو Korongo انه لم يذهب إلى الجبل منذ سبع سنوات، بل أن آخرين يشيرون إلى فترات تزيد عن ذلك بكثير ـ الأمر الذى ترتب عليه نمو الفردية والاستقلالية واتساع دائرة العلاقات الاجتماعية لتتجاوز الوحدة القرابية وعلاقات النسب داخل النطاق العشائرى .

* * *

تأثير الدعوة الاسلامية فى المجتمعات التقليدية الوثنية ·

أن الدعوة الاسلامية قد أثارت تغييرات بعيدة المدى فى هذه الجماعات أو الكيانات العشائرية أو القبلية ،ان اعتناق مجموعة من الناس للاسلام يعنى أن لدينا مجموعتان مختلفتان عرقيا (على أساس الاتجاه الدينى) فى بيئة واحدة لكل منهما

اختيار مختلف من البدائل الإيديولوجية ، بل يمكن القول أن اعتنـاق البعض للدين الاسلامى أدى إلى :

(١) أضعاف الانتماء أو الولاء العرقى Ethnic loyality

(٢) إنقسام الوحدات السياسية المستقلة *

الأمر الذى ترتب عليه وجود مجالين من التفاعل :

الاول : المجال العام حيث التفاعل يشمل الجماعة ككل بموروثاتها الثقافية وانتماءاتها العقائدية وخبراتها الإجتماعية وتاريخها المشترك حيث الولاء والانتماء للعشيرة أو القبيلة ، وينبغى أن نذكر هنا على حد تعبير Harold Eidheim(1) أن تدفق وتداعى التفاعل فى هذا المجال لايوضح أن العلاقات قاصرة على أولئك الذين اعتنقوا اتجاها عقائديا جديدا ، ان التفاعل فى هـــذا المجال لايوضح أن العلاقات تقوم على الاتفاق التام القائم على ذاتية مشتركة .

الثانى : المجال الخاص قاصر على أولئك الذين اعتنقوا اتجاها عقائديا جديدا قد يبدو أكثر وضوحا إذا ماقورن بمجال التفاعل العـام حيث تسود مجموعة من الأفكار والمعتقدات الخـــاصة بهم ومما يجدر الاشارة إليه أن الفرد يستخدم

* ان ثمة عوامل أخرى أدت الى الانقسام (غير الاسلام) لعل أهمها ادخال النظم الادارية الحديثة ، الأمر الذى أدى الى عدم وضوح الذاتيات القبلية، بمعنى أدق ان حدود هذه الذاتيات غير واضحة كما كان الحال قديما .

(1) Eidheim, Harold, Ethnic groups and bocndaries, the little Brown Series in Anthropology, p. 10.

الولاء القبلى أو مشاعر الانتماء فى طرق متباينة ، أن أحد أفراد جبال كورنقو ممن اعتنقوا الاسلام ويقيم فى «أم درمان» لايتردد على الاطلاق فى أن يذكر أسماء مواطنيه الذين يقيمون معه فى المدينة سواء كانوا مسلمين أو وثنيين ، بل أن عودة المهاجر الذى أعتنق الاسلام إلى مجتمعه الوثنى لايعى أن المجتمع التقليدى يرفضه بل أن ثمة قبول بالترحاب البالغ و التقدير الأمر الذى يدفعنا إلى القول: بأن المعتقدات والقيم والرمزيات المتعارضة تتواجد معا فى الحياة الأسرية وقد ترتبط دون شك بتكوين اتجاهات مغايرة لكنها تعمل معا وتتواجد معا ، أى أن هناك تواجد ثنائى للمفاهيم فى كافةمناحى الحياة، فالوثنى يذهب إلى الكجور وشقيقه المسلم يذهب إلى الفقيه لنفس الغرض ، وقد يشارك الوثنى اللجوء إلى الفقيه أيضا حين لاتفى بمتطلباتهم ولايجدون فيها ماينشدونه ليعد لهم «حجاب» أو «تعويذة» لمواجهة أفعال السحرة أو العين الشريرة، وقد لايكترث بمتضمنات هذه الاحجبة من آيات قرآنية، وتبدو الثنائية فى أوضح صورها حين يتجه الوثنيون فى أعلى الجبل إلى صانع المطر أو كجور المطر مناسدين اياه مساعدتهم حتى تستجيب الآلهة وتمن عليهم بالمطر ، فى حين يذهب المسلمون إلى ثقاتهم من الأئمة المسلمين مناشدين اياهم اقامة صلاة الاستسقاء حتى يستجيب الله لدعائهم ، يتم هذا دون وساطة الكجور أو غيره أو نحر خنزير أو نثر دماء .

ولا يقتصر الأمر على هذه الثنائية فإن هناك تداخلا فى المفاهيم والممارسات يبدو فى أوضح صوره فى استخدامهم لمفهوم « الله » والذى يعنى رفضهم لفكرة الاله «موسلا» الاله الخالق فى كالـنجا أو فى كورنقو و«تل» فى الانقسنا . أن هذا المفهوم لم يدرك على هذا النحو فمازالو ينظرون إلى أن الله عند المسلمين هو ذاته موسلا عند الوثنيين . أنهم يستخدمون المفهومين أحدهما تلو الآخر أو محل

الآخر للاشارة إلى نفس المفهوم . وكـــذلك معتقداتهم وطقوسهم وشعائرهم ترتبط بأكل لحم الخنزير وشرب الخمر حيث يقدم الأول كقربان للاله ومن ثم فإن إعتناقهم للاسلام لم يحول دون اقتناء الخنزير . عندما سألت السلطان «تيه» فى كارلنجا عن احتفاظه بالخنزير على الرغم من اعتناقه للاسلام وادائه فريضة الحج . أجاب : (أنه لا يأكله وإنما يحتفظ به للاسبار والطقوس) أن الذين رفضوا لحـــم الخنزير يعنى أنهم رفضوا القربان الالهى الذى يقدم للالهة أو القوى الخارجة أو الوسطاء من فئة الكجرة ، ومن ثم فإن الكف عن تربية الخنزير يعنى تنازلهم أو تغير مفاهيمهم بالنسبة للكجرة أو السحرة أو العين الشريرة ، ولاشك أن هذا لا يحدث إذا لم تكن هناك أفكار ومفاهيم بديلة، إذ حلت فكرة (الكرامة) التى يقدمها المسلمون إلى الفقيه بدلا من الكجور للحصول على (البركة) أو (الحجاب) الذى يقيهم شر الحسد أو العين الشريرة .

ومن ناحية أخرى فإن المعتنقين الجدد للشريعة الاسلامية لا يمارسون أنماط السلوك التقليديه التى يباشرها المسلمون فى كل مكان كالصلوات والصوم ودفع الزكاة والطهارة والعفة ... الخ بالكيفية المتعارف عليها لدى المسلمون فى كل مكان،ولقد رأيت المعتنقين الجدد للاسلام فى كارلنجا وكورنقو من حيث أداؤهم للصلاة أو حرصهم على القيام بهذه الشعيرة . زياراتهم للمساجد والخلاوى محدودة ، تمسكهم بالصوم ليس واضحا ، دفعهم للزكاة غير مألوف ، الشعائر الإسلامية برمتها ليس لها دو واضح فى حياتهم ولا يعتد بها وتعتمد على قرارات فردية ... ربما أداؤها للاشارة إلى الارتباط بدين جديد مصادفة وتحترم كشعار للاسلام وتتم كيفما أتفق — المؤدون الصلوات فى خلوة كارلنجا يوم الجمعة عددهم محدوده لا يتجاوز أصابع اليدين بكثير يتوافدون على الخلوة على فترات

---

* عدد سكان كارلنجا ١٥١٧ منهم ١١٥ من المسلمين ، ١٤٠٢ وثنيين

متباعدة ــ الصلاة تمت دون آذان فى حين توجب الشريعة الاسلامية الآذان عند كل صلاة .

أن التغير الحادث فى البناء القبلى التقليدى فى المجال العقائدى ينعكس دون شك على مجال العلاقات فلم تعد تقتصر على الوحدات العائلية داخل المنطقة وإنما امتدت إلى خارج الاقليم أو الجماعة العرقية إلى تنظيمات أخرى فى المدينة القريبة مثل لجنة إحياء النشاط الاسلامى ، لم تعد العلاقات رهن بالأوضاع البيئية أو الجغرافية أو النظام الرعوى أو نظام الصيد ، فالفرد قـــد يدخل فى علاقات على مستويات متعددة ومختلفة فالمسلم الذى يؤدى الصلاة فى الخلوه ويرتبط بالامام ويلجأ إلى الفقيه العربى قد يخرج للصيد مع جماعته القرابية أو جماعة الجوار بعد أن يعطيهم كجور الصيد الامر بالخروج ... نحن هنا بصدد تفاعلات معقدة ،أن الزعيم الوثنى « أنجوتوتو » والذى تحول إلى الإسلام فى كورنقو وإقتصر على أربعة زوجات بدلا من عشرة وتقلد منصب رئيس المحكمة الشعبية بها (١٩٨٢) يصدر حكمه بالسجن ثلاثة أشهر على رئيس لجنة تنمية المجتمع الذى أعتنق الاسلام لأن هذا الأخير يحث الناس على ترك عادات الآباء والأسلاف ويدحض فـــكرة الزعيم الوثنى «كاسوللى» والذى يحثهم على ضرورة الالتزام بعبادة الاسلاف والامتناع عن الذهاب إلى المزارع حاملين طعامهم وشرابهم فى فترة معينة .. أن هذا يذكرنا بما كتبه South hall فى كتابه الممتاز عن (صراع القبيلة) The illusion of tribe يقول : أن أهم أهداف الأنثربولوجى الإجتماعى والثقافى أن يكشف لنا النقاب عن أهمية الذاتيات والعلاقات المتشابكة والمتداخلة والمتعددة والمتغيرة والجمعية

إلى حد ما (١) .

وعلى هذا يمكن القول أن تلك المجتمعات مازالت تحمل ثقافتها التقليدية الخاصة وتعقيداتها البنائية وتواجه التأثير الحضارى من خارجها ، إن ثمة إختيار للسمة الثقافية، قد يقبل أحد مواطنى جبال تلشى أو الأنقسنا أو كورنقو سمة ويرفض سمة أخرى،قد يتقبل فكرة الملابس لستر الجسم* أنها ترتبط بممارسات أولئك الذين يحتلون أعلى النسق الاجتماعى ، وقد يحرص على ارتداء ملابسه كامله حين يذهب إلى المسجد أو الخلوة أو السوق فى حين لايكترب كثيرا بستر الجسم عند ممارسة نشاطه اليومى المعتاد .

وبعد :

إن التغيرات الحادثةاليوم فى المناطق الوثنيه تبرهن على مرونة الأوضاع

---

(1) Shorter, Aylward, East African Societies, Routledge & Kegan paul. London. 1974. p. 44.

* فى جبال الانقسنا أو كورنقو لايجد الوثنيون غضاضة فى الظهور ونصف الجسم الاعلى عارى وليس ثمة مبرر لذلك إلا انه ليس هناك مايدعو الى ستر الجسم ،وكذلك الحال لدى قبائل الدنكا فى جنوبى السودان حيث يذهب الوثنيون الى ان أجسامهم جميلة وليس هناك مايشين ويدعو إلى اخفائها ، اما فى قبائل كورنقو يرون أن ظهور المرأة عارية أدعى الى معرفة عفتها على النقيض من المرأة التى تخفى جسمها وراء ردائها فلا يعرف شيئا عنها ، اما قبائل Nader الهندية فإن ستر الجسم من أعلى أو عدم ستره فيه اشاره الى المركز الطبقى ، فاللائى يتركن اجسامهن دون ستر انما ينتمين الى الطبقة الدنيا فى حين اللائى يسترن الجسم ينتمين الى طبقة أعلى .

— Spradley op. cit. p. 578.

الإجتماعية وعلى الرغم من التكيفات الحادثة مع النظم الادارية الحديثة وقيام القانون الوضعى والمحاكم الشعبية . أقسام الشرطة — لجنة تنمية المجتمع — هيئة إحياء النشاط الاسلامى — المدارس الإبتدائية — المخبز الآلى — جمعية تنمية المجتمع المحلى - مضخات المياه — وحدة الاسعاف ...

وعلى الرغم من الاستجابة والتكيف النسبى الحادث مع هذه المؤسسات والخدمات فان الثقافة التقليدية مازالت مستمرة وأن الباحث الاثنوجرافى يمكن أن يدركها بسهولة ووضوح ولعل هذا يذكرنا بما سماه Gulliver بالخصوصية particularism والذى يأخذ شكل الانتماء والارتباط بالانماط التقليدية القديمة للحياة والذى يعتبر من أهم المعوقات التى تحول دون إنتشار المدالاسلامى ، حقا أن الشعائر والطقوس والممارسات التقليدية مهددة ، الزعــامة الروحية تتهاوى والمشتغلين بالسحر والعرافة والشعوذة يتعرضون للهجوم من قبل هيئة إحياء النشاط الاسلامى والذين يشكلون تيار المعارضة للوثنية ، إلا أنه يمكن القول أن هناك العديد من العوامل التى تحول دون تقدم الدعوة الاسلاميه بشكل ملحوظ .

اولا : العزلة النسبية لهذه المناطق (مناطق جبلية) وعورة الطرق فضلا عن تناثر تجمعاتهم فاذا أضفت إلى ذلك اختلاف لغتهم (اللغة القبلية) عن العربية لغة الإسلام والدعاة الاسلاميين .

ثانيا : محاولة الزعامة التقليدية التشبث بالانماط التقليدية وعادات الاسلاف والسبور ، فهم يدركون أن بقاءهم ووجودهم وثيق إلى حد كبير ببقاء هذه الانماط السلوكية التقليدية الأمر الذى يدفعهم إلى مقاومة مايعكر معتقداتهم الموروثة .

ثالثا : الصراعات القبلية المرتبطة بالموارد (الأرض للزراعة — المرعى — المياه) كما يحدث فى منطقة ابيى فى الدنكا ، فى جبال كارلنجا فى تلشى جنوب كردفان ... الخ وكما يحدث بين البقارة من الوافدين إلى هذه المناطق فضلا عن الغارات التى تشنها القبائل العربية التى تستهدف سلب أبقارهم وتدمير زراعاتهم (كما تفعل المسيرية الزرق) الأمر الذى أوغر صدورهم وأوجد مشاعر التحامل والتحيز ونمو الاتجاهات السلبية تجـاه أولئك الذين لايراعون حقوق الجوار ومن ثم عدم التفكير فى معتقداتهم .

رابعا : قصور وسائل الاعلام ، ويمكن القول أن هذه المناطق التى أشرت إليها فى دراساتى الحقلية لم تعرف حتى الآن الصحافة أو الاذاعة أو التليفزيون ، مازال دور الاذاعة فيها محدود للغاية ، لاتوجد برامج موجهة باللغة المحلية . البث الإذاعى بالعربية والتى لايعرفها سوى قلة مـــن سكان هذه المناطق ومن الوافدين إليها .

خامسا: ترجع كفاءة الدين الاسلامى أن زودهم بمعطيات تفى بمتطلباتهم فى كافة مناحى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ولتجيب على تساؤلاتهم التى لايجدون لهـــا صدى فى معتقداتهم الوثيقة خاصة ماارتبط بالبعث والثواب والعقاب والمشكلات المرتبطة، والإرث خاصة التجمعات التى تسودها الوراثة فى خط الأم . والمعاناة التى يمكن أن يتحملها الأبناء إذ يقضى العرف بعدم وراثة الأبناء للمسكن أو مزرعة البيت إلا بوصية من الأب فى حين تؤول مزرعة الجبل أو أسفل السفح لابناء الأخت..الخ هذا يعنى أن المفاهيم الإسلامية يمكن

أن تجد لها صدى طيبا فى نفوس الوثنيين (*) — إلا أن القصور مرده إلى دور الداعية أو المرشد الدينى . أن دور شيخ الخلوة الذى رايته فى كارلنجا فى جبال تلشى أو فى كور نقو أنها يذكرنى بدور الطبيب الذى لا يجد المرضى أو المدرس الذى يفتقد التلاميذ لماذا ؟ لأنه يفتقد وسيلة الاتصال ، لايجيد اللغة المحلية ، أنه لايدرك حقيقة الدور الذى ينبغى أن يقوم به ، أنه يفتقر إلى الأعـــداد والاقناع برسالته ، ومن ثم فان دوره يصبح هامشيا فى الثقافة الوثنية وبالتالى تأثيره محدود لغاية ، وإنى أعتقد أن إختيار الداعية أو المرشد الدينى أو حتى العاملين فى هيئة الدعوة لابد من اختيارهم على أسس نفسية ومهنية لأن هؤلاء يعيشون فى ظروف إستثنائية ، لديه القدرة على أن يكيف أحاسيسه ومشاعره للتعامل مع الاخرين وياحبذا لو كان هذا الموجه أو الداعية خبيرا بالتربة على دراية بموعد زراعة المحاصيل (الفيتريتيا ـ الذرة الصفراء ـ السمسم ... الخ) على درجة من المعرفة بالسلوك البشرى إيجابياته وسلبياته ، التباين والاختلاف بين الشعوب والجماعات ومن ثم لابد مـــن غياب النظرة التحاملية لدى أولئك الذين يقومون بهذه المهمة الرفيعة ، إن البؤس وحياة الفطرة التى يعيشها هؤلاء الوثنيين قد يجعل الداعية أو المرشد يعتقد بتفوقه على هؤلاء الذين لايشاطرونه معتقداته ، وهذا فهم خاطىء لابد من إدراك مايسميه الأنثروبولوجيون النسبية الثقافية ، لابد من إضعاف الشعور بالسمو الاخلاقى أو الدينى لمجرد المقارنة والاحساس بالقوامة الدينية ، إذا رأينا الوثنين نصف عراة فلاينبغى أن ننقد

---

* ربما هذا هو الذى دفع Nadel وبنظره تحامليه على الاسلام الى القول منذ اكثر من خمسين عاما مبرراً انتشار الاسلام بخطى اسرع من المسيحية ان ذلك مرده الى اختلاف طبيعة الديانتين .

سلوكهم ونتهمهم بالتخلف والدونية لابد من أن يدرك المفاهيم المرتبطة ويحاول تغييرها دون تحيز أو استعلاء — أن الموجه الذى صحبنى إلى كورنقو كان دائم الشكوى معلنا تضحياته التى قدمها بتركه ذويه وأولاده العمل فى هيبان كما كان كثير الإلحاح والطلب المستمر فى تقديم الخدمات له، وتلك سمة سلوكية تمتد إلى الكثيرين من الدعاة أو المبشرين فى مختلف المناطق أنهم لم يفرقوا بين الأفكار والمفاهيم لدينية التى يحاولون بثها ونشرهـــا فى مهمة سامية ،وبين التقديم والعطاء المادى لهم، وانى أعتقد أن أقصر الطرق لإعداد الموجه الدينى أو المرشد عن طريق الاختيار من بين أبناء تلك المناطق من المهاجرين إلى العاصمة أو المراكز الحضارية الأخرى عن طريق الروابط أو التجمعات الاقليمية ،ثم إلحاقهم ببرامج لمحو الامية . وتزويدهم بمقررات دراسية عن طريق التخصص أو الحاق المتعلمين منهم بالمدارس المتخصصة كمستمعين لتأهيلهم للقيام بدور الداعية أو المرشد حين يعود إلى مجتمعه مدركا لغته المحلية فضلا عن العربية ، على أن نوفر له راتبا يفى باحتياجاته ومسكنا يأويه ووسيلة تمكنه من الانتقال بين الجبال والاحراش ، هنا يمكن القول أننا نستطيع تحقيق الحد الادنى الذى يمكنه من أداء رسالته كداعية يدعو إلى الثقافة الاسلامية التى تمثل فى نظرهم نموذجا راقيا بما تتضمنه من قيم أخلاقية ومثالية للسلوك .

ثبت بالمصطلحات الاجنبية

A

ابانيورا : صانعى الملوك والزعماء في كارلنجا في جبال تلشى فى كردفان بالسودان	Abanyora (King-maker)
ضـــلال	Aberration
زهـــد	Abstemiousness
انتهاك	Abuse
ولادة او نفاس	Accouchement
ملعون	Accurst
أدالبرتو كون : من اقطاب المدرسة اللغوية الهندو أوربية والتى تعرف « بالفيلولوجية » والتى اعتمدت أساساً على كتب الفيدا الهندية كوثيقة دينية ـ ركزت على أهمية مظاهر الطبيعة كالشمس والقمر والكواكب الأخرى فى نشأة الدين	Adalberto Kuhn
القسم أو اليمين	Adjuration
زنا	Adultery
خلوة رئيس الكهنه	Adytum
الخلاص ـ المشيمه والحبل السرى	Afterbirth
المـــذهب القائل بعدم الاعتماد على التفكير العقلانى فقط لفهم الوحى الالهى (اللاارادية) .	Agnosticism
نعمه	Amenity
انحباس الطمث	Amenorrhea

Amma	اسم الاله عند قبائل الدوجون Dogon الافريقية .
Anama	اضحيه أو قربان تقدم عند قبائل الدنكا السودانية تستهدف استرضاء الاب المتوفى قبل زواج ابنته
Anathema	لعنـــه
Animate	حى - ذو حياة - أحيا
Ancestor	سلف
Ancestor worship	عبادة السلف
Angelolatry	عبادة الملائكه
Animatism	يذهب روبرت مارت R. Marett الى أن المصطلح يعنى الاعتقاد فى القوى الفارقة اللا شخصية
Animism	الانيميزم أو المذهب الحيوى عند « تايلور » ، ويعنى الاعتقاد فى ان لكل شيء روح حتى الجماد ومن ثم فهى تحيا وتموت . والكلمة مشتقه من أصل لاتينى Anima وتعنى حياة الحيوان
Arada	احدى الديانات الشهيره فى « داهومى »
Atheism	اللاالهية اشـاره الى انكار وجود الخالق . والمفهوم يتكون من A أداة نفى ، theism وتعنى الاله .

B

Banbith	البانبيث : زعيم الرمح أو الحربة عند قبائل الدنكا السودانيه
Baronga	بارونجا : احدى قبائل البانتو Bantu فى افريقيا
Basuto	باستو : احدى قبائل جنوب افريقيا انتشرت بها المسيحية أخيراً .
Belief	اعتقاد .

Betro — احدى الديانات المعروفة فى الكونغو .

Bishop — مبشر دينى

Blessing — بركة أو نعمه

C

Ceremony — شعيره ـ جمعها شعائر أو طقوس والتى تقام بمناسبة معينة ـ وهى نوع من السلوك الجمعى ترى الجماعة ضروره الوفاء بها . كما نجد فى الطقوس التى تستهدف خصوبة التربة ـ شكر الالهة أو الارواح ـ وترتبط فى العادة بالقرابين والرقصات الشعائرية .

Charm — حجاب ، تعويذة

Clairvoyance — رؤية غير منظورة (رؤيه نفسية) للاشياء والأفعال

Clergy — رجال الدين .

Codrington — كودر ينجتون: عمل مبشرا فى ماليزيا وكان له الفضل فى ادخال مفهوم المانا Mana فى مجال الدراسات الانثربولوجيه

Collision — معارضه ـ صراع

Conciliation — استرضاء ـ توفيق

Cosmology — القوانين العامة المسيطرة على العالم

Creed — عقيدة

Cult — عبادة : نظام دينى يشتمل على طقوس وشعائر وقد يطلق المفهوم أحيانا على بقايا العبادات التقليدية .

D

Dakota — قبائل الداكوتا

وهذا الجحيم اسم كتاب معروف لعالم الأجناس الالمانى رودلف أوتو Das Heilige
Rudolf Otto ناقش فيه عدد من المعطيات الدينية العامه

Deification التعظيم لدرجة التأليه

Deity الاه ـ معبود

Dengdit كائن روحى مقدس عند الدنكا

Devil الشيطان

Disintegration of Ego عدم تكامل الذات

Divination الكهانه أو العرافه ، التنبؤ بالغيب .
قراءة الطالع .

Divine مقدس ـ الهى

Divine King الملك المقدس

Divinity الالوهيه

- Clan divinities الهة العشائر وتلك لديها القـــدرة
على حماية أولئك الذين ينتمون اليها أو الاساءة اليهم ، تزورهم
من أجل الوساطه بين الإنسان والآلهة ، كما نجـــد عند قبائل
الدنكا السودانية

Malign divinities الالهة المؤذية

Dogma عقيدة ـ مذهب

E

Ecological insecurity : عدم الإطمئنان الايكولوجى فكرة بول رادين :
يرى أن مثل هـذه الحالة تدفع الوثنيين الى الاعتماد على القوى

الخارقة غير البشرية نظراً لإدراكهم ضعف تلك الأخيرة من حيث تأثيرها فى ظروف البيئية.

Emic approach — محاولة فهم الثقافة (أو النسق الدينى) من وجهة نظر المبحوثين أنفسهم دون التأثر بثقافة الباحث فى التحليل — هناك اتجاه آخر مقابل يطلق عليه Etic approach والذى يتمثل فى تحليل الثقافة من خلال إستخدام مفاهيم ومعطيات الباحث أو الأنثوجرافى والتى تعكس وجهة نظره

Emuwren — طائر الأمورن المقدس واحد الأسلاف المميزين - والذى يعتبر بمثابة الطوطم عند قبائل Kurnai فى استراليا .

Everlasting — الدائم - الأبدى - الأزلى .

Exodus — هجرة جماعية (فى مقابل الهجرة الفردية).

Exhortation — نصح أو تحذير

Exogamy — الزواج الاغترابى (فى مقابل الأندوجامية Endogamy)

F

Faith — إيمان - مذهب - اعتقاد

Faith cure — العلاج عن طريق العقيدة

Faithless — كافر - ملحد

Fanatism — تعصب دينى : الإيمان المطلق بعقيده والدفاع عنها فى تعصب وانفعال

Fasting (Fast) — الصيام - صوم .

Fon — احدى قبائل داهومى درسها Moupoil

Formulary — طقسى

Forswear	حنث في يمينه
Foulness	دنس .
Fetishism	الفتشيه :

الفيتش Fetish شيء مادى تنزله الجماعة منزلة التقديس واستخدمه «دي بروس» والفتشية تطلق على تقديس الأشياء وخاصة الجماد للاعتقاد أن لها قوى خفية ـ ومن ثم أصبح الإصطلاح يشير الى تألية الوجود المادى . كما نجد فى جبلى (بونق) و (ليفر) فى جبال الانقسنا ـ وكما نجد فى القداسة التى يخلعها وثنيو جبال كورنقو على الأشجار المقدسة

G

Ghost	شبح أو طيف
the Holy ghost	روح القدس :
Glorification	تمجيد ـ تبجيل .
Glory	مجد ـ هاله
Glorybe to God	المجد لله
Gnostics	العارفون : طائفة دينية مسيحيه يعتقدون فى أن خلاص العالم بالمعرفة لا الإيمان فقط .
Godless	ملحد ـ كافر
Guardian Spirit	الروح الحارسة (عند ليفى ستروس)

H

Heathen	كافر وثنى
Heathen dom (heathenism)	الوثنيه ـ عباده الأوثان
Holiness	قداسة أو طهارة
Hymen	الهة الزواج عند الأغريق (غشاء البكارة)
Hymn	ترنيمة أو تسبيحة .
Hyperaesthesia	حاسة الأشياء غير المدركة
Hypostasized	حوادث افتراضيه

I

Idealistic mystical powers	قوى مثاليه غامضه
Identification	تحديد الهوية أو الذاتية ـ تمثل الخصائص والسمات الثقافية للجماعة
Ideology	الايديولوجية . الآراء والمعتقدات التى تسود ثقافة ما وهى انعكاس للظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية .
Ifaluk	قبيلة الأفالك جنوب الباسفيك درسها Spiro
Ikpa	وعاء الجسم : الملامح الفيزيقية الخارجية عند الإنسان وفقا لمعتقدات التيف شمال نيجيريا .
Imitive magic	سحر المحاكاة : (فريزر)
Immortality	خلود .
Inanimation	موات .
Inca	قبائل الأنكا فى بيرو .

الزنا بالمحارم Incest

قبائل الانقسنا فى شرق السودان . Ingassana

شعائر التكريس Initiation

« يو » كبير الآلهه فى قبائل الماورى Maori Io

« يوتى بكنجا » : أحد الآلهة الماورى يعتبرونه مصدر Io - Te - pukenga
الأفكار والذكريات والظلال والنور، يحقق الخير والنماء والحياة
والفكر والقوة ـ لايوجد شيء خارج حدود ارادته المتناهية .

ازنجانيا : أرواح الأسلاف عند قبائل Quba فى جنوب أفريقيا . Izinganya

J

يهوه (الله بالعبرانية) Jehovah

يهودى Jew

منطقة إقامة اليهود Jewry

روح الشخص عنـد قبائل « التيف » النيجيرية ـ وتبـدو فى ظله Jijinji
أو صورته المنعكسة فى الماء أو حين ينظر الى المرآه وتنفصل بعد الموت .

ـ أرض الميعاد . Judea

سلطة شرعيه Jurisdiction

سلطه قضائيه مستمدة من أحكام الشريعه .

K

المطر أو الاله عند سكان جبل Eliri فى جبال النوبا Kalo

كارلنجا : منطقة فى جبال تلشى جنوب كردفان تسودها الوثنية . Karlenga

اسم الاله فى جبال Amira (النوبا) . Kaudo

كور نقو : منطقة جبلية تنتشر فيها الوثنية بالقرب من كاروقلى ـ
اقليم كردفان بالسودان Korongo

الكجور السلطان أو الزعيم الروحى فى منطقة جبال النوبا . Kyoramanta

كجور ـ زعيم روحى وينقسم الى (كجور المطر ـ كجور الزرع ـ كجور الحصاد ـ
كجور العلاج ـ كجور الحرب) Kugur

L

علمانى Laity

، لانج ، من أبرز العلماء الذين هاجموا المذهب الحيوى معتمدا على Lang
الأبحاث التى قدمها Hawitt عن الكائن الاسمى فى استراليا الجنوبية
و Paker فى استراليا الشرقية و Man فى افريقيا ، ويعتبر أول
من أشار الى اعتقـــاد الأفارقة فى اله متعال .

اسطورة أو رواية انتقلت عبر العصور Legend

شعوذة Legerdemain

الليفراتى : زواج الأخ بأرملة اخيـــه المتوفى ، شائع لدى Levriate
الكثير من الشعوب الأفريقية .

، ليفى بريل ، من ابرز الذين تناولوا الديانات البدائية وخاصة Lévy Bruhl
حين عالج العقلية البدائية primitive Mentality
والتى أشار إليها فى كتابه : La mentalité primitive
حاول أن يتناول فيه طبيعة الفكر البدائى ، وقد ترجمت
كتابته تحت عنوان : كيف يفكر البدائيون ، العقلية البدائية ،
وقدم فيها مساهمات كبيرة للانثربولوجيين وخاصـــة

فكرته عن اختلاف التفكير البدائى عن التفكير المتحضر
فى الدرجة والنوع وانها عقلية قبل منطقية (وصف
pareto ايضا العقلية البدائية بأنها غير منطقية وربما قصد
نفس المعنى) وأن الأولى تفتقر الى العلاقات العليه ،
وأن تصوراتهم الجمية قاصرة عن ادراكها .

Lodagaa — «اللادوجا» : احدى قبائل شمال غانا درسها Goody

Lugbara — احدى قبائل الكونغو .

M

Macardit — الهة الشر عند الدنكا

Magic: — سحر

Contagious magic — سحر الاتصال (ويعتمد اساسا على قانون الاتصال)

Homoeopathic magic — سحر التشاكل ويعتمد على قانون المشابهه أو علاج المثل بمثله .

Theoritical magic — السحر النظرى

practical magic : — السحر العملى وينقسم الى:

positive magic — - السحر الايجابى

negative magic — - السحر السلبى

(أنظر : Frazer, the Golden Bough p. 12, p. 20)

magical counter measures — - الاجراءات السحرية المضادة .

Magical paraphernalia — امتعه سحرية

Magical rites — شعائر سحرية

الاسس السحرية Magical substratum

المانا أو القدرة الكامنة ، فكرة كودر يختون ، Mana

قبائل المابباش الهندية التى درسها Faron وتقع وسط الارجنتين Mapuche

ماسلا : الاله الخالق فى كارلنجا وكورنقو الوثنيين . Massala

القوى المادية السحرية Materialistic magical powers

، ماكس موللر ، من أقطاب المدرسة الدينية لعبادة مظاهر Max muller
الطبيعة ، اهتمت بدراسة الأساطير الهندو- أوربية ، الدراسات الحديثة أوضحت اخطاء فى افكارموللر وان كثيرا من الاسماء (فى الفيدا) لا تمثل مظاهر الطبيعه —

رجل الطب أو العلاج . Medicine man

افعال تستحق الاثابه والتقدير Meditorious acts

القوى الوسيطة Mediumistic powers

التوحيد — الاعتقاد باله واحد Monolarty

الاله الواحـــد والكلمة تعنى Mono و Theos أى الاله Monotheism

مؤمن بوحدانية الالة Monotheist

، مونجو ، احد الهه الأقزام فى غابات اتورى Itiri والتى درسها Mungu
الاب شميدت Schmidt والجدير بالذكر أن لديهم الهة أخرى
يسمونها تور Tore

التصوف أو المذهب الصوفى Mysticism

غموض أو ابهام Mystification

اسطوره Myth

مبحث أصل الاساطير القديمة Mythogony

الميثولوجيا : علم الاساطير الذى يتناول المادة الاسطورية بالدراسة والتحليل
(الآلهه ، الخلق ، نشأة الكون ... الخ) Mythology

N

Nago احدى الديانات الوثنية فى غينيا الجديدة

Naturism مشتقة من كلمة natura فى اللاتينية وتعنى الطبيعة أى أن الطبيعة هى التى أوحت بفكرة الدين .

Nedengo اسم الاله فى جزر فيجى والكلمة تعنى حرفيا السماء

Nhialic الاله الخالق أو الكائن الأسمى عند الدنكا

Noa المقابل لمفهوم التابو الواسع والمشترك وغير المخصص (من تعريف Gudgeon للتابو)

O

Oath القسم أو اليمين سمه مميزة لكثير من المجتمعات الافريقية ويعتمد عليها فى الفصل فى المنازعات خاصة تلك التى تتعلق بالقضايا المجهولة كالقتل والسرقة وادعاء ملكية الغير ...

Old Testament العهد القديم (التوراة)

Omn كلى أو شامل .

Omnierudite العالم بكل شىء

Omnifice خالق كل شىء

Omnipotent كلى القدرة

Ordeal تحكيم الهى يحدد الذنب وفقا لدرجة الألم ، البراءه تحدد بعدم الاحساس بالألم

Origorna النفس أو الذات عند التيف

Ornithomancy معرفة الطالع — فتح البخت (وعادة ماتستخدم الطيور)

الطرد أو البراوة أو النبذ ، احد وسائل الضبط الاجتماعى Ostracism حيث يعزل اولئك الذين اعتادوا الاجرام عن بقية اعضاء الجماعة ، كما نجد عند بدو صحراء مصر الغربية ، وفى جبال الانقسنا فى السودان وجيرانهم من المناطق المحيطة فى كردفان وغيرها .

P

Pagan وثنى ، عابد للاوثان

Pantheism مذهب وحدة الوجود والكلمة مشتقة من اصل pan وتعنى اتحاد theos وتعنى أله والكلمة تشير الى اتحاد الاله بالمخلوقات وتعنى عند البعض فكرة الحلول

Panthecns بنثيون ـ هيكل الآلهه

Paradox تناقض ظاهرى

Perception ادراك حسى أو خبرة حسية ، مفهوم وثيق الصلة بالادراك

Perpetual أبدى / دائم .

Perpetuation خلود / ديمومة

Perpetuity ازلية / ابديه

Plebians العامة

Polytheism تعدد الآلهه (الشرك) : الاعتقاد بوجود اكثر من اله . فى البناء الكهنوتى (عند الدنكا مثلا نجد الاله المطلق الهة العشائر ، ارواح الاسلاف) فى جبال الانقسنا ، تل ، الاله الخالق ، تل صغير الشمس ... الخ والكلمة يونانية الاصل وتتكون من poly (التعدد) و theos ـ ويرجع الفضل فى شرح هذا المفهوم الى Robertson Smith

البوتلاتش كما نجد لدى هنود الكواكتيل Kwakiutl فى كولومبيا البريطانية يقيمون احتفالا على درجة من الاهمية حيث يقدم الجماعة القرابين الهدايا والطعام فى مقابل المركز الاجتماعى . Potlatch

قبيلة بوهاتان ومن اهم سماتها انهم يقدمون العديد من الطيور للاعتقاد انها تمثل ارواح الاسلاف يشاركهم فى هذا الكثير من الشعوب مثل قبيلة الانقسنا الذين يقدسون طيوراً مثل السمبرية ، اذ يعتقدون أن أحد اسلافهم قد جاء لزيارتهم بعد طول غياب . Powhatan

البرجمائية : المذهب العملى ويعول على أهمية النتائج العملية . Pragmatism

تارك الصلاة . Prayerless

واعظ ، مبشر ، داعية . Preacher

« ماقبل المنطق ، اصطلاح اطلقه , ليفى بريل ، على العقلية البدائية ، وان العقل البدائى يرى الأشياء والمخلوقات والظواهر المحيطة به انها يمكن أن تكون أو لاتكون فى نفس الوقت...والجدير بالذكر أن ليفى بريل اعلن فى نهـــاية حياته أن نظريته تلك خاطئه الى حد بعيد ، واكد أن البناء المنطقى للعقل البشرى واحد . Prelogical

غير مقدس ، مدنس وقد يستخدم المصطلح للإشارة الى المحرمات Profance

تحريمات . Prohibitions

نبوه . prophecy

أحلام تنبؤيه prophetic dreams

الكهنة أو الكهنوتية pr'esthood

بيوبلو: احدى قبائل ولاية أريزونا فى المكسيك publo

R

صانع المطر : مثل البانبيث عند قبائل الدنكا و Opiezo عند قبائل لوجبارا فى الكونغو . — Rain maker

أحيا — Reanimate

دين . — Religion

جوهر دينى، عنصر دينى — Religiou ingredients

جزاءات دينيه — Religious Sanctions

الرؤيا والالهام — Revelation

شعائرى — Ritual

الدناسة الشعائرية وعادة ما يطلق على الاشخاص (رجالا أم نساءاً) الذين لا يستطيعون القيام بالشعائر لدناستهم كما فى حالة الطمث أو الزنا بالمحارم . — Ritual pollution

S

مقدس فى مقابل المدنس ، وتطلق على الأشياء المادية والمعنوية . — Sacred

القداسة : وتدعو الى الاحترام وقد تثير الفزع والخوف والرغبة والرهبة فى نفس الوقت وقد تبدو القداسة فى أشياء كثيرة ، فعلى سبيل المثال توجد فى جبال كورنقو جنوبى كردفان وفى اشجار السدر والعرديب والتبلدى وحجر الكجور ، مثل ماصلا ، والبركة المقدسة ، سالو ، ويطلق سكان كورنقو على المقدسات Omoganda — Sacrcdness

أضحية أو قربان تقدم للآلهة أو الأرواح الشريرة أو الخيرة، وتستهدف استعادة التجانس والعلاقات الودية بين الافراد والقوى الخارجه . — Sacrifice

Sacrilege تدنيس الأشياء المقدسة

Sect فرقة دينيه للاشاره الى جماعة تدين بعقيدة خاصة داخل الدين العام مثل طائفة الهيتريس Hutterites من انصار لينهاردهيتر عالم لاهوت المانى الجنسيه ، برتستانتى متزمت ،تقيم هذه الجماعة غرب الولايات المتحدة ، يعتبرون انفسهم شعب الله المختار الذى يتبع المسيحية الحقة (انظر Encyclopaedia Britannica)

Secular دينوى ، علمانى

Secularism المذهب الدنيوى حيث الاهتمام بالامور الدينوية

Semi Bantu Iyala ، سيمو ـ بانتو ـ أيالا ، : قبيلة فى شمال نيجيريا

Sempiternous أزلى ـ سرمدى

Shamanism الشامانية : وساطة الارواح ، وتطلق على بعض الزعماء الروحيين فى المجتمعات الوثنية مثل الدنكا والنوير و الانقسنا وكارلنجا (فئة الكجرة) لديهم القوة على تسخير الارواح بما لديهم قوة كامنة شامانية. وقد اتسع المفهوم أخيرا ليشمل أولئك الذين يقومون بالطقوس والممارسات التى تستهدف تسخير الارواح لعلاج المرضى واسقاط المطر واستبعاد الموت والارواح الشريرة ... الخ وعادة مايجتاز اولئك الذين يتعرضون للالهام الشامانى Shamanistic inspiration لتدريب طويل شاق يتمثل فى العزلة والاقلال من الطعام والابتعاد عن الحياة الاجتماعية المألوفة ويمرون

بحالات من المرض وقد تعترضهم نوبات هستيرية وانفعالات حادة وفقدان للوعى .

Sicun اسم الاله عند قبائل الداكوتا

Sioux قبيلة سيوكس

Social precipitates of fear المشاركة الاجتماعية للخوف (فكرة بول راين) .

Sorcery الشعوذة

Sorcerer ساحر أو مشعوذ

Sororate زواج ارمل الأخت ، والكلمة مستمدة من Soror ومعناها الاخت باللاتينية ثم استخدمت للاشارة الى زواج الاخت بأرمل اختها

Souk قبيلة السوك

Spells تمائم

Spirit mediumship وساطه الروح (أنظر الشامانية ص ٢٠٦)

Spiritualism الروحانية

Subjectivism الباطنيه (عند بول رادين) : وتعنى سيطرة السحر والطقوس والشعائر الاضطراريه أو الجبريه

Supernatural powers اشارة الى العالم الذى يقع وراء الخبره أو التجربه الحسيه

Superstitions خرافات

Supplicant المتوسل أو المتضرع

Supplications توسل أو تضرع

Supreme being الكائن الأعلى أو الأسمى

T

Taba or Taboo — التابو : المحرمات

Tafalang — «تافالانجا» حامل الرمح المقدس فى كارلنجا جنوب كردفان

Ta : Musala — حيث موسلا Musala للاشارة للاله عند الانقسنا ، ولكن الاضافة هنا تعنى رجل الاله أو وسيط الاله أو الكجور عند قبائل كردفان و Ta أداة وصل

Telepathy — تبادل الخواطر عن بعد ـ التخاطر

testimony — دليل أو شهادة

Thascalou — « التاسكلو » أرواح الأسلاف فى إحدى قبائل المكسيك ، وثمة اعتقاد أن أرواح الخاصة أو الاشراف تحل فى الطيور الضخمة فى حين أن أرواح العامة تحل فى الحشرات .

Theism — الالوهية : مشتقة من كلمة Theos أى الاله وتشير إلى الشرك بالله

Theocrsay — الاعتقاد بوجود اله خالق للكون

Theolcgian — لاهوتى أو عالم لاهوت

Theology — علم اللاهوت ، فلسفة الالهيات

Thiko Loshe — الروح الشريرة عند قبائل ال Guba فى جنوب افريقيا والتى درستها G. Broster أنظر كتابها (Red Blanket Valley) :

The kwane — طائر السكوين ويعتبر بمثابة فأل سىء على الرغم من جمال هيئته ، ويجب استشارة الطبيب الساحر لمجرد رؤيته ،وثمة

اعتقاد أن من يقتله يموت على الفور .

تلنجت : من الهنود الحمر فى الشمال الغربى للمحيط الهادى	Tilingit
الاله (السماء) عند قبائل البارونجا الافريقية	Tilo
« التيف » أكبر المجموعات القبلية فى شمال نيجيريا تعيش بالقرب من نهر Benue	Tiv
رقصات طوطمية	Totemic dances
الطوطمية (عبادة الطوطم) اشارة إلى الأصل النباتى أو الحيوانى أو الجماد الذى تتخذه العشيرة طوطما لها، وتعتبره بمثابة الأصل الذى إنحدرت عنه وتنزله منزلة القداسة ، وقد اعتبر «دور كايم» الطوطمية نوعا من الدين البدائى.	Totemism
القيم الرفيعة أو القيم المثالية والتى يترتب عنها اعطاء الولاء لطريقة معينه فى الحياة .	Transcendent values
الفلسفة السامية	Transcendentalism
خيانة أو غدر	Treachery
مقام ـ نصب ـ تذكار	Trophy
الانتحاء ـ نزعة الحيوان إلى الحركة	Tropism
طبيعة الانتحاء.	nature of Tropism
خطيئة ـ كفر ـ انتهاك حرمة	Trrespass
قوة سحرية يمتلكها الشخص تمنحه القوية والثروة والحظ والموهبة والشخصية القوية عند قبائل «التيف»	Tsar
قوة سحرية تمنحها الآلهه للاشخاص (التيف) .	Tsav
القرط الحديدى المقدس فى جبال تلشى والذى يثبت فى	Tygun

فى اذن الزعيم عند تولى مهام منصبه

V

Vespers	صلاة الغروب
Violation	تدنيس أو انتهاك
Vodoo	ديانة الفودو ـ الكلمة من داهومى غرب افريقيا ومعناها الحرفى الروح الحارسة
Volition	مشيئة أو ارادة .

W

Wakan	واكان : الروح العظمى عند قبائل Siowx
War - Shiefs	زعماء الحرب
War lock	عراف أو ساحر
Winnebago	قبائل الوينباجو الهندية
Witchcraft	عرافة أو كهانة
Witch-doctor	الطبيب الساحر
Wizard	المشعوذ أو العراف
Worship	عبادة

* * *

المراجـع

اولا : المراجع العربية

١ ـ أحمد أبو زيد ، تايلور ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٧ .

٢ ـ أحمد الخشاب دراسة فى النظم الاجتماعية : المجتمعات المتخلفة والنظم الدينية القاهرة الحديثة ، ١٩٦٨ .

٣ ـ أحمد عبد الرحيم «النيانج» مجلة الخرطوم العدد الثامن ١٩٦٧.

٤ ـ اشلى مونتاجو، البدائية ترجمة د محمد عصفور، عالم المعرفة الكويت ١٩٨٢.

٥ ـ جاك مندلسون الرب والله وجوجو ، ترجمة ابراهيم سعد ، دار المعارف

٦ ـ جيمس فريزر ، الغصن الذهبى ، ترجمة اشراف د. أحمد أبو زيد الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧١ .

٧ ـ على اسلام الفار «الانثربولوجيا الاجتماعية ١٩٧٨ .

٨ ـ فاروق اسماعيل، الانثربولوجيا الثقافية ، الجزء الأول الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ .

٩ ـ ———— الانثربولوجيا الثقافية ، الجزء الثانى دار المعرفة الجامعية ١٩٨٤ .

١٠ ـ محمد الجوهرى، الدراسات العلمية للمعتقدات الشعبية ، دار الكتاب ١٩٧٨

١١ ـ محمد هارون الكافى «الكجور» معهد الدراسات الافريقية جامعة الخرطوم .

١٢ ـ هوبير ديشان الديانات فى افريقيا السوداء ، ترجمة أحمد صادق مراجعة محمد عبد الله دراز دار الكتاب المصرى .

١٣ ـ طه الهاشمى، تاريخ الاديان وفلسفتها ، مكتبة الحياة بيروت دون تاريخ .

١٤ ـ معجم العلوم الاجتماعية تصدير ومراجعة ابراهيم مدكور وآخرون ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٥ .

ثانيا : المراجع الاجنبية :

1 — Bohannon, Paul; The Tiv of Nigeria; Edited by James Gibbes Holt Rienhardt and winston, Inc, 1965

2 — Boster, Joan, Red Blanket Valley, The Quba Beliet, Hugh Keartland Publisher's Denvor, Johannesburg 1967

3 — Candon, John; Semantics & Communication; the Macmillan & co. N.Y London. 1979.

4 — Codrington, R. H.; Religion in Malanesians; Studies] in their Anthropology & Folklore; Oxford. Clarendon, 1970 .

5 — Deng, Francis; The Dinka and Their Songs; Oxford Library of African Literatare 1973

6 — Eidheim, Harold; Ethnic Groups and Boundaries, the little brown series in Anthropology 1975.

7 — Eric ten Raa; The Geneological Method in the Analysis of Myth and structural Model.

8 — Evang pritchard; E.E. Theories of primitive Religion, Oxford Univ. press. 1965.

9— Fortes; M.,&Others, Sacrifice; Academic press, inc. N.Y 1980

I0 — Frazer, J. The Golden Bough, Macmillan&Co.Ltd; I963.

II — Ges a Reheim; Animism; Magic and Divine king. Intern--ational Univ. press. inc N.Y· I972.

12—Hammond, peter; An Introduction to Cultural Antheropolgy Macmillan Company inc. N.Y. I97I.

I3 — Hunter, David & philip Whitten, The Study of Cultural Anthropology

I4 — Lewis, Johan; Anthropology made Simple, London. 1969.

15 — Léve Strauss, Claude "Totamism" International Encyclopeadia of Social Science, Vol. XI.

I6 — Lienhardt, Godfrey, Divinity & Exprience. the Religion of the Dinka, Oxford Univ. press, 1967.

I7 — Margery, Wolf, The house of Iim, A Study of a chinese family; N.Y. Appletton Century Crofts, 1968.

I8 — Mbiti, John, African, Religions & philosophy, Heine Mann, Lonpon, 197I.

19 — Nadel, S.F.; The Nuba, An Anthropological Study of the Hill tribes in Kordofan, Oxford press, London 195I

20 — Notes and Queries On Anthropology, Sixth edition revised and rewritten by A Committe of the Royal Anthropo logical Institute.

2I — parsons, R.; Religion in An African Society, E.Y. Brull Leiden. 1959.

22 — picker, Steven; Thai Society in Human Organization Vol. 27, Fall 1968.

23 — Radin, paul; primitive Religion : its Nature & Origin; Dover publications inc. N.Y. 1957.

24 — Rivers, W. H.; psychology & Ethnology, Kegan paul & inc. N.Y. 1962.

25 — Shorter, Aylward; East African Societies; Routledge & Kegan paul, London 197I.

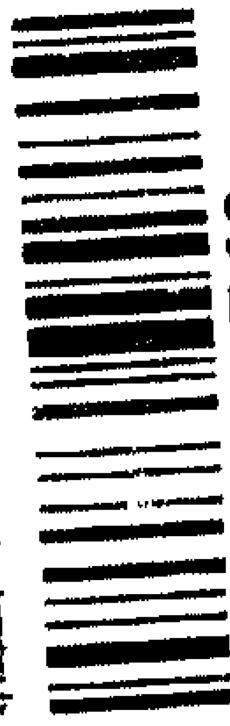
26 — Smith Kag, Birket; primitive Man & his Way, Translated from the Danish by Ray Duffel, Adhams press Ltd, London 1960.

27 — Smith, Robertson; Religion of Semites, Kegan paul, 1973.

28 — Spradley, James & McCurdy David; Anthropology : the Cultural perspective. Jonn wiley & Sons inc. N.Y. 1975.

* * *

المحتويات


Bibliotheca Alexandrina
0310740